

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الأربعون

رجب ١٤٣٧هـ

رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩ هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ - ١٦٥٨







المشرف العام

الدكتور / فوزان بن عبد الرحمن الفوزان

مدير الجامعة بالنيابة

نائب المشرف العام

الأستاذ الدكتور / فهد بن عبد العزيز العسكر

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

الدكتور / عبد الرحمن بن عبد العزيز المقبل

عميد البحث العلمي

مدير التحرير

الدكتور / رعد بن عبد الله التركي

وكيل عمادة البحث العلمي للشؤون الثقافية

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إبراهيم صلاح السيد سليمان الهدهد
نائب رئيس جامعة الأزهر

أ.د. صالح بن محمد الزهراني
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية

أ.د. شكري عز الدين المبخوت
عميد كلية الآداب في جامعة منوبة بتونس

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي – معهد تعليم اللغة العربية

أ.د. عبد الله بن سليم الرشيد
الأستاذ في قسم الأدب – كلية اللغة العربية

أ.د. محمد عبد الرحمن خطابي
الأستاذ في جامعة ابن زهر في أغادير بالمغرب

د. هشام عبد العزيز محمد الشرقاوي
أمين تحرير مجلة الجامعة – عمادة البحث العلمي

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار. والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .
- ٣- أن يكون حجم المتن (Traditional Arabic (١٧)، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .
- ٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .
 - ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
 - ٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
 - ٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً :** عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً :** عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً :** تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً :** تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .
- ثامناً :** لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- تاسعاً :** يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشر مستلآت من بحثه .
- عنوان المجلة :**

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

١٣	التوجيه النحوي والصرفي والدلالي لقراءة زهير الفرُقبي د. أحمد بن محمد العضيبي
٧٩	جمال الأداء لآي الذكر الحكيم في ضوء علم الصوتيات د. ممدوح إبراهيم محمود محمد
٢٩٧	أدب المجالس القضاية: تدأخلُ الهزل مع الجدِّ في الأدب د. عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم
٣٤٧	لسانيات المتون وتطبيقاتها في تعليم اللغة الثانية د. صالح بن فهد العصيمي



التوجيه النحوي والصرفي والدلالي لقراءة زهير الفرقي

د . أحمد بن محمد العضيف

قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



التوجيه النحوي والصرفي والدلالي لقراءة زهير الفرُقبي

د. أحمد بن محمد العَضِيب

قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

هذا بحث في توجيه قراءة زهير الفرُقبي، وهو أحد أعلام النحو الكوفي، وهو من متقدمي الكوفيين، فقد كانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائة، وهو زهير الفرُقبي الكسائي الكوفي، وهو ممن أخذ من تلامذة أبي الأسود الدؤلي، وقد أخذ عنه بعض أئمة النحو الكوفي أمثال أبي جعفر الرُّوَاسي. وقد تتبعت في هذا البحث كتب القراءات والتفسير واللغة والنحو، فوقفْتُ لزهير على بعض القراءات التي عزيت إليه، فجمعتها، ثم رتبته ترتيب سور المصحف، ثم خرجت كل قراءة، وبيّنت من عزّاه له من العلماء، ثم تتبعت توجيه العلماء لها، وأثبتته، ثم بيّنت خلافهم في توجيهها، وقارنت بين قراءته وقراءة الجمهور من حيث المعنى والصنعة النحوية والتصريفية. وقد مهدت لهذا البحث ببيان للمراد بتوجيه القراءات، وبرزت جملة لزهير الفرُقبي، ثم بتعريف للقراءة الشاذة، وحكم الاستشهاد بها، وحكم القراءة بها، ثم بدأت بدراسة قراءة زهير، فجعلت تلك الدراسة في مبحثين: الأول: دراسة قراءة زهير وتوجيهها النحوي والصرفي والدلالي، فجعلت كل قراءة في مسألة مستقلة، ثم بدأت بالمبحث الآخر، فبيّنت فيه أبرز الملامح النحوية والتصريفية لهذه القراءة، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أنهيت البحث بثبت المصادر والمراجع.



تقدمة:

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أما بعد:

فلا يخفى أثر القراءات القرآنية على الأحكام النحوية التي استنبطها النحويون من السماع الذي كان جزءاً منه هذه القراءات؛ لأنها جاءت على منوال لغة العرب، فهذه القراءات باختلافها تدل على أن لغة العرب الفصحى فيها اختلاف، ظهر أثره في بعض هذه القراءات، وإن النظر في هذه القراءات، وتأملها والوقوف على توجيه النحويين لها يكشف لنا كثيراً من أسرار هذه الأحكام والقواعد، وسبب اختلاف النحويين فيها، وقد يكون فيها دعم لحكم أو تأييد لقاعدة، أو عكس ذلك.

فحرصت أن يكون بحثي هذا عن قراءة أحد العلماء، ونظرة العلماء لقراءته من حيث النحو والتصريف والدلالة، ثم إنني أحببت أن يكون صاحب هذه القراءة عالماً له صلة بفن النحو والتصريف، فكان اختياري لعلم من أعلام النحو الكوفي، وهو من متقدمي الكوفيين، فقد كانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائة، وهو زهير الفرقي الكوفي الملقب بالكسائي، وهو ممن أخذ من تلامذة أبي الأسود الدؤلي، ودراسة قراءته دراسة نحوية صرفية دلالية قد تكشف لنا جانباً من حياته العلمية، وجانباً من المدرسة الكوفية، وبخاصة أنه عالم معدود من النحويين الكوفيين فضلاً عن أنه من القراء المعترين، وقد أخذ عنه بعض أئمة النحو الكوفي أمثال أبي جعفر الرؤاسي.

وقد سمت بحثي هذا بـ"التوجيه النحوي والصرفي والدلالي لقراءة زهير الفرقي".

وقد تتبعت كتب القراءات والتفسير واللغة والنحو، ونقبت فيها كثيراً، وراجعت وتأملت، فوفقت لزهير على كلمات من القرآن عزاها بعض العلماء على أنها قراءة له.

فجمعتها، ثم رتبها ترتيب سور المصحف، ثم خرّجت كل قراءة، وبيّنت من عزّاهَا له من العلماء، ثم تتبّعت توجيه العلماء لها، وأثبتته، ثم بيّنت خلافهم في توجيهها، ومناقشاتهم لهذه التوجيهات، ثم قارنت بين قراءته وقراءة الجمهور من حيث المعنى والصنعة النحوية والتصريفية والدلالية، ولقد رأيت عناية كبيرة من العلماء بقراءته، تخريجاً وتوثيقاً، كما عُنوا كثيراً بتوجيهها نحويّاً وتصريفياً ودلاليّاً.

وقد مهدت لهذا البحث بتعريف مختصر لمعنى توجيه القراءات، ثم بترجمة لزهير الفرقبي، ثم بتعريف للقراءة الشاذة، وحكم الاستشهاد بها، وحكم القراءة بها؛ نظراً لارتباط هذا البحث بالقراءة الشاذة؛ لأن أكثر قراءات الفرقبي كانت من هذا النوع، ثم بدأت بدراسة قراءة زهير، فجعلت تلك الدراسة في مبحثين: الأول: دراسة قراءة زهير وتوجيهها النحوي والصرفي والدلالي، فجعلت كل قراءة في مطلب، واتبعت فيها المنهج الذي ذكرته آنفاً، ثم بدأت بالمبحث الآخر، فبيّنت فيه أبرز الملامح النحوية والتصريفية لهذه القراءة، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم أنهيت البحث بثبت المصادر والمراجع التي عدت إليها.

* * *

التمهيد:

أولاً: المراد بتوجيه القراءات:

معنى التوجيه في اللغة:

يقال: وجَّهت الشيء فتوجَّه، أي: جعلته على جهة واحدة^(١). ويقال: وجَّه الشيء، أي: أصاب وجهه^(٢).

معنى توجيه القراءات:

أصبح توجيه القراءات علماً من العلوم المعتمدة عند العلماء، وألفت فيه الكتب قديماً وحديثاً. وقد عرّفه الدكتور بإبراهيم الدوسري بأنه (علم يُعنى ببيان وجوه القراءات في اللغة والتفسير، وبيان المختار منها)^(٣).

ثم ذكر أنه يسمى عند العلماء بأسماء أخرى، لكنه اختار من بينها مصطلح التوجيه؛ لأنه في نظره أدق من حيث المعنى. فقال: (ويسمى بـ"علل القراءات"، "حجج القراءات"، "الاحتجاج للقراءات"، لكن الأولى التعبير بالتوجيه، بحيث يقال: وجَّه كذا؛ لئلا يوهم أن ثبوت القراءة متوقف على صحة تعليلها)^(٤).

ولهذا العلم غاية وأهداف، ومنها ما ذكره بعضهم بقوله: (علم توجيه القراءات: هو علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقاً للشرط المعروف "موافقة اللغة العربية ولو بوجه").

(١) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٧٠٨٣ / ١١).

(٢) انظر: إكمال الإعلام بتثليث الكلام (٧٤٨ / ٢).

(٣) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: ٤٩).

(٤) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: ٤٩ - ٥٠).

كما يهدف علم التوجيه إلى ردّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات^(١).

ثانياً: ترجمة زهير الفرقي الملقب بالكسائي:

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

هو زهير بن ميمون الفرقيّ الهمداني أبو محمد النحويّ الكوفيّ قارئ، من علماء الكوفة^(٢).

ويعرف بالكسائي^(٣).

منسوب إلى فرقيّ، بضم أوله، وسكون ثانيه، وقاف، وباء موحدة، وهو موضع؛ لأنه كان يتجر إلى ناحيتها، وكان من أهل الكوفة^(٤). قال الأزهري: (وَقَالَ الْفَرَاءُ: زُهَيْرُ الْفُرْقِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ مَنُوسُوبٌ إِلَى فُرْقٍ)^(٥).

وقيل: هو بقافين: الفرقي^(٦). وقيل: منسوب إلى فرقيّ، فحذفوا الواو في النسب^(٧).

وقيل: (وردت هذه النسبة في الثياب وفي الرجال، فيمكن أن يكون إلى موضع، ويكون الرجل يُنسَب إلى عمل هذه الثياب، أو يبيعها)^(٨).

(١) مقدمات في علم القراءات (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨ / ٢)، والقاموس المحيط (ص: ١٢٢)، وتاج العروس (٣ / ٥٠٤).

(٣) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١ / ٢٩٥)، والبحر المحيط في التفسير (١ / ٣٧٧)، وذيل لب اللباب في تحرير الأنساب (ص: ١٩١)، وتاج العروس (٣ / ٥٠٤).

(٤) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨ / ٢)، ومعجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٣ / ١٣٢٨).

(٥) تهذيب اللغة (٩ / ٣١١)، وانظر نحواً من هذه النقل عن الفراء في الأماكن، أو ما اتفق لفظه واختلفت مسماه (ص: ١٥٦)، ومعجم البلدان (٤ / ٢٥٤)، ولسان العرب (١ / ٦٥٧).

(٦) انظر: القاموس المحيط (ص: ١٢٢)، وتاج العروس (٣ / ٥٠٤).

(٧) انظر: ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب (ص: ١٩١).

(٨) ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب (ص: ١٩١)، وانظر نحواً من هذا النقل في تاج العروس (٣ / ٥٠٥).

وكان مولى للنّخع، وقيل لغيرهم^(١).

ولم أقف على من ذكر سبب تلقيبه بالكسائي، ولعل السبب في ذلك ما قيل: من أنه كان يتجر إلى ناحية فرقب، وربما كانت تجارته بالثياب^(٢).

ثانيًا: مكانته العلمية:

كان إمامًا في النحو والقراءات وأشعار العرب، والأنساب. قال الهيثم بن عدي: (رأيت زهيرًا الفرقبيّ. وقد اجتمع عليه ناس يسألونه عن القراءات والعربية، وهو يجيبهم ويحتجّ على ما يقول بأشعار العرب)^(٣).

وكان له اختيار في القراءة ويروى عنه^(٤). وكان في زمن عاصم^(٥).

قال الهيثم بن عدي: (ورأى النبي . صلى الله عليه وسلم . في النوم، وهو يقول: (يا زهير، عليك بالقرآن). فلم يكن بعد ذلك يتكلم في غيره)^(٦).

وقال القفطي وياقوت الحموي: (وكان عالمًا بالنسب)^(٧).

ثالثًا: شيوخه:

زهير يعد من نحوي الكوفة، وقد أخذ علمه من أصحاب أبي الأسود الدؤلي كما نقل عنه ذلك، قال أبو بكر بن عياش: (قلت لزهير الفرقبيّ بمكة: أنى لك النحو؟ قال: سمعناه من أصحاب أبي الأسود فأخذناه)^(٨).

(١) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨ / ٢).

(٢) انظر: ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب (ص: ١٩١)، وتاج العروس (٣ / ٥٠٥).

(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٩ / ٢).

(٤) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١ / ٢٩٥)، وتاج العروس (٣ / ٥٠٤).

(٥) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١ / ٢٩٥).

(٦) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٩ / ٢).

(٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٩ / ٢)، ومعجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٣ / ١٣٢٨).

(٨) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨ / ٢).

وذكر القفطي^(١) أنه كان يروي كثيراً من ذلك عن ميمون الأقرن، ولم يبين أكانت روايته عنه مشافهة أم بوساطة؟

رابعاً: تلاميذه:

ذكر القفطي^(٢) أن أبا جعفر الرؤاسي يأخذ عنه. وقال ابن الجزري والزيدي: (روى عنه الحروف نعيم بن ميسرة النحوي)^(٣).

خامساً: وفاته:

مات زهير سنة خمس وخمسين ومائة للهجرة في زمن المنصور^(٤). وقيل: سنة ست وخمسين ومائة^(٥).

ولم أقف على من تحدث عن عمره حين وفاته، وكذلك لم أقف على من ذكر تاريخ ولادته؛ لذا فإنه يصعب معرفة عمره حين وفاته.

ثالثاً: القراءة الشاذة:

تعريفها، وحكم العلم بها، وحكم القراءة بها:

أولاً: تعريف القراءة الشاذة:

لقد رأيت أثناء بحثي عن تعريف للقراءة الشاذة اختلافاً في تعريفها، ومن أوضح ما قيل في تعريفها ما نقله الزركشي عن شهاب الدين أبي شامة، وهو قوله: (وَقَالَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ: كُلُّ قِرَاءَةٍ سَاعَدَهَا خَطُّ الْمُصْحَفِ مَعَ صِحَّةِ النَّقْلِ فِيهَا

(١) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٩ / ٢).

(٢) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٩ / ٢).

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (٢٩٥ / ١)، وتاج العروس (٥٠٥ / ٣).

(٤) انظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (١٢٢٨ / ٣)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨ / ٢).

(٥) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨ / ٢).

وَمَجِيئُهَا عَلَى الْفَصِيحِ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ فَهِيَ قِرَاءَةٌ صَحِيحَةٌ مُعْتَبَرَةٌ، فَإِنْ اخْتَلَّ أَحَدُ هَذِهِ
الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ أُطْلِقَ عَلَى تِلْكَ الْقِرَاءَةِ أَنَّهَا شَاذَةٌ وَضَعِيفَةٌ ... وَنَصَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ
مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَيْرَوَانِيُّ^(١).

إذن فالقراءة الشاذة ما فقدت أحد الشروط الثلاثة التي اشترطت في القراءة
الصحيحة المعتمدة. وقد أكد ذلك نور الدين الحلبي، فقال: هي (كل قراءة لم يتوفر فيها
شرط واحد من شروط القراءة الصحيحة التي سبقت في ضابط القراءة الصحيحة)^(٢).
والشروط الثلاثة التي ذكرها هي:

١. موافقة العربية ولو بوجه.

٢. موافقة خط أحد المصاحف ولو احتمالاً.

٣. صحة السند^(٣).

ثم ذكر أن هذا الإطلاق للشذوذ قديم، وذكر أن الأصل ألا يطلق لفظ الشذوذ إلا على
ما خالف رسم المصحف، قال: (وهذا الإطلاق للشذوذ قديم، وكان الأصل فيه إطلاق
الشذوذ على ما خالف رسم المصحف، واستوفى سائر الشروط، ويطلق على القراءة التي
استوفت الشروط إلا أن سندها ضعيف: «رواية ضعيفة»، كما أطلقوا عليها وصف:
«الشذوذ» أيضا على سبيل التوسع. أما إذا لم يوجد للقراءة سند فإنها تكون رواية
مكذوبة مختلقة، يكفر متعمدها حتى لو وافقت المعنى ورسم المصحف)^(٤). فهو يرى أن
لفظ الشذوذ لا يطلق على القراءة إلا إذا خالفت رسم المصحف.

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٣١).

(٢) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر (ص: ١٤٧، ١٤٨).

(٤) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر (ص: ١٥٣).

في حين أن السيوطي حصر القراءة الشاذة بما لم يصح سنده، فقال: ((الرَّابِعُ: الشَّاذُّ وَهُوَ مَا لَمْ يَصَحَّ سَنَدُهُ، وَفِيهِ كُتِبَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةٌ: "مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ" ^(١) بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَنَصَبَ "يَوْمَ" ^(٢))).

وقد عرفها إبراهيم الجرمي بأنها: (القراءة التي تروى آحاداً، وتخالف خط المصحف العثماني الإمام. والقراءة الشاذة لا تعني ضعف السند، فقد تكون صحيحة السند وموافقة للغة العربية، ولكنها لم تثبت بطريق التواتر) ^(٣). ويلحظ في هذا التعريف بعض الاختلاف عما سبقه.

ثانياً: حكم العمل بالقراءة الشاذة والاستدلال بها:

اختلف العلماء في ذلك، فنقل عن الشافعي أنه لا يجوز العمل بها؛ لأنها ليست بحديث ولا قرآن، ولو أنها كانت قرآناً لتواترت.

وقال أبو حنيفة: يجب العمل بها؛ لأنها لا تخلو إما أن تكون قرآناً أو خبراً من الرسول . صلى الله عليه وسلم . لتفسير القرآن، ولكل منهما حجة.

ورد على أبي حنيفة بأنه كيف تكون حجة مع أنه إذا وقع بينها وبين القراءة المتواترة تعارض سقطت؟ ورد بأنها لا تسقط إلا إذا تعذر الجمع بينها وبين المتواترة ^(٤).

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) الإتيان في علوم القرآن (١ / ٢٦٥).

(٣) معجم علوم القرآن (ص: ٢٢٠).

(٤) انظر الخلاف في هذه المسألة في: النفح الشذي شرح جامع الترمذي (٣ / ٦١)، ورياض الألفهام في شرح عمدة الأحكام (١ / ٥٦٤)، وشرح الزركشي على مختصر الخرقى (٧ / ١٤٤)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣ / ٦٤٤)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج (٩ / ١٩٣)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢ / ٢٠٢)، والتفسير المظهرى (١ / ٢٩٢).

وأكد الرازي ما ذهب إليه الحنفية من أن القراءة الشاذة لا توجب علماً ولا عملاً، وكرر ذلك في غير موضع من تفسيره، ومما قاله: (وَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ: أَنَّ الْقِرَاءَةَ الشَّاذَّةَ مَرْدُودَةٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ قَرَأْنَا وَجَبَ أَنْ يُثَبَّتَ بِالتَّوَاتُرِ فَحَيْثُ لَمْ يُثَبَّتْ بِالتَّوَاتُرِ فَقَطَعْنَا أَنَّهُ لَيْسَ بِقُرْآنٍ)^(١). وقال أيضاً: (أَمَّا الْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ فَمَرْدُودَةٌ قَطْعًا، لِأَنَّا إِنْ جَوَّزْنَا ثُبُوتَ قُرْآنٍ غَيْرِ مَنَقُولٍ بِالتَّوَاتُرِ لَزِمَ الطَّعْنُ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ الْآنَ بِكَثِيرٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ)^(٢). وقال أيضاً: (لأن القراءة الشاذة لا ترفع القراءة المتواترة)^(٣).

واختلف بعض العلماء في نقل الإجماع في هذه المسألة، فنقل ابن تيمية الإجماع عن ابن عبد البر بأن القراءة الشاذة إذا صح النقل بها عن الصحابة فإنه يجوز الاستدلال بها في الأحكام^(٤).

ونقل تاج الدين الفakahاني^(٥) عكس ذلك عن ابن العربي بأنه يرى الإجماع بأن القراءة الشاذة لا توجب علماً ولا عملاً.

وأكد ذلك أيضاً القاضي المعافري، فنقل عكس ما نقله ابن تيمية عن ابن عبد البر، فذكر اتفاق الأمة على أن القراءة الشاذة لا توجب علماً ولا عملاً، فقال: (لاتفاق الأمة على أن القراءة الشاذة لا توجب علماً ولا عملاً)^(٦).

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦ / ٤٣٢).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١ / ٢٩٨).

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤ / ٦٨). وانظر أيضاً: (١١ / ٣٥٥).

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣ / ١٦٩).

(٥) انظر: رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (١ / ٥٦٣).

(٦) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: ٣١٩).

ثالثاً: حكم القراءة بالشاذة في الصلاة أو غيرها:

تحدث الزركشي عن هذه المسألة وأطال، ومفاد كلامه أنه لا تجوز القراءة بالشواذ لا في الصلاة ولا في غيرها، وذكر أن هذا قول جمهور العلماء، بل إن منهم من نقل الإجماع في عدم جواز ذلك، ونقل كلاماً عن النووي جاء فيه: (قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ وَلَا غَيْرِهَا بِالْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ قُرْآنًا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِالتَّوَاتُرِ، وَالْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ لَيْسَتْ مُتَوَاتِرَةً، وَمَنْ قَالَ غَيْرَهُ فَغَالِطٌ أَوْ جَاهِلٌ، فَلَوْ خَالَفَ وَقَرَأَ بِالشَّاذِّ أَكْرَ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ اتَّفَقَ فَقَهَاءُ بَغْدَادَ عَلَى اسْتِثْنَاءِ مَنْ قَرَأَ بِالشَّوَادِ، وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِالشَّوَادِ، وَلَا يُصَلَّى خَلْفَ مَنْ يَقْرَأُ بِهَا)^(١).

وصرح القرافي^(٢) بأنه لا يجوز القراءة بالصلاة بالقراءة الشاذة، ومن صلى خلف إمام يقرأ بها فيجب أن يعيد صلاته.

وذكر ابن تيمية^(٣) أن للإمام أحمد روايتين: إحداهما: أنه يجوز القراءة بها؛ لأن الصحابة قرؤوا بها. والأخرى: أنه لا يجوز القراءة بها. وذهب ابن تيمية إلى أن عدم الجواز قول أكثر العلماء.

وأجاز بعضهم القراءة بها في الصلاة بشرط ألا يكون فيها تغيير معنى ولا زيادة حرف ولا نقصانه، وممن صرح بذلك عبد الكريم القزويني^(٤).

* * *

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٣٣).

(٢) انظر: الذخيرة للقرافي (٢/ ١٨٧).

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/ ٤١٨).

(٤) انظر: العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير (١/ ٤٩٧).

المبحث الأول: دراسة قراءة زهير وتوجيهها النحوي والصرفي والدلالي:

المطلب الأول: توجيه قراءة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ برفع "ريب"

قراءة الجمهور^(١): ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢). بفتح "ريب" ببنائه على الفتح؛ لأنه اسم "لا" مفرد فيبني على الفتح في محل نصب، وقد اختلف النحويون في توجيه سبب بنائه على الفتح وعدم تنويه، ومن أشهر ما ذكر في ذلك ما يأتي:

أن "لا" مشبهة بـ "إن"، فهي تعمل عملها، لكن بني اسمها على الفتح؛ لأن "لا" ركبت مع اسمها تركيب خمسة عشر، فبني على الفتح من غير تنوين، قال الأخفش: (وذلك أن كل اسم منكور نفيته بـ "لا" وجعلت "لا" إلى جنب الاسم فهو مفتوح بغير تنوين؛ لأن "لا" مشبهة بالفعل، كما شبهت "إن" و "ما" بالفعل. و "فيه" في موضع خبرها وخبرها رفع، وهو بمنزلة الفاعل، وصار المنصوب بمنزلة المفعول به، و "لا" بمنزلة الفعل. وإنما حذفت التنوين منه؛ لأنك جعلته و "لا" اسماً واحداً، وكل شيئين جُعِلَا اسماً واحداً لم يصرفا. والفتحة التي فيه لجميع الاسم، بني عليها وجعل غير متمكن. والاسم الذي بعد "لا" في موضع نصب عملت فيه "لا")^(٣).

وقال النحاس في تعليل بناء اسم "لا" على الفتح: (نصب "ريب"؛ لأن "لا" عند البصريين مضارعة لـ "إن" فنصبوا بها وأن "لا" لم تعمل إلّا في نكرة؛ لأنها جواب نكرة فيها معنى "من" بنيت مع النكرة فصيراً شيئاً واحداً)^(٤).

(١) انظر: معاني القراءات للأزهري (١/ ١٢٢)، والبحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢).

(٢) البقرة: ٢.

(٣) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٤).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤).

وقال مكي في إعراب "لا ريب" على قراءة العامة: (وَقَوْلُهُ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: "لَا" تبرئة فَهِيَ وَ"رَيْب" كاسم واحد، وَلِذَلِكَ بَنِي "رَيْب" عَلَى الْفَتْحِ؛ لِأَنَّهُ مَعَ "لَا" كخمسَةِ عَشَرَ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ رَفْعِ خَبَرٍ "ذَلِكَ" ^(١).

وما ذكره الأخفش والنحاس ومكي هنا هو قول جمهور النحويين ^(٢).
وقيل: إن "لا" نصبت؛ لأن المعنى: لا أجد ريباً، فلما حذف الفعل حذف التنوين، قال النحاس: (وقيل: إنما نصبت؛ لأن المعنى: لا أجد ريباً، فلما حذف الناصب حذفت التنوين) ^(٣).

توثيق عزو قراءة زهير الفرقي:

عزا ابن خالويه لزهير الفرقي أنه قرأ: (لا ريبٌ فيه) برفع "ريب"، فقال: (قال أبو عبد الله تأملت كتاب الله فوجدت فيه مائة وخمسين حرفاً مما ينون ولا ينون، وسأذكرها جملة ليسهل حفظها على من أراد ذلك، وما توفيقي إلا بالله؛ فأول ذلك سورة البقرة قرأ زهير الفرقي: (لا ريبٌ فيه)) ^(٤).
وعزاها الزمخشري وتبعه الرازي ^(٥) وأبو حيان ^(٦) إلى أبي الشعثاء، قال الزمخشري: (وقرأ أبو الشعثاء: (لا ريبٌ فيه) بالرفع) ^(٧).

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٧٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٦٩)، والتفسير الوسيط للواحدي (١/ ٧٧).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤).

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها ٢٣٧/١.

(٥) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢/ ٢٦٦).

(٦) انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢).

(٧) تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣٥).

وعزا أبو حيان^(١) أيضًا هذه القراءة إلى زيد بن علي، وذكر أنها قراءته حيث وقع "ريب".

وقد أجاز النحاس رفع "ريب"، لكنه لم يذكر أنها قراءة، ولعله رأى أن ذلك جائز في اللغة، فقال: (وَيَجُوزُ (لَا رَيْبَ فِيهِ) تَجْعَلُ "لَا" بِمَعْنَى "لَيْسَ")^(٢).

وأنكر بعض العلماء أنه قرئ برفع "ريب" مع تأكيدهم أن ذلك جائز لغة، لأن القراءة سنة متبعة، ولم يسمع قراءتها بالرفع، وممن صرح بذلك الأزهرى، قال: (اتفق القراء على نصب (لَا رَيْبَ). وجائز في العربية أن تقول: (لَا رَيْبَ فِيهِ)، ولكن لا يجوز القراءة بها، لأن القراءة سنة مُتَّبَعَةٌ)^(٣).

ونقل أبو بكر الأنباري عن الفراء أنه نفى أن تكون هناك قراءة برفع "ريب"، فقال: (قال الفراء إنما يحسن فيه الرفع إذا نُسِقَ عَلَيْهِ بـ "وَلَا"، فإذا لم ينسق عليه بـ "وَلَا" فاخياره النصب كقوله جل وعز: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ الريب منصوب بـ "لَا" على التبرئة و"فيه" خبر التبرئة، قال: ولم يقرأ أحد من القراء "لَا رَيْبَ فِيهِ" بالرفع. قال أبو بكر: وزعم الفراء أنها لغة للعرب، وحكى عن بعضهم: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ")^(٤).

توجيه قراءة زهير الفرق بينها وبين قراءة الجمهور:

قراءة فتح "ريب" المشهورة تدل على وجوب نفي عموم الجنس، وقراءة زهير بالرفع لا تدل على ذلك، ففيها عموم الجنس جائز لا واجب، وقد أكد على هذا المعنى كثير من العلماء، ومن ذلك ما قاله أبو علي الفارسي: (وحجة من فتح، فقال: ﴿فَلَا رَفَتْ

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤).

(٣) معاني القراءات للأزهري (١/ ١٢٢).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٤).

وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ ﴿١﴾ أن يقول: إنه أشد مطابقة للمعنى المقصود، ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق؟ كما أنه إذا قال: (لَا رَبِّبَ فِيهِ) فقد نفى جميع هذا الجنس، فإذا رفع ونوّن فكأن النفي لواحد منه، ألا ترى أن سيبويه^(٢) يرى: أنه إذا قال: لا غلام عندك ولا جارية، فهو جواب من سأل، فقال: أغلام عندك أم جارية؟ والفتح أولى؛ لأن النفي قد عم، والمعنى عليه، ألا ترى أنه لم يرخص في ضرب من الرفث والفسوق كما لم يرخص في ضرب من الجدال؟^(٣)

وقد تبع الفارسيّ ابن زنجلة^(٤) في هذا، ونقل جل كلامه الآنف.

ونص الزمخشري على الفرق بين قراءة زهير هذه تحديداً، والقراءة المشهورة بأن القراءة المشهورة توجب استغراق النفي، بخلاف قراءة الرفع فإنها تجوزه، فقال: (والفرق بينها وبين المشهورة، أن المشهورة توجب الاستغراق، وهذه تجوّزه)^(٥).

وقد تبع الرازي الزمخشري في هذا التوجيه لكنه ذكر كلاماً فيه زيادة بيان وتفصيل، أسوقه هنا لأهميته، قال: (قَرَأَ أَبُو الشَّعْثَاءِ (لَا رَبِّبَ فِيهِ) بِالرَّفْعِ. وَعَلِمَ أَنَّ الْقِرَاءَةَ الْمَشْهُورَةَ تَوْجِبُ ارْتِفَاعَ الرَّبِّبِ بِالْكَلْبَةِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ قَوْلَهُ: "لَا رَبِّبَ" نَفْيٌ لِمَاهِيَةِ الرَّبِّبِ، وَنَفْيُ الْمَاهِيَةِ يَقْتَضِي نَفْيَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمَاهِيَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْمَاهِيَةِ لَثَبَّتِ الْمَاهِيَةُ، وَذَلِكَ يَنَاقِضُ نَفْيَ الْمَاهِيَةِ؛ وَلِهَذَا السِّرُّ كَانَ قَوْلُنَا: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" نَفْيًا لِجَمِيعِ

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه (٢ / ٢٩٥).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٢ / ٢٩١).

(٤) انظر: حجة القراءات (ص: ١٢٩).

(٥) تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١ / ٣٥).

الْإِلَهَةِ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَّا قَوْلُنَا: (لَا رَيْبَ فِيهِ) بِالرَّفْعِ فَهُوَ نَقِيضٌ لِقَوْلُنَا: (رَيْبَ فِيهِ). وَهُوَ يُفِيدُ ثُبُوتَ فَرْدٍ وَاحِدٍ، فَذَلِكَ النَّفْيُ يُوْجِبُ انْتِفَاءَ جَمِيعِ الْأَفْرَادِ لِيَتَحَقَّقَ التَّنَاقُضُ^(١).

و"لا" على هذه القراءة تعمل عمل "ليس" التي ترفع الاسم، وقد نص على ذلك النحاس فقال: (ويجوز (لَا رَيْبَ فِيهِ) تجعل "لا" بمعنى "ليس")^(٢). وقال أيضاً: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾^(٣) مثل (لا ريب فيه). ويجوز (لا عِلْمَ لَنَا) يجعل "لا" بمعنى "ليس"^(٤). وتبعه مكي القيسي^(٥).

ف"لا" على قراءة الجمهور عاملة عمل "إن"، وتوجب نفي العموم، وعلى قراءة زهير عاملة عمل "ليس"، وتنفي الوحدة، لا العموم، قال السمين الحلبي: (وهذا يتمشى على عُرْفِ النحويين فإنهم يقولون: "لا" العاملة عمل "ليس" لنفي الوحدة، والعاملة عمل "إن" لنفي الجنس، قالوا: ولذلك يُقال: لا رجلٌ فيها بل رجلان أو رجال إذا رفعت، ولا يحسن ذلك إذا بنيت اسمها أو نصبت بها)^(٦).

وضعف أبو حيان إعمالها عمل "ليس" هنا؛ لأن ذلك قليل، ولذا ضعف هذه القراءة، فقال: (وَحَمَلُ "لَا" فِي قِرَاءَةِ: (لَا رَيْبَ) عَلَى أَنَّهَا تَعْمَلُ عَمَلَ "لَيْسَ" ضَعِيفٌ لِقِلَّةِ إِعْمَالِ "لَا" عَمَلَ "لَيْسَ"، فَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ ضَعِيفَةً)^(٧).

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢/ ٢٦٦).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٤).

(٣) البقرة: ٣٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٤).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ١٢٤).

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢/ ٣٢٦).

(٧) البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢).

ويتبين من توجيه هذه القراءة والفرق بينها وبين القراءة المشهورة أن القراءة المشهورة أبلغ في المعنى، وهي المناسبة للسياق؛ إذ لا شك أن القرآن الكريم لا ريب فيه نفيًا عامًا موجبًا استغراق الجنس كله.

ولأبي حيان كلام نفيس في هذه المسألة بين فيه أن المراد نفي الجنس عمومًا في القراءتين. ففي قراءة الجمهور أفادت ذلك من اللفظ والمعنى، وفي قراءة زهير أفادت ذلك من المعنى، قال: (وَقَرَأَ أَبُو الشَّعَثَاءِ: (لَا رَيْبَ فِيهِ) بِالرَّفْعِ، وَكَذَا قِرَاءَةُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ حَيْثُ وَقَعَ، وَالْمُرَادُ أَيْضًا هُنَا الْإِسْتِغْرَاقُ، لَا مِنْ اللَّفْظِ بَلْ مِنْ دَلَالَةِ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ نَفْيَ رَبِّ وَوَاحِدٍ عَنْهُ، وَصَارَ تَطْيِيرٌ مَنْ قَرَأَ: ﴿فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوقَ﴾^(١) بِالْبِنَاءِ وَالرَّفْعِ، لَكِنَّ الْبِنَاءَ يَدُلُّ بِلَفْظِهِ عَلَى قَضِيَّةِ الْعُمُومِ، وَالرَّفْعُ لَا يَدُلُّ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ الْعُمُومَ، وَيَحْتَمِلُ نَفْيَ الْوَحْدَةِ، لَكِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ الْعُمُومَ^(٢)).

وذهب السمين الحلبي إلى رأي مفاده أن "لا" مع النكرة تفيد العموم مطلقاً رفع اسمها أم بني على الفتح، فقال بعد أن بين الفرق بين المعنى في القراءتين: (والظاهر أن النكرة في سياق النفي مطلقاً للعموم)^(٣).

المطلب الثاني:

توجيه قراءة: ﴿قَالَ اتَّسَبَّدُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(٤) بهمز "أدناً" قرأ الجمهور "أدنى" من دون همز، وقد وجهت هذه القراءة بتوجيهات، منها:

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢/ ٣٢٦).

(٤) البقرة: ٦١.

أنه من الشيء القريب، وذهب إلى ذلك الزجاج، فقال: (أما "أدنى" غير مهموز، فمعناه الذي هو أقرب وأقل قيمة، كما تقول، هذا ثوب مقارب)^(١).
وتبعه ابن جني، قال: (غير أن القراءة بترك الهمز: "أدنى"، وينبغي أن يكون من دنا يدنو: أي: قريب)^(٢).

وتبعهما السمين الحلبي، وفصل الكلام فيه بمزيد من التوضيح والبيان، فقال: (قوله: "أدنى" فيه ثلاثة أقوال: أحدها وهو الظاهر، وهو قول أبي إسحاق الزجاج أن أصله: أدنو من الدنو وهو القرب، فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومعنى الدنو في ذلك وجهان: أحدهما: أنه أقرب لقلّة قيمته وخساسته. والثاني: أنه أقرب لكم، لأنه في الدنيا بخلاف الذي هو خير، فإنه بالصبر عليه يحصل نفعه في الآخرة)^(٣).

وذكر الواحدي أن بعض النحويين ذهب إلى أنه من "أدون"، فقدمت النون وحولت الواو ألفاً، ولكنه ضعفه، فقال: (قال بعض النحويين: "أدنى" هاهنا بمعنى "أدون"؛ أي: أوضع وأخس، فقدمت النون وحولت الواو ألفاً، وهذا خطأ، فقد أجمعوا على أنه لا يشتق فعل من "دون" إذا كان بمعنى أخس كقولهم: فلان دونك في الشرف)^(٤).

ونقل ابن عطية^(٥) والسمين الحلبي^(٦) هذا الرأي، لكن لم ينسباه لأحد.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٣). وانظر أيضاً: تهذيب اللغة (١٤/ ١٣٢).

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ٨٩).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/ ٣٩٤).

(٤) التفسير البسيط (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦).

(٥) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٥٣).

(٦) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/ ٣٩٤).

وعزا ابن عطية إلى علي بن سليمان الأخفش أنه مهموز من الدناءة لكنه خفف، فقال: (وقال علي بن سليمان: هو مهموز من الدنيء البين الدناءة، بمعنى الأخس، إلا أنه خففت همزته)^(١).

وذكر السمين^(٢) وأبو السعود^(٣) أن هذه التوجيه يدل عليه قراءة "أدناً" بالهمز.

توثيق عزو القراءة إلى زهير الفرقبي:

عزي إلى زهير الفرقبي أنه قرأ "أدناً" بالهمز^(٤)، وممن عزاها إليه الفراء، قال: (وقد كان زُهير الفُرْقَبِيُّ يَهْمِزُ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾)^(٥). وعزاها إليه كذلك ابن جني، قال: (ومن ذلك قراءة زهير الفرقبي: "الذي هو أدناً" بالهمز)^(٦).

وعزاها إليه كذلك الزمخشري^(٧)، والرازي^(٨)، وأبو حيان^(٩)، والسمين الحلبي^(١٠)، وابن عادل^(١١).

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٥٣).

(٢) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/ ٣٩٤).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٠٧).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١٣٢)، والتفسير البسيط (٢/ ٥٨٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (١/ ٤٢).

(٦) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ٨٨).

(٧) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٤٥).

(٨) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٥٣٢).

(٩) انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٧٧).

(١٠) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/ ٣٩٤).

(١١) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٢/ ١١٩).

وأشار الزجاج إلى هذه القراءة لكنه لم ينسبها إلى أحد، وذكر أن قراءة غير الهمز أولى بالاتباع، فقال: (وقد قرأ بعضهم: (أدناً بالذي هو خير) وكلاهما له وجه في اللغة إلا أن ترك الهمزة أولى بالاتباع)^(١).

وعزا ابن عطية هذه القراءة إلى الكسائي، فقال: (وقرأ زهير للكسائي: "أدناً")^(٢)، وهو وهم منه، أو من الناسخ؛ لأن زهيراً يلقب بالكسائي؛ ولأنني لم أقف على من عزا هذه القراءة للكسائي على الرغم من شهرته وشهرة قراءته وعناية العلماء بها، ولأن هذه القراءة مشهورة عند العلماء أنها لزهير الفرقي الملقب بالكسائي.

وتبعه في هذا الوهم الألويسي، فقال: (ويؤيده قراءة زهير والكسائي "أدناً" بالهمزة)^(٣)، وأيضاً تبعهما إبراهيم الأبياري^(٤).

ثم إنني وقفت بعد ذلك على كلام لأبي حيان أكد فيه ما ذهبت إليه، لكنه لم يصرح بمن وقع في هذا الوهم، ويظهر لي أنه يقصد ابن عطية، فقال: (وقرأ زهير الفرقي، ويقال له زهير الكسائي: "أدناً" بالهمز، ووقع لبعض من جمَعَ في التفسير وهم في نسبة هذه القراءة للكسائي، فقال: وقرأ زهير والكسائي شاذاً: "أدناً"، فظن أن هذه قراءة الكسائي، وجعل زهيراً والكسائي شخصين، وإنما هو زهير الكسائي يعرف بذلك، وبالفريقي، فهو رجل واحد)^(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٤٣).

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٥٣).

(٣) تفسير الألويسي = روح المعاني (١/ ٢٧٦).

(٤) انظر: الموسوعة القرآنية (٥ / ٦٥).

(٥) البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٧٧).

توجيه قراءة زهير الفرقبي:

اختلف العلماء في توجيه قراءة الفرقبي، ومما قيل في ذلك ما صرح به الفراء من أن توجيه همزه أنه من المجون، فقولهم: دَنُوءٌ دَنَاءَةٌ وَهُوَ دَنِيٌّ بِالْهَمْزِ وَهُوَ أَدْنَأُ مِنْهُ إِذَا كَانَ مَاجِنًا، وأنه لا يهمز إذا كان من باب الخسة، ويهمز إذا كان من باب المجون، وقد تبعه الأزهري^(١). قال الفراء: (إنه لَدَنِيٌّ، ولا يهمزون يَدَنِيَّ فِي الْأُمُورِ، أَي: يَتَّبِعُ خَسِيسَهَا وَأَصَاغَرَهَا. وَقَدْ كَانَ زُهَيْرُ الْفُرْقَبِيِّ يَهْمِزُ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾. وَلَمْ نَرِ الْعَرَبَ تَهْمِزُ أَدْنَى إِذَا كَانَ مِنَ الْخِسَةِ، وَهَمَّ فِي ذَلِكَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَدَانِي خَبِيثٌ إِذَا كَانَ مَاجِنًا، فِيهِمْزُونَ)^(٢).

وذهب أبو زيد فيما نقل عنه أنه بالهمز بمعنى الدنيء الذي لا خير فيه، قال ابن جني: (ومن ذلك قراءة زهير الفرقبي: "الذي هو أدنأ" بالهمز. قال أبو الفتح: أخبرنا أبو علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس محمد بن يزيد عن الرياشي عن أبي زيد قال: تقول: دَنُوءُ الرَّجُلِ يَدْنُوءُ دَنَاءَةً، وَقَدْ دَنَا يَدْنَأُ إِذَا كَانَ دَنِيًّا لَا خَيْرَ فِيهِ)^(٣).

وذهب الزجاج إلى أنه بالهمز بمعنى الخسة، قال: (فَأَمَّا الْخَسِيسُ فَاللُّغَةُ فِيهِ أَنَّهُ مَهْمُوزٌ، يُقَالُ: دَنُوءٌ، دَنَاءَةٌ، وَهُوَ دَنِيٌّ بِالْهَمْزَةِ، وَيُقَالُ: هَذَا أَدْنَأُ مِنْهُ بِالْهَمْزَةِ)^(٤).

وقد اختار الجوهري رأي الفراء، فقال بعد أن نقل رأي الفراء والزجاج: (قلت: أهل اللُّغَةِ لَا يَهْمِزُونَ دَنُوءَ فِي بَابِ الْخِسَةِ، وَإِنَّمَا يَهْمِزُونَهُ فِي بَابِ الْمَجُونِ وَالْخُبْثِ)^(٥).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٤ / ١٣٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (١ / ٤٢).

(٣) المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١ / ٨٨ - ٨٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١ / ١٤٤)، وانظر أيضًا: تهذيب اللغة (١٤ / ١٣٢).

(٥) تهذيب اللغة (١٤ / ١٣٢).

وذهب الزمخشري^(١) إلى أنه بالهمز من الدناءة، ولم يزد عن ذلك.

المطلب الثالث:

توجيه قراءة قوله تعالى: ﴿يَوْمُ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ (٢)
برفع "يوم"

قرأ جمهور القراء^(٣) بنصب "يوم" من قوله تعالى: ﴿يَوْمُ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا
يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾.

توجيه قراءة الجمهور:

نص بعض العلماء على أن "يوم" منصوب على الظرفية، والعامل فيه الفعل "ينفع"^(٤).
قال العكبري: (قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَوْمُ يَأْتِي): الْجُمْهُورُ عَلَى النَّصْبِ، وَالْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ لَا
يَنْفَعُ)^(٥).

وتبع العكبري في ذلك ابن عادل^(٦). لكنه أشار إلى أمر مهم، وهو أنه قد يقال: إن "لا"
في قوله: "لا ينفع" لها الصدارة، ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فأجاب عن هذا بقوله:
(الجمهور على نصب "يَوْمٍ"، وناصبه ما بعد "لا"، وهذا على أحد الأقوال الثلاثة في "لا"، وهي
أنها يتقدم معمول ما بعدها عليها مطلقاً، ولا يتقدم مطلقاً، ويفصل في الثالث: بين أن
يكون جواب قسم، فيمتنع؛ أو لا، فيجوز)^(٧).

(١) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١ / ١٤٥).

(٢) الأنعام: ١٥٨.

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١ / ٥٥١)، واللباب في علوم الكتاب (٨ / ٥٢٦)، وروح البيان (٣ / ١٢٣).

(٤) انظر: إعراب القرآن العظيم المنسوب لذكريا الأنصاري (ص: ٢٧٣).

(٥) التبيان في إعراب القرآن (١ / ٥٥١).

(٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٨ / ٥٢٦).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (٨ / ٥٢٦).

وكثير من العلماء لم يتطرق إلى توجيه قراءة الجمهور، وسبب ذلك ظهور المعنى والإعراب فيها، وهم في العادة لا يتحدثون إلا على ما أشكل، ولذا فإن كل من ذكر قراءة غير الجمهور تحدث عن توجيهها؛ لأنهم رأوا أن فيها ما يحتاج إلى توضيح.

توثيق عزو القراءة لزهير الفرقبي:

عزا ابن جني وابن عطية^(١) وابن عادل^(٢) لزهير الفرقبي أنه قرأ برفع "يوم" من قوله تعالى: ﴿يَوْمُ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾، قال ابن جني: (ومن ذلك قراءة زهير الفرقبي: ﴿يَوْمُ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ بالرفع)^(٣).

وقد ذكر العكبري أن رفع "يوم" قراءة لكنه لم يعزها لأحد، فقال: (قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَوْمُ يَأْتِي): الْجُمْهُورُ عَلَى النَّصْبِ، وَالْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ "لَا يَنْفَعُ" وَقَرَأَ بِالرَّفْعِ، وَالْخَبَرُ لَا يَنْفَعُ، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، أَي: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا فِيهِ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى الْيَاءِ فِي يَنْفَعُ)^(٤).

توجيه قراءة زهير الفرقبي:

ذكر بعض العلماء أن "يوم" بالرفع على قراءة زهير مبتدأ، وخبره جملة "لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا"؛ ولأنه قد يؤخذ على هذا التوجيه عدم وجود رابط يربط الجملة بالمبتدأ اعتذروا بأن الرابط فيها مقدر، وهذا مقرر عند النحويين أن الرابط المقدر كالمذكور، ولهم في ذلك شواهد من كلام العرب، ومنه قولهم: "السمن منوان بدرهم"، أي: منوان منه، فحذف العائد مع قصر الكلام، فحذفه مع طوله أولى.

(١) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣٦٧).

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٥٢٦).

(٣) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ٢٣٦).

(٤) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٥١).

وممن صرح بهذا التوجيه ابن جني، قال: (قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون ارتفاع اليوم بالابتداء، والجملة التي هي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ خبر عنه، والعائد من الجملة محذوف لطول الكلام والعلم به، وإذا كانوا قد قالوا: "السمن مَنّوان بدرهم"، فحذفوا وهم يريدون "منه" مع قصر الكلام؛ كان حذف العائد هنا لطول الكلام أسوغ، وتقديره: لا ينفع فيه نفساً إيمانها، ومثله قولهم: البرُّ الكرُّ بستين، أي: الكرُّ منه^(١).

وتبع ابن عطية ابن جني في هذا التوجيه، لكنه جعل الفعل "ينفع" بالتاء، مع أن الإيمان مذكر؛ لأنه أضيف إلى المؤنث، أو لأنه نزل منزلة التوبة، فقال: (وقرأ زهير الفرقي "يومُ يأتي" بالرفع، وهو على الابتداء والخبر في الجملة التي هي "لا ينفع" بتاء، وأنث الإيمان لما أضيف إلى مؤنث. أو لما نزل منزلة التوبة، وقال جمهور أهل التأويل كما تقدم الآية التي لا تنفع التوبة من الشرك أو من المعاصي بعدها، هي طلوع الشمس من المغرب)^(٢).
وتبعهم العكبري^(٣)، وابن عادل^(٤) في هذا التوجيه وصرحاً بأن العائد الضمير المحذوف من "فيه"، وتقديره: لا تنفع فيه.

(١) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/٢٣٦).

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٣٦٧).

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٥١١).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٨/٥٢٦).

المطلب الرابع:

توجيه قراءة: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾^(١) بمنع صرف "سحر"

القراءة بصرف "سحر"، ولم أقف على من خالف ذلك من القراء إلا ما حكاه ابن خالويه عن زهير الفرقبي بأنه قرأ بمنعها من الصرف، فقال: (قال أبو عبد الله تأملت كتاب الله فوجدت فيه مائة وخمسين حرفاً مما ينون ولا ينون، وسأذكرها جملة ليسهل حفظها على من أراد ذلك، وما توفيقى إلا بالله:

...وفي (اقتربت الساعة) قرأ زهير الفرقبي: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ غير مصروف^(٢).

وقد ضبط محقق الكتاب الدكتور عبد الرحمن العثيمين أو الناسخ "لوط" و"سحر" بالفتح من غير تنوين، وكأنه يشير إلى أن قراءة زهير بعدم صرفهما، وقد تتبععت كلام العلماء في هذه الآية فما رأيت أحداً ذكر أن هناك قراءة بعدم صرفهما، وغاية الأمر أن من العلماء من أشار إلى أن "سحر" في الآية مصروفة؛ لأنه أراد التنكير، ولو كانت معرفة لمنعت من الصرف للتعريف والعدل عن الألف واللام، قال ابن يعيش: (وأما "سحر" فمعرفة إذا أردت سحر يوم بعينه، لا ينصرف للتعريف والعدل عن الألف واللام؛ فإن أردت التنكير، صرفته، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾^(٣)).

ومن كلام العلماء عن "سحر" واحتمال صرفها وعدمه في غير هذه الآية كما سيأتي في توجيه القراءة، وعدم حديثهم عن "لوط" من حيث صرفه وعدم صرفه بان لي أن ابن خالويه يقصد بقراءة الفرقبي "سحر" لا "لوط".

(١) القمر: ٣٤.

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٢٣٧. ٢٤٥.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش (١/ ١٢٣).

ولم أجد من العلماء من ذكر أن هذه قراءة فضلاً عما عزاها إلى زهير إلا ابن خالويه. ومما يؤكد ذلك ما ذكره النحاس من إجماع النحويين على صرفها في هذه الآية. قال: ﴿نَجِّنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ قال الفراء: "سحر" ها هنا يجري؛ لأنه نكرة كقولك: نجيناهم بليل. قال أبو جعفر: وهذا القول قول جميع النحويين لا نعلم فيه اختلافاً^(١). فهذا تصرح منه بأنه لم يخالف في صرف "سحر" أحد.

توجيه قراءة زهير الفرقبي:

تبين من خلال حديث النحويين عن "سحر" أنها إذا منعت من الصرف فإنه يراد بها التعريف؛ أي: سحر يوم بعينه. وهذا توجيه قراءة عدم الصرف، فتكون ممنوعة من الصرف لعلتين، هما التعريف والعدل^(٢)، أما على القراءة المشهورة قراءة صرف "سحر"، فإن المراد سحر أي يوم، فهي نكرة.

وممن صرح بهذه العلة في هذه الآية المرزوقي^(٣)، والزمخشري^(٤)، وابن الشجري^(٥)، وأبو الفرج ابن الجوزي^(٦)، والعكبري^(٧)، وابن يعيش^(٨)، وابن عقيل^(٩)، وكل هؤلاء وغيرهم لم يشيروا إلى أن في "سحر" قراءة أخرى غير الصرف إلا ما نقله ابن خالويه.

(١) إعراب القرآن للنحاس (٤ / ١٩٩).

(٢) انظر: الدلائل في غريب الحديث (٨٥١ / ٢).

(٣) انظر: الأزمنة والأمكنة (ص: ١٧٤).

(٤) انظر: تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٤ / ٤٣٩).

(٥) انظر: أمالي ابن الشجري (٢ / ٥٧٨).

(٦) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٤ / ٢٠١).

(٧) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢ / ١١٩٥).

(٨) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (١ / ٤٢٤).

(٩) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢ / ١٩٩).

قال المبرد: (فأما "سحر" فإنه معدول - إذا أردت به يومك - عن الألف واللام؛ فإن أردت سحراً من الأسحار صرفته؛ لأنه غير معدول، ألا ترى أنك تقول: جاءني زيد ليلة سحراً، وقمت مرة سحراً، وكل سحر طيب؟ فهذا منصرف، فتقول إذا أردت تعريفه: هذا السحر خير لك من أول الليل، وجئتك في أعلى السحر، وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾. فأما في يومك فإنه غلب عليه التعريف بغير إضافة؛ كما غلب ابن الزبير على واحد من بنيه^(١). وقال أيضاً: (وأما "سحر" فمعدول لا ينصرف، وإنما عدل عن الألف واللام كـ "آخر"، وهذا يفسر فيما ينصرف ومالا ينصرف، كذلك إن صغرتة فقلت سير به سحيراً صرفته؛ لأن فعيلاً لا يكون معدولاً، ولكن ترفعه بما ذكرت من قلّة تمكنه.

فإن نكرته انصرف وجرى على الوجوه؛ لأنه في بابه فقلت سير عليه سحرأي سحر من الأسحار، ويجوز نصبه على الظرف، قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾. فهذا جملة هذا الباب^(٢).

وقال الزجاج: (وقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ "سحر" إذا كان نكرة يراد به سحراً من الأسحار انصرف، تقول: أتيت زيدا سحراً من الأسحار، فإذا أردت سحر يومك قلت: أتيت لسحراً يا هذا، وأتيت سحراً يا هذا^(٣)).

وقال النحاس في كلام أوضح وأقرب عن "سحر" في هذه الآية، وعن سبب صرفها: ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ قال الفراء^(٤): "سحر" هاهنا يجري؛ لأنه نكرة كقولك: نجيناهم

(١) المقتضب (٣/ ٣٧٨).

(٢) المقتضب (٤/ ٣٥٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٩٠).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٩).

بليلى. قال أبو جعفر: وهذا القول قول جميع النحويين لا نعلم فيه اختلافاً إلا أنه قال بعده شيئاً يخالف فيه، قال: فإذا أُلقت العرب من سحر الباء لم يجروه، فقالوا: فعلت هذا سحر يا هذا. قال أبو جعفر: وقول البصريين أن سحر إذا كان نكرة انصرف وإذا كان معرفة لم ينصرف، ودخول الباء وخروجها واحد. والعلّة فيه عند سيبويه^(١) أنه معدول عن الألف واللام؛ لأنه يقال: أتيتك أعلى السّحر فلما حذفت الألف واللام وفيه نيتهما اعتلّ فلم ينصرف، تقول: سير بزيد سحر يا هذا، غير مصروف. ولا يجوز رفعه لعلّة ليس هذا موضع ذكرها^(٢).

وقال الجوهري: (وإن أردت بـ"سحر" نكرة صرفته، كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾)^(٣).

ويظهر مما تقدم أن النحويين ساقوا هذه الآية شاهداً على صرف "سحر"، لأنها جاءت نكرة، ولأن هذا هو المعنى المراد وهو تنكيرها ولذا جاءت في قراءة الجميع فيما عدا ما عناه ابن خالويه لزهير الفرقي بصرفها، ولا يخفى على المتأمل أن إرادة التنكير هنا لغرض بلاغي، فالتنكير أبلغ في أداء المعنى المراد من التعريف، والله تعالى أعلم.

(١) الكتاب لسيبويه (٣ / ٢٨٤).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٤ / ١٩٩).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢ / ٦٧٨).

المطلب الخامس:

توجيه قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^(١) بضم النون والهاء من "نهر"

قرأ الجمهور قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ بفتح النون والهاء من "نهر".

توجيه قراءة الجمهور:

ذهب أكثر العلماء في توجيه "نهر" بالإنفراد إلى أنه مفرد أريد به الجمع، قال أبو عبيدة: ("فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ" مجازها: أنهار)^(٢). وقال الفراء: (وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾: معناه: أنهار، وهو في مذهبه كقوله: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾^(٣). وزعم الكسائي أنه سَمِعَ العرب يقولون: "أتينا فلاناً فكنا في لحمه ونبيذة" فوحد، ومعناه الكثير^(٤).

وذكر الطبري أنه وحد هنا ومعناه الجمع، فقال: (وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في بساتين يوم القيامة، وأنهار، ووحد النهر في اللفظ ومعناه الجمع، كما وحد الدبر، ومعناه الأدبار في قوله: (يُولُونَ الدُّبْرَ))^(٥).

(١) القمر: ٤٤.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٤١).

(٣) القمر: ٤٥.

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ١١١).

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٢/ ٦٠٩).

وإلى هذا ذهب أيضاً الزجاج، قال: (كذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ المعنى في جنات وأنهار، والاسم الواحد يدل على الجميع فَيَجْتَزَأُ بِهِ مِنْ الْجَمِيعِ)^(١).

وذكر ابن دريد أن اللغة توجب أن يكون نَهَرٌ بمعنى أنهار، فقال: (واللغة توجب أن يكون نَهَرٌ في معنى أنهار، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾، أي: أطفالاً)^(٢). وممن ذهب إلى ذلك أيضاً النحاس^(٣)، والسمرقندي^(٤)، والجوهري^(٥)، وابن أبي زمنين^(٦)، ومكي القيسي^(٧)، وابن مالك، قال: (ثم استعمل المفرد مكان الجمع اتكالاً على مفهوم المعنى، كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾)^(٨). وتبعه الشيخ خالد الأزهرى^(٩).

وقال بعض العلماء: إن حقه أن يجمع لكنه صرف إلى الأفراد لسبب؛ ولذا نقل ابن قتيبة والسمرقندي^(١٠) عن الفراء أنه وحده، لأنه رأس آية، قال ابن قتيبة: (﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩٣ / ٥).

(٢) جمهرة اللغة (٨٠٧ / ٢).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٠٢ / ٤).

(٤) انظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣٧٦ / ٣).

(٥) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٨٤٠ / ٢).

(٦) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣٢٤ / ٤).

(٧) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٢٠٨ / ١١).

(٨) شرح التسهيل لابن مالك (٣٩٥ / ٢).

(٩) انظر: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو (٤٥٧ / ٢).

(١٠) انظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣٧٦ / ٣).

جَنَاتٍ وَنَهَرٍ ﴿١﴾، قال الفراء: "وُحِدَ، لأنه رأسُ آية، فَقَابَلَ بالتوحيد رءوسَ الآيِ" (١). وذكر
الواحدي (٢) أنه مما قيل في توجيه هذه القراءة.

وقيل: إن معناه سعة؛ أي: في جنات وسعة (٣)، وممن قال بذلك أبو هلال
العسكري (٤)، والواحدي (٥)، قال اليمان بن أبي اليمان: (والأنهار: مصدر أنهر الطعنة؛ أي:
أوسعها. وكل ما أنهرته فقد أوسعته، ولذلك سمي النهر نهراً، قال الله جل وعز: ﴿إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٦﴾﴾، أي: سعة (٦).

وقيل: إن معناه النهار (٧). قال الطبري بعد أن ذكر أنه مفرد أريد به الجمع: (وقد قيل:
إن معنى ذلك: إن المتقين في سعة يوم القيامة وضياء، فوجهوا معنى قوله: (وَنَهَرٍ) إلى
معنى النهار) (٨).

توثيق عزو القراءة إلى زهير الفرقبي:

عزا بعض العلماء إلى زهير الفرقبي قراءة "نُهر" بضم النون والهاء، وممن صرح بهذا
العزو ابن جني (٩)، وابن عطية (١٠)، وابن الجزري (١١).

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٣٤).

(٢) انظر: التفسير البسيط (٢١ / ١٢٨).

(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١١ / ٧٢٠٨)، وتفسير الماوردي = النكت والعيون (٥ / ٤٢٠)، والمجموع
المغيث في غريب القرآن والحديث (٣ / ٣٦٨)، ومختار الصحاح (ص: ٣٢٠).

(٤) انظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٢٦٢).

(٥) انظر: الوجيز للواحدى (ص: ١٠٥١).

(٦) التفقية في اللغة (ص: ٣٩٢).

(٧) انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (٥ / ٤٢٠)، وتفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق
غوامض التنزيل (٤ / ٤٤٢).

(٨) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٢ / ٦٠٩).

(٩) انظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢ / ٣٠٠).

(١٠) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ٢٢٢).

(١١) غاية النهاية في طبقات القراء (١ / ٢٩٥).

وعزاها السمين الحلبي^(١) وابن عادل إليه أيضاً لكنهما نسبها إلى آخرين، قال ابن عادل: (وقرأ أبو نهيك وأبو مجلز والأعمش وزهير الفرقي، ونقله القرطبي أيضاً عن طلحة بن مصرف والأعرج وقتادة: "ونهر" بضم النون والهاء)^(٢). وذكر السمعاني^(٣) والرازي^(٤) والعكبري^(٥) أنها قراءة لكن لم ينسبوها لأحد.

توجيه قراءة زهير الفرقي:

ذهب ابن جني إلى أن "نهر" على قراءة الفرقي جمع "نهر"، كما يقال في "أسد: أسد"، قال: (ومن ذلك قراءة زهير الفرقي: "في جنات ونهر". قال أبو الفتح: هذا جمع "نهر"، كما جاء عنهم من تكسير "فعل" على "فعل"، كأسد وأسد، ووثن ووثن)^(٦). وذهب ابن عطية إلى أن معناه النهار، وذكر أن ذلك سائغ في اللفظ لكنه قلق في المعنى، ثم احتمل أن يكون جمع "نهر"، فقال: (وقرأ زهير الفرقي والأعمش: "ونهر" بضم النون والهاء، على أنه جمع نهار، إذ لا ليل في الجنة، وهذا سائغ في اللفظ قلق في المعنى، ويحتمل أن يكون جمع نهر)^(٧). وتبعه في هذا كله الرازي^(٨).

(١) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٥٠ / ١٠).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٢٨٦ / ١٨).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣٢٠ / ٥).

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٣٢ / ٢٩).

(٥) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١١٩٦ / ٢).

(٦) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٣٠٠ / ٢).

(٧) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٢٢ / ٥).

(٨) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٣٢ / ٢٩).

وذكر ابن عادل أن قراءة زهير أنسب، للجمع قبله في "جنات"، وقراءة العامة أبلغ، فقال: (والجمع مناسب، للجمع قبله في "جَنَّاتٍ". وقراءة العامة بإفراده أبلغ^(١)).

ولم يكثر العلماء الكلام في توجيه قراءة زهير هذه، لأن معناها واضح، لظهور التناسب اللفظي بين "جنات"، ونهر بالجمع، بخلاف كلامهم في توجيه قراءة الجمهور، فقد أطالوا الكلام في توجيهها، لأن فيها مخالفة للظاهر، فـ"جنات" جمع و"نهر" مفرد، لذا ذهب أكثرهم إلى أنه مفرد أريد به الجمع كما تقدم الحديث عن ذلك سابقاً.

المطلب السادس:

توجيه قراءة قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَفَارَفٍ خُضْرٍ وَعَبَاقِرٍ حِسَانٍ﴾ (٢)

في هذه الآية خلاف كبير في قراءتها وفيمن قرأ بها، لكن ما يهمنا هنا هو أن نبين قراءة زهير الفرقبي، وهي القراءة التي أثبتتها آنفاً، وتوجيه العلماء لها، ومن أراد الاستزادة فيمن قرأ مع زهير بهذه القراءة أو خالفه في بعض ألفاظها فليراجع المصادر التي سنذكرها في هذه القراءة، ففيها تفصيل كل ذلك، ورغبة في عدم الإطالة ولأن البحث في قراءة زهير فقط اكتفيت بما قرأ به وبتوجه العلماء لقراءته.

توثيق قراءة زهير الفرقبي:

قرأ زهير الفرقبي: ﴿عَلَى رَفَارَفٍ خُضْرٍ وَعَبَاقِرٍ حِسَانٍ﴾ كما ترى بجمع "رفرف" على "رفارف" ومنعها من الصرف، وهي الفرش والبسط، وخُضْرٌ، بضم الخاء وسكون الضاد، وهي قراءة الجمهور، وجمع "عبقري" على "عباقرى" ومنعها من الصرف، وهذه

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٨ / ٢٨٧).

(٢) الرحمن: ٧٦.

القراءة المشهورة عنه، أما قراءة الجمهور فهي بالإفراد في كل من "رُفِرْف" و"عَبْقَرِي"، قال تعالى: ﴿مُتَكِّئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.

وممن عزا إلى زهير هذه القراءة الفراء^(١)، والطبري^(٢)، وابن جني^(٣)، وابن عطية^(٤)، وأبو حيان^(٥)، والسمين الحلبي^(٦)، لكنه عزا إليه قراءة "رفارف" بالجمع وترك الصرف، أما "عباقرِي" فنسبها إلى غيره.

هذا المشهور عن زهير، وعزي إليه أيضاً أنه قرأ "خُضْر" بضم الضاد^(٧)، وممن عزاها إليه أبو حيان^(٨)، والسمين الحلبي^(٩)، وابن عادل^(١٠)، والألوسي^(١١).

توجيه قراءة زهير الفرقبي:

قبل الشروع في توجه القراءة نتحدث عن معنى "رُفِرْف" و"عَبْقَرِي"، فأما الرَّفْرَفُ فقيل: رياض الجنَّة، وقيل: الوسائد، وقيل: المحابس، وقيل أيضاً: فضول المحابس للفرش^(١٢).

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٣ / ١٢٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣ / ٨٥).

(٣) انظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢ / ٣٠٥).

(٤) انظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ٢٣٦).

(٥) انظر: البحر المحيط في التفسير (١٠ / ٧١).

(٦) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠ / ١٨٧).

(٧) انظر: الموسوعة القرآنية (٦ / ٢٩٧).

(٨) انظر: البحر المحيط في التفسير (١٠ / ٧١).

(٩) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠ / ١٨٧).

(١٠) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٨ / ٣٦٣).

(١١) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (١٤ / ١٢٣).

(١٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٠٥).

وقيل: الرفرف الفرش والبسط، ومنهم من يقول: إن الرفرف جمع ومفرده رفرقة، وجمع الرفرف رفارف^(١).

وأما "عباقرى" فقيل: إن عباقر اسم موضع، وقيل: بل اسم الموضع عبقرا عباقر، وقيل: العبقري البسط، وقيل: الطنافس المبسوطة^(٢).

وقال الزمخشري: (والعبقري: منسوب إلى عبقرا، تزعم العرب أنه بلد الجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب)^(٣). وقال أبو حيان في معنى "عباقرى": (وهي الثياب المنسوبة إلى عبقرا، وهو موضع تجلب منه الثياب على قديم الأزمان)^(٤).

وكلام المفسرين واللغويين في معنى "رفارف" و"عباقرى" كثير، وجله في فلك ما قيل آنفاً^(٥).

أما عن توجيه القراءة ف"رفارف" في قراءة زهير جمع "رفرف"، وقد اتفق العلماء على أن هذا جائز في اللغة، لكنهم منعوا جمع "عبقري" على "عباقرى"، وهي قراءة زهير كذلك؛ لأن ألف الجمع لا يكون بعدها أربعة أحرف، أو ثلاثة أحرف صحيحة، وممن صرح بذلك الفراء، والطبري^(٦)، والزجاج^(٧)، والنحاس^(٨).

(١) انظر: لسان العرب (١٢٦ / ٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٥ / ٥).

(٣) تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٥٤ / ٤).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٧١ / ١٠).

(٥) انظر تفسيراتهم في معنى رفراف وعبقري في: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٤٨٤ / ٩).

وتهذيب اللغة (١٢٤ / ١٥)، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٣٠٦ / ٢).

وتفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٣٦ / ٥).

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان (٨٧ / ٨٦ / ٢٣).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٦ / ١٠٥ / ٥).

(٨) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢١٣ / ٤).

قال الفراء تعليقاً على هذه القراءة: (الرفارف قد يكون صواباً، وأما العباقرى فلا؛ لأن ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف، ولا ثلاثة صحاح)^(١).

وقال الزجاج: (وقرئت: (على رَفَارَفَ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ). القراءة هي الأولى، وهذه القراءة لا مخرج لها في العربية؛ لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان نحو "مساجد ومفاتيح" لا يكون فيه مثل "عباقرى"، لأن ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب. لو جمعت "عبقرى" كان جمعه عباقرة، كما أنك لو جمعت "مُهَلَّبِي" كان جمعه مَهَالِبَة، ولم يقل: مَهَالِبِي)^(٢).

ثم رد على من قد يعترض بأن "عبقرى" مفرد و"حسان" جمع على قراءة الجمهور، فكيف وصف المفرد بالجمع؟! بأن "عبقرى" اسم جنس يستعمل للمفرد والجمع، فقال: (إِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَنْ أَيْنَ جَازَ (عَبَقَرِيَّ حِسَانٍ)، وَ"عَبَقَرِي" وَاحِدٌ، وَ"حِسَان" جَمْعٌ؟ فَالْأَصْلُ أَنَّ وَاحِدَهُ عَبَقَرِيَّةٌ، وَالْجَمْعُ عَبَقَرِي، كَمَا تَقُولُ ثَمَرَةٌ وَثَمَرٌ وَلَوْزَةٌ وَلَوْزٌ. وَيَكُونُ أَيْضاً عَبَقَرِي اسماً لِلْجِنْسِ، فَالْقِرَاءَةُ هِيَ الْأُولَى)^(٣).

وبعد أن قرر النحاس عدم جواز "عباقرى" في اللغة فصل القول في عدم جوازه محتجاً بدليل عقلي وهو السبر والتقسيم، فقال: (فأما "عباقرى" في الجمع فمحال، والعلّة في امتناع جواز "عباقرى" أنه لا يخلو من أن يكون منسوباً إلى عبقر فيقال: عبقرى أو يكون منسوباً إلى عباقر فيردّ إلى الواحد، فيقال أيضاً: عبقرى كما شرط النحويون جميعاً في النسب إلى الجمع أنك تنسب إلى واحد، فتقول في النسب إلى المساجد: مسجدي، وإلى العلوم: علمي، وإلى الفرائض: فرضي، فإن قال قائل: فما يمنع من أن

(١) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٢٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٠٥، ١٠٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ١٠٤).

يكون عباقر اسم موضع ثم ينسب إليها كما يقال: معافري؟ قيل له: إن كتاب الله . جلّ وعزّ . لا يحمل على ما لا يعرف، وتترك حجة الإجماع^(١).

وحاول ابن جني أن يوجه "عباقرى" على وجه من العربية، فقال: (نعم، إذا كان قد جاء عنهم: عنكبوت وعناكيب، وتخربوت وتخاربيت كان "عباقرى" أسهل منه، من حيث كان فيه حرف مشدد، يكاد يجري مجرى الحرف الواحد، ومع ذلك أنه في آخر الكلمة، كياءى بخاتى وزرابى)^(٢).

وقال أبو حيان في توجيه منع صرف "عباقرى" أنه يمكن أن يقال: إن سبب منعه من الصرف المشاكلة، فلما منع "رفارف" منع "عباقرى" للمشاكلة، قال: (وَقَدْ يُقَالُ: لَمَّا مَنَعَ الصَّرْفُ رَفَارْفَ، شَاكَلَهُ فِي "عَبَاقِرِي"، كَمَا قَدْ يُنَوَّنُ مَا لَا يَنْصَرِفُ لِلْمُشَاكَلَةِ، يُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْمُشَاكَلَةِ)^(٣). وتبعه ابن عادل^(٤).

وذهب السمين الحلبي وابن عادل^(٥) إلى أن وجه منع صرف "عباقرى" أنه توهم أنه على "مفاعل"، قال السمين: (وقروا "عباقرى" بكسر القاف وفتحها وتشديد الياء مفتوحة على منع الصرف. وهي مُشْكَلَةٌ؛ إذ لا مانع من تنوين ياء النسب، وكأن هذا القارئ توهم كونها في "مفاعل" فمنعها من الصرف)^(٦).

(١) إعراب القرآن للنحاس (٤ / ٢١٣ . ٢١٤).

(٢) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢ / ٣٠٦).

(٣) البحر المحيط في التفسير (١٠ / ٧٢).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٨ / ٣٦٤).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٨ / ٣٦٤).

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠ / ١٨٧).

توجيه قراءة زهير "خُضِرَ" بضم الضاد:

وجهت هذه القراءة بتوجيهات، منها: أن ضم الضاد إتباعٌ لضم الخاء، ومنها أن ذلك لغة في جمع "أفعل" الصفة. وممن صرح بهذين التوجيهين السمين الحلبي، وابن عادل^(١). قال السمين: (وعنهم أيضاً "خُضِرَ" بضم الضاد، وهو إتباعٌ للخاء. وقيل: هي لغة في جمع "أفعل" الصفة)^(٢).

وقال بعض العلماء: إن ضم الضاد من "خضر" قليل. وممن صرح بذلك القرطبي^(٣).

* * *

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٨ / ٣٦٣).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠ / ١٨٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٧ / ١٩٣).

المبحث الثاني: الملامح النحوية والتصريفية لقراءة زهير الفرقي:

أولاً: أنها موافقة لقواعد اللغة العربية المقررة غالباً:

من خلال تتبعي لأقوال العلماء في توجيه قراءة زهير الفرقي لاحظت أنها قراءة موافقة لقواعد اللغة التي قررها النحويون من لغة العرب، بل إن بعض قراءته أشد موافقة لقواعد اللغة من قراءة الجمهور، ومن ذلك قراءة "نُهر" بالجمع، فهي لا تحتاج إلى توجيه، لأنها جاءت على الأصل، فالذي قبلها جمع، وهو "جنات"، ولذا ذهب أكثر العلماء إلى أن "نُهر" بالإفراد في قراءة الجمهور مفرد أريد به الجمع. ولا أستثني من ذلك إلا قراءته "عباقرى"، فقد اتجه أكثر العلماء إلى أنه لا وجه لها في العربية، وتكلف بعضهم في توجيهها.

ثانياً: أنها تميل إلى الثقل في اللفظ:

- يعد هذه الملمح من أبرز ملامح هذه القراءة، ويظهر جلياً في أمور، منها:
١. قراءة "لا ريب" بالرفع مع التنوين، وهي أثقل من حيث النطق من قراءة الجمهور بالفتح من غير تنوين.
 ٢. همز "أدنى"؛ فقرأها "أدناً"، وقراءة الجمهور بلا همز، ولا شك أن الهمز أثقل من عدمه، لذا يسمى العدول عن الهمزة إلى حرف آخر تخفيفاً وتسهيلاً.
 ٣. جمع "نُهر" على "نُهر"، فقراءة الجمهور بالإفراد، وقراءة زهير بالجمع، ولا شك أن الجمع أثقل من المفرد.
 ٤. جمع "رفارف"، والجمهور بالإفراد "رفرف". والجمع أثقل.
 ٥. جمع "عباقرى"، والجمهور بالإفراد "عباقرى". والجمع أثقل.
 ٦. قراءته "خُضر" بضم الضاد، وقراءة الجمهور بسكونها، ولا شك أن الضم أثقل من السكون.

ثالثاً: أنها تميل إلى مراعاة التناسب اللفظي:

ترى في قراءة زهير الفرقي ميلاً إلى مراعاة التناسب اللفظي، ويظهر ذلك فيما يأتي:

١. جمع "نُهر" وقراءة الجمهور بإفراها "نَهَر"، وفي قراءته مناسبة لفظية لـ "جنات"، ولذا ترى أكثر العلماء ذهبوا إلى تأويل قراءة الجمهور؛ لأن فيها مخالفة للتناسب اللفظي، بخلاف قراءة زهير، فلم يكثرُوا من الكلام في توجيهها، وذلك لأنها أتت مناسبة لما قبلها في اللفظ.

٢. قراءته "رفارف" بالجمع حتى تناسب "خُضر" الجمع.

٣. قراءته "عباقرى" بالجمع حتى تناسب "حسان" الجمع.

رابعاً: أنها تميل إلى مراعاة الأصل:

ويظهر ذلك مما يأتي:

١. قراءة "لا ريب" بالتثنية، فالأصل في الاسم المفرد المنكر أن ينون؛ ولذا ترى كثيراً من النحويين تحدثوا عن علة عدم تثنية "ريب" في قراءة الجمهور.
٢. قراءته "أدناً" بالهمز هي أصل لـ "أدنى" من غير همز، كما صرح بذلك بعض العلماء؛ إذ قالوا: إن أصل "أدنى": أدناً بالهمز، واستدلوا بقراءة زهير على ذلك، فظهور الهمز في قراءة أخرى دليل على أن أصله هكذا في قراءة الجمهور.
٣. قد يكون من ذلك قراءته "يوم" بالرفع؛ لأن الرفع هو الأصل، ولأنه اسم وقع في بدء الكلام، والأصل في هذه الحالة أن يكون مبتدأ، ولأن الابتداء لا يحتاج إلى تقدير عامل، بخلاف جعله منصوباً على قراءة الجمهور فقد أحوج إلى عامل متأخر، وهو قوله: "لا ينفع"، وهذا مخالف للأصل؛ لأن الأصل في العامل أن يتقدم على المعمول، ولأن هذا العامل نازع فيه بعض النحويين؛ لأنه مسبوق بـ "لا"، وهي حرف له الصدارة، فكيف يعمل ما بعدها فيما قبلها؟

هذه أبرز ملامح قراءة زهير الفرقبي، ولا شك أنها ملامح قوية تظهر مكانة هذه
القراءة وقوتها.

* * *

الخاتمة:

بعد بحثي في قراءة زهير الفرقي وتوجيه العلماء لها ظهرت لي بعض النتائج، أذكر

أهمها هنا:

١. زهير الفرقي من نحوي الكوفة، عرف بعلم النحو، والأنساب، وكان له اختيار في القراءة ويروى عنه، وكان في زمن عاصم، أخذ عنه أبو جعفر الرؤاسي، مات سنة خمس وخمسين ومائة في زمن المنصور. وقيل: سنة ست وخمسين ومائة.

٢. لم يرو العلماء عن زهير كثيراً، إذ لم أقف له إلا على كلمات قليلة قرأ فيها بخلاف قراءة الجمهور.

٣. من ملامح قراءة زهير أنها قراءة تميل إلى الثقل، ويظهر ذلك مثلاً من خلال عدوله عن الأفراد إلى الجمع، وعدوله عن التخفيف إلى الهمز، وعدوله عن عدم التنوين إلى التنوين.

٤. ومن ملامحها أيضاً أنها قراءة تميل إلى مراعاة التناسب اللفظي، ويظهر ذلك مثلاً من خلال جمعه "نُهر" مناسبة لـ "جنات" الجمع، وجمع "زفارف" لتناسب "خُضر" الجمع.

٥. ومن ملامح قراءته أيضاً أن فيها ميلاً إلى مراعاة الأصل، ويظهر ذلك مثلاً من خلال همز "أدناً"، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن "أدنى" في قراءة الجمهور أصلها "أدناً"، واحتجوا بقراءة زهير هذه، ومن ذلك تنوين الاسم المفرد المنصرف كما في "ريب"، فالأصل فيه التنوين وعدم تنوينه خلاف الأصل.

٦. بان لي عناية العلماء بقراءة زهير، إذ أكثروا الحديث عنها، من حيث توثيق عزوها إليه، وتوجيهها نحويًا وتصريفيًا ودلاليًا.

هذه هي أبرز نتائج هذا البحث، وأسأل الله . سبحانه وتعالى . أن يجعل ما سطرناه في هذه الورقات خالصاً لوجه تعالى، وأن ينفع به، وأن يجعله من الإسهام في خدمة القرآن

الكريم، واللغة العربية، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن
نفسه والشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف
الأنبياء والمرسلين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع

- الإتيقان في علوم القرآن / المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- الأزمنة والأمكنة / المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- إعراب القراءات السبع وعللها / لأبي عبد الله الحسين بن خالويه، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
- إعراب القرآن / لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، الطبعة الثالثة، بيروت: عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م.
- إعراب القرآن العظيم / المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- إكمال الأعلام بتلخيص الكلام / المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، أبو عبد الله، المحقق: سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م.
- الأماكن أو ما اتفق لفظه واختلفت مسماه من الأمكنة / المؤلف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، المحقق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.
- أمالي ابن الشجري / لابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة / المؤلف: جمال الدين أبو الحسن القفطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.

- البحر المحيط / لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.
- البرهان في علوم القرآن / للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة.
- تاج العروس من جواهر القاموس / لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن / لأبي البقاء العكبري، تحقيق: علي البجاوي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو / المؤلف: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / لأبي السعود محمد العمادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- التفسير البسيط / المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم / لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، بيروت: دار الفكر.
- تفسير السمعاني / لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس ابن غنيم، الطبعة الأولى، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م.
- تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن / لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ.

- تفسير القرآن العزيز / لأبي عبد الله محمد المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الطبعة الأولى، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- تفسير القرطبي المسمى: الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، القاهرة: دار الشعب.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب / للفخر الرازي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) / المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون / المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
- التفسير المظهري / المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم / المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) - (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).
- التفقيه في اللغة / المؤلف: اليمان بن أبي اليمان البندنجي، أبو بشر، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الناشر: الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي (١٤) - مطبعة العاني - بغداد، عام النشر: ١٩٧٦م.

- التَّلْخِيسُ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ / المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، عني بتحقيقه: الدكتور عزة حسن، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦ م.
- تهذيب اللغة / لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبي منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح / المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- جمهرة اللغة / المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م.
- حجة القراءات / المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
- الحجة للقراء السبعة / لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، الطبعة الأولى، دمشق، وبيروت: دار المأمون، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / للسمين الحلبي، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، ود. جاد مخلوف جاد، ود. زكريا النوتي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الدلائل في غريب الحديث / المؤلف: قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- الذخيرة / المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، المحقق: جزء ٦، ٢: سعيد أعراب، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.
- ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب / المؤلف: أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم العجمي الشافعي، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، اليمن: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- روح البيان / المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، بيروت: دار الفكر.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لأبي الفضل الألويسي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام / المؤلف: أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكهاني، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- زاد المسير في علم التفسير / لعبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الثالثة، بيرة: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس / المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / لابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة العشرون، القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- شرح التسهيل / لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد المختون، الطبعة الأولى، القاهرة: هجر للطباعة، ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.

- شرح الزركشي / المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (المتوفى: ٧٧٢هـ). الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- شرح المفصل للزمخشري / المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش، أبو البقاء، موفق الدين الموصل، المعروف بابن يعيش، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم / المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير / المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني، المحقق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- علوم القرآن الكريم / المؤلف: نور الدين محمد عتر الحلبي، الناشر: مطبعة الصباح - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري / المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء / المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

• غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

• الفتاوى الكبرى لابن تيمية / المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

• القاموس المحيط / المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

• القبس في شرح موطأ مالك بن أنس / المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، المحقق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م.

• الكتاب / لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

• الكشف عن حقائق غوامض التنزيل / المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

• اللباب في علوم الكتاب / لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية.

• لسان العرب / لمحمد بن منظور، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

• مجاز القرآن / لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

• المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث / المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر المديني، المحقق: عبد الكريم العزباوي، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء

التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جدة: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

• المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني، الناشر: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.

• مختار الصحاح / المؤلف: زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، بيروت - صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

• مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات / المؤلف: إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، الناشر: دار الحضارة للنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

• مشكل إعراب القرآن / لمكي بن أبي طالب القيسي أبي محمد، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

• معاني القراءات للأزهري / المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

• معاني القرآن / لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: د. هدى قراعة، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ. ١٩٩٠م.

• معاني القرآن / لأبي زكريا الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، الطبعة الثالثة، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م.

• معاني القرآن وإعرابه / لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م.

- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- معجم البلدان / المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، بيروت: دار صادر، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
- معجم علوم القرآن / المؤلف: إبراهيم محمد الجرمي / الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- المقتضب / للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب.
- مقدمات في علم القراءات / المؤلف: محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، الناشر: دار عمار - عمان (الأردن)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الموسوعة القرآنية / لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.
- النجم الوهاج في شرح المنهاج / المؤلف: كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميّري أبو البقاء الشافعي، المحقق: لجنة علمية، الناشر: دار المنهاج (جدة)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- «النفح الشذي شرح جامع الترمذي» شرح الترمذي / المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين، تحقيق: أبو جابر الأنصاري، عبد العزيز أبو رحلة، صالح اللحام، الناشر: دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه / المؤلف: أبو محمد مكي القيسي القيرواني، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث

الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ

- ٢٠٠٨ م.

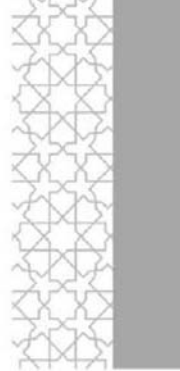
• الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تفسير الواحدي / لعلّي بن أحمد الواحدي أبي الحسن، تحقيق:

صفوان عدنان داودي، الطبعة: الأولى بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية، ١٤١٥ هـ.

* * *

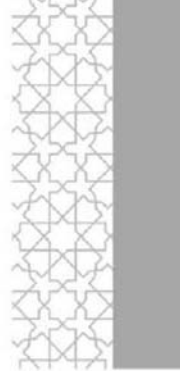
- Ibn Jenni, U. (1999). *Al-MuHtasib fi tabyeen wujooh shawaadh al-qira'aat wa al-eDHaaH anha*. The Ministry of Awqaf-the Supreme Council for Islamic Affairs.
- Ibn Khaalawaih, A. (1992). *E`raab al-qira'aat al-saba` wa elalihaa*. A. Al-Othaimeen (Ed.). Cairo: Maktabat Al-khaanji.
- Ibn Maalik, (1990). *SharH al-tasheel*. A. Al-Sayid& M. Al-Makhtoon (Eds.). Cairo: Hajr Print House.
- Ibn Manzhoor, M. (1994). *Lisaan al-arab* (3rded.). Beirut: Daar Saadir.
- Ibn Taymiyyah, A. (1987). *Al-Fataawa al-kubra li ibn taymiyyah*. Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Ibn Zanjalah, A. (n.d.). *Hujjat al-qira'aat*. S. Al-Afghaani (Ed.). Daar Al-Risaalah.
- Seebawaiyh, (1983). *Al-Kitaab*. A. Haroon (Ed.). Beirut: Daar Al-Jeel.

* * *



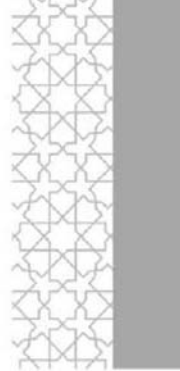
- Al-Zamakhshari, Y. (2001). *SharH al-mufaSSal li al-zamakhshari*. E. Ya`qoob (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Zarkashi, (n.d.). *Al-Burhaan fi uloom al-quran*. M. Ibraheem (Ed.) Beirut: Daar Al-Ma`rifah.
- Al-Zarkashi, M. (1993). *SharH al-zarkashi*. Al- Obeikan.
- Al-Zubaidi, M. (n.d.). *Taaj al-aroos min jawaahir al-qaamoos*. A group of editors (Eds). Daar Al-Hidaayah.
- Ibn Al-Arabi, M. (1992). *Al-Qabas fi sharH muwaTTa' maalik bin anas*. M. Walad Kareem (Ed.). Daar Al-Gharb Al-Islaami.
- Ibn Al-Jazari, M. (n.d.). *Ghayat al-nihayah fi Tabaqaat al-qurraa'*. Maktabat Ibn Taymiyyah.
- Ibn Al-Muthanna, M. (1981). *Majaaz al-quran* (2nded.). M. Sizkeen (Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- Ibn Al-Shajari, (1992). *Amaali ibn al-shajari*. M. Al-TanaaHi (Ed.). Cairo: Al-Madani Printing Office.
- Ibn Aqeel, A. (1980). *SharH ibn aqeel ala alfiyyat ibn maalik* (20thed.). M. AbdulHameed (Ed.). Cairo: Daar Al-Turaath, Egypt Print House & Sa`eed Jouda Al-SaHhaar.
- Ibn ATiyyah, (1993). *Al-MuHarrar al-wajeez fi tafseer al-kitaab al-azeez*. A. Haroon (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

- Al-SuyooTi, A. (1974). *Al-Etqaan fi uloom al-quran*. M. Ibraheem (Ed.). Egyptian Committee for Books.
- Al-Tabari, M. (1405). *Tafseer al-Tabari al-musamma Jaami` al-bayaan `an ta'weel al-quran*. Beirut: Daar Al-Fikr.
- *Al-Tafseer al-waseeT* (1973). A group of scholars supervised by Al-Azhar Islamic Research Assembly (Eds.). General Committee of Al-Ameeriyyah Printing house.
- Al-WaaHidi, A. (1415). *Al-Wajeez fi tafseer al-kitaab al-azeez tafseer al-waaHidi*. S. Dawoodi (Ed.). Beirut: Daar Al-Qalam& Damascus: Al-Daar Al-Shaamiyyah.
- Al-WaHidi, A. (1430). *Al-Tafseer al-baseeT*. Scientific Research Deanship (Ed.) Al-Imam Muhammad bin Saud Islamic University.
- Al-Ya`mori, M. (2007). *Al-NafH al-shadhi sharH jaami` al-tirmidhi*. A. Al-Ansari, A. AbuRiHlah& S. Al-LaaHHaam (Eds.). Riyadh: Daar Al-Sumai`i.
- Al-Yamani, N. (1999). *Shams al-uloom wa dawaa' kalaam al-arab min al-kuloom*. H. Al-Umari, M. Al-Eryaani& Y. Abdullah (Eds.). Beirut: Daar Al-Fikr Al-Mu`aaSir & Damascus: Daar Al-Fikr.
- Al-Zamakhshari, M. (1407). *Al-Kashaaf `an Haqaa'iq ghawamiDH al-tanzeel* (3rd ed.). Beirut: Daar Al-Kitaab Al-Arabi.



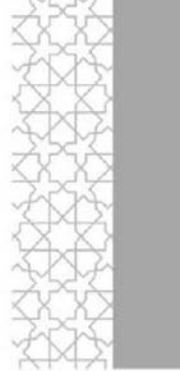
- Al-Qiraafi, A. (1994). *Al-Dhakheerah*. S. A`raab (Ed.). Beirut: Daar Al-Gharb Al-Islaami.
- Al-QuDHat, M., Shukri, Kh.& ManSoor, M. (2001). *Muqaddimaat fi elm al-qira'aat*. Amman: Daar Ammaar.
- Al-QurTubi, M. (n.d.). *Tafseer al-qurTubi al-musamma al-jaami` li aHkaam al-quran*. Cairo: Daar Al-Sha`b.
- Al-Raazi, M. (1999). *Mukhtaar al-SiHaaH* (5thed.). Y. Al-Shaikh Mohammad (Ed.). Beirut\Sidon: Al-Maktabah Al-ASriyyah& Al-Daar Al-Namoodhajiyyah.
- Al-Raazi, M. (2000). *Al-Tafseer al-kabeer aw mafaateeH al-ghaib*. Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Sam`aani, (1997). *Tafseer al-sam`aani*. Y. Ibraheem& G. Abbaas (Eds.). Riyadh: Daar Al-WaTan.
- Al-Samarqandi, N. (n.d.). *Tafseer al-samarqandi al-musamma baHr al-uloom*. M. MaTraji (Ed.). Beirut: Daar Al-Fikr Library.
- Al-SarqasTi, Q. (2001). *Al-Dalaa'il fi ghareeb al-Hadeeth*. M. Al-QannaS (Ed.) Ryiadh: Al-Obeikan.
- Al-Shaafi`I, U. (2008). *Al-TawDHeeH li sharH al-jaami` al-SaHeeH*. Daar Al-FalaaH for Scientific Research and Heritage Authentication (Ed.). Damascus: Daar Al-Nawaadir.

- Al-Mazh-hari, M. (1412). *Al-Tafseer Al-Mazh-hari*. Gh. Al-Tunisi (Ed.). Pakistan: Maktabat Al-Rushdiyyah.
- Al-Mubarrad, M. (n.d.). *Al-MuqtaDHab*. M. UDHaymah (Ed.). Beirut: Aalam Al-Kutub.
- Al-NaHHas, (1989). *E`raab al-quran* (3rded.). Z. Zaahid (Ed.). Beirut: Aalam Al-Kutub& Maktabat Al-NahDHah Al-Arabiyyah.
- Al-Nu`maani, U. (n.d.). *Al-lubaab fi uloom al-kitaab*. A. Abdulmawjood& A. Mu`awaDH (Eds.). Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-QafTi, (1982). *Enbah al-ruwah ala anbah al-nuHaah*. M. Ibraheem (Ed.). Cairo: Daar Al-Fikr Library& Beirut: Educational Books Institution.
- Al-Qaysi, M. (1405). *Mushkil e`raab al-quran* (2nded.). H. Al-DHamin (Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- Al-Qaysi, M. (2008). *Al-Hidaayah ela buloogh al-nihaayah fi elm ma`aani al-quraan wa tafseerih wa aHkaamih wa jumal min funoon uloomih*. A. Al-Bushaiykhi (Eds.). The College of Shari'a and Islamic Studies - University of Sharjah.
- Al-Qazweeni, A. (1997). *Al-Azeez sharH al-wajeez al-ma`roof bi al-sharH al-kabeer*. A. AwaDH& A. Abdulmawjood (Eds.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.



- Al-Jajjaaj, I. (1994). *Ma`aani al-quran wa e`raabuh*. A. Shalabi (Ed.). Cairo: Daar Al-Hadeeth.
- Al-Jarjaawi, Kh. (2000). *SharH al-taSreeH ala al-tawDHeeH aw al-taSreeH bi maDHmoon al-tawDHeeH fi al-naHu*. Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-jarmi, I. (2001). *Mu`jam uloom al-quran*. Damascus: Daar Al-Qalam.
- Al-Jawzi, A. (1404). *Zaad al-maseer fi ilm al-tafseer* (3rded.). Beirut: Al-Maktab Al-Islami.
- Al-Jayaani, M. (1984). *Ekmaal al-a`laam bi tathleeth al-kalaam*. S. Al-Ghaamidi (Ed.). Umm Al-Qura University, Makkah.
- Al-Khalwati, I. (n.d.). *RooH al-bayaan*. Beirut: Daar Al-Fikr.
- Al-Maaliki, M. (2002). *Tafseer al-quran al-azeez*. H. Ukaashah& M. Al-Kanz (Eds.). Cairo: Al-Faarooq Al-Hadeethah.
- Al-Maatureedi, M. (2005). *Tafseer al-maatureedi (ta'weelaat ahl al-sunnah)*. M. Basalloom (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Maawardi, A. (1412). *Tafseer al-maawardi (al-nukat wa al-uyoon)*. A. AbdulraHeem (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Madeeni, M. (n.d.). *Al-Majmoo` al-mugheeth fi ghareebai al-quran wa al-Hadeeth*. A. Al-Azbaawi (Ed.). Makkah: Umm Al-Qura University& Jeddah: Daar Al-Madani.

- Al-Farabi, I. (1987). *Al-SiHaaH taaj al-lughah wa SiHaaH al-arabiyyah* (4th ed.). A. ATTaar (Ed.) Beirut: Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.
- Al-Farraa', Y. (1983). *Ma'aani al-quran* (3rded.). M. Al-Najjaar& A. Najaati (Eds.). Beirut: Aalam Al-Kutub.
- Al-FayroozAbaadi, M. (2005). *Al-Qamoos al-muHeeT* (8thed.). M. Al-Arqasoosi (Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- Al-Halabi, (1994). *Al-Durr al-maSoon fI uloom al-kitaab al-maknoon*. A. Mu'awaDH, A. Abdulmawjood, J. Jaad& Z. Al-Nooti (Eds.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Halabi, M. (1993). *Uloom al-quran al-kareem*. Damascus: MaTba'at Al-SabaaH.
- Al-Hamadaani, M. (1415). *Al-Amaakin aw ma ettafaqa lafzhuhu wa eftaraqa musammaah min al-amkinah*. H. Al-Jasir (Ed.). Daar Al-Yamaamah.
- Al-Hamawi, Y. (1993). *Mu'jam al-udabaa'= ershaad al-areeb ela ma`rifat al-adeeb*. I. Abbaas (Ed.). Beirut: Daar Al-Gharb Al-Islaami.
- Al-Hamawi, Y. (1995). *Mu'jam al-buldaan* (2nded.). Beirut: Daar Saadir.
- Al-Harawi, M. (2001). *Tah-dheeb al-lughah*. M. Mur`ib (Ed.). Bierut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.



- Al-Ayni, M. (n.d.). *Umdat al-qaari sharH SaHeeH al-bukhaari*. Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Azdi, M. (1987). *Jamharat al-lughah*. R. Ba'labki (Ed.). Beirut: Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.
- Al-Azhari, M. (1991). *Ma'aani al-qira'aat*. Saudi Arabia: Research Center in the College of Arts - King Saud University..
- Al-Bandaneji, A. (1976). *Al-Tagfiyah fI al-lughah*. Kh. Al-ATiyah (Ed.). Bagdad: Al-Aani Print House.
- Al-Dameeri, M. (2004). *Al-Najm al-wahhaaj fi sharH al-minhaaj*. Jeddah: Daar Al-Minhaaj.
- Al-Dawsari, I. (2008). *MuktaSar al-ebaraat li mu`jam muSTalaHaat al-qira'aat*. Riyadh: Daar Al-HaDHarah.
- Al-Daynoori, A. (1978). *Ghareeb al-quran*. A. Saqr (Ed.). Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah..
- Al-Emaadi, M. (n.d.). *Tafseer abi al-su`ood (ershaad al-aql al-saleem ila mazaaya al-quran al-kareem)*. Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Faarisi, (1984). *Al-Hujjah li al-qurraa' al-sab`ah*. B. Qahwaji& B. Juwaijaati (Eds.). Damascus\ Beirut: Daar Al-Ma'moon.
- Al-Fakihaani, T. (2010). *Riyadh al-afhaam fi shrH umdat al-aHkaam*. N. Taalib (Ed.). Syria: Daar Al-Nawaadir.

List of References:

- Al-Ajmi, A. (2011). *Dhayl lubb al-albaab fi taHreer al-ansaab*. Sh. Al-Nu'maan (Ed.). Yemen: Al-Nu'maan Center for Research Study, Heritage Authentication and Translation.
- Al-Akbarai, (1987). *Al-Tibyaan fi e'raab al-quran* (2nded.). A. Al-Bijaawi (Ed.) Beirut: Daar Al-Jeel.
- Al-Akhfash, S. (1990). *Ma'aani al-quran*. H. Quraa'ah (Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khaanji.
- Al-Aloosi, A. (n.d.). *RooH al-ma'aani fi tafseer al-quran al-azheem wa al-sab' al-mathaani*. Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Anbaari, M. (1992). *Al-Zaahir fi ma'aani kalimaat al-naas*. H. Al-DHamin (Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- Al-Andalusi, A. (1993). *Al-BaHr al-muHeeT*. A. Abdulmawjood,& Ali Mu'awaDH (Eds). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-AnSaari, Z. (2001). *E'raab al-quran al-azheem*. (Master's Thesis). M. Mas'ood (Ed.).(n.p.).
- Al-ASfahaani, A. (1417). *Al-Azminah wa al-amkinah*. Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Askari, A. (1996). *Al-TalkheeS fi ma'rifat asmaa' al-ashyaa'* (2nded.). A. Hasan (Ed.). Damscus: Daar Tallaas.
- Al-Aybaari, I. (1405). *Al-Mawsoo'ah al-qur'aaniyyah*. Mu'assasat Sijil Al-Arab.

Grammatical, Morphological and Semantic Rules Underlying Zuhair Al-Furqubi's Reading of the Holy Quran

Dr. Ahmad MuHammad Al-ODHaib

Department of Syntax, Morphology and Philology

College of Arabic Language

Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This study aims to identify the reading rules of Zuhair's reading of the Holy Quran. Zuhair, who died in 155 AH, was one of the prominent Kufian grammarians, known as Zuhair Al-Furqubi Al-Kisaa'i Al-Koufi. His ideas, inspired by Abu Al-Aswad Al-Dou'ali's disciples, have in turn inspired many prominent Kufian grammarians, among whom was Abi Ja'far Al-Ru'aasi.

Investigating various books on the different readings of the Holy Quran, as well as on exegesis, language, and grammar, the researcher explored some readings that are attributed to Zuhair. Those readings were collected and arranged in accordance with the arrangement of the *sūras* (verses) of the Holy Quran. The researcher then classified each of those readings, identified the scholars who attributed them to Zuhair, tracked scholars' identifications of the rules of his reading and highlighted their points of disagreement. In the process, the researcher also compared Zuhair's reading with those of different Islamic scholars with respect to semantic meaning, grammar and morphology.

The researcher introduces his study by explaining the purpose behind identifying the rules underlying the readings of the Holy Quran, as well as that of Zuhair's reading. Then, the study defines the term "exceptional reading", the value of passing judgement on using it as argumentation, and finally passing judgement on using this kind of reading as a valid reading of the holy Quran. The researcher then divides his study into two parts. The first part focuses on grammatical, morphological and semantic aspects of the rules of Zuhair's reading, discussed each in a separate section. The second part examines the most prominent grammatical and morphological features of Zuhair's reading. The study concludes with a summary of results. Finally, a list of references is provided.



جمال الأداء لآي الذكر الحكيم في ضوء علم الصوتيات

د. ممدوح إبراهيم محمود محمد

كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر - فرع أسيوط

عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



جمال الأداء لآي الذكر الحكيم في ضوء علم الصوتيات

د. ممدوح إبراهيم محمود محمد
كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر - فرع أسسيوط
عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تعد البحوث المتعلقة بالقرآن الكريم من أجمل البحوث وأمتعها وأثراها ، بل هي غاية يسعى إليها باحثو العربية في مختلف التخصصات ، والبحث في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم واحد من الموضوعات المهمة ، لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم من ناحية ، وتناوله جانباً مهماً وهو تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة تتسم بجمال الأداء وكمال الإقراء من ناحية ثانية . فالقراءة الصحيحة المجودة تشد انتباه السامع وتجذب عقله وفكره للتأمل والتدبر في مقصود الآيات ، فيخشع قلبه لذكر الله ، وهي الأساس الأول لتدبر القرآن والتأثر والتأثير به .

ومن هنا يهدف البحث إلى بيان كيفية التلاوة الصحيحة لآي الذكر الحكيم ، كما يهدف إلى بيان الأسس التي عن طريقها يتم الكشف عن عوامل جمال الأداء ومظاهره ، وعن طريقها أيضا يكون الوصف أو الحكم على القارئ بجمال الأداء أو العكس . كما يهدف البحث أيضا إلى تحليل وتحليل هذه العوامل عن طريق معطيات علم الأصوات الذي يعنى في المقام الأول باللغة الشفاهية أو المنطوقة .

ويظهر هذا البحث أهمية تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم ؛ لما للصوت الحسن من دور فعال في جذب الانتباه واستمالة القلوب ومن ثم التدبر والتأمل ومعرفة مقصود الآيات .

كما يظهر البحث أن القارئ الجيد هو من يستطيع التحكم في أعضاء نطقه ، والسيطرة على تيار نفسه ، وتنويع درجات صوته ونبراته تبعاً لمعاني التنزيل الحكيم . كما يظهر دور لغة القرآن وفواصله ومدوده في جمال الأداء .



تقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

وبعد ...

فقد أحدث نزول القرآن الكريم على قلب النبي - ﷺ - ثورةً لغويةً أذهلت العرب عما بأيديهم من فنون القول، ونبهتهم إلى فرادة هذا النص القرآني، وجمالية الأداء الكامنة وراء تلك التراكيب والأصوات المَكُونَة لها؛ إذ مَلَكَ النص القرآني ناصية لغتهم على نحو فريد لم يعتادوه من قبل. فألفاظه غرة في كل كلام، ولها رونق، ولها دخل في إعجازه، وصورة الكلمة ومخارج حروفها لها روعة ذاتية. فقد جاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمناً أصح المعاني؛ لأن ذلك من عند العزيز الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه.

وبهذا صار للقرآن الكريم أداءٌ صوتي متميز وتأثير صوتي عجيب، يتجلى في تنقله بين مقاطع مختلفة وأساليب متعددة من الأداء الصوتي، مما يثير الشجن أو الأمل أو الفرح لدى سامعه ولو لم يكن يعرف العربية. وقد أدرك العلماء من قبل هذه الميزة الصوتية للقرآن الكريم، وعدوها من وجوه إعجازه، فسامعه لا يمجه، وقارئه لا يمله، فتلذذ له الأسماع، وتشغف له القلوب، فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة. "فهو يقتحم بمبانيه ومعانيه أعماق القلوب قبل أن يتجاوز الأذان، ويغوص في بواطن النفوس وخلجات المشاعر، حتى يهيمن بسلطانه على ملكات العقل والحسّ، فينشر فيها السرور بجميل وعده، ويشيع فيها الحزن والخوف بشدة وعيده، ويجمع بين هذا وذاك في آن واحد من خلال أسلوب ترغيبه وترهيبه؛ فتتقلب القلوب بين الخوف من عذابه، والطمع في رحمته، وتتجلجل الجوارح في خشية الله بين التصدّع والطمأنينة، وفي هذا وذاك

يكون الدواء، والشفاء من أمراض القلوب، وعللها، فتسلم بتلاوته وسماعه من كل ما يعكّر صفوها، ويكدر جلوتها، ويطمس شيئاً من نورها. قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مَتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. (١) وقال: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾. (٢)، (٣)

وليس هدفنا في هذا البحث هو المقارنة بين القراء في جمال الأداء، وإنما نهدف من خلاله إلى بيان الأسس والضوابط وشرح العوامل التي على أساسها يتم الحكم على أداء القارئ لأي الذكر الحكيم ووصفه بالجمال أو العكس اقتداء بالأحاديث النبوية الشريفة الداعية إلى تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم والتغني به، فنكشف عن أسباب جمال الصوت ونبين دوره كواحد من أهم العوامل المؤثرة في جمال الأداء لأي الذكر الحكيم وطرق تأديته، فقارئ القرآن مرتلاً كان أو مجوداً بالإضافة إلى الصوت الحسن يحتاج إلى مجموعة من المهارات الصوتية التي تساعد على إظهار التلاوة بصورة أجمل وأرقى. وتطبيق ذلك على بعض القراء عن طريق الاستماع الجيد لقراءاتهم المجودة ووصفها وبيان سبب جمال الأداء وتعليقه في ضوء معطيات علم الصوتيات.

وطبقاً لذلك فقد جاء البحث في مقدمة، وفصلين، وخمسة مباحث، وخاتمة كالتالي:

المقدمة: وفيها ذكرت أن للقرآن الكريم أداءً صوتياً متميزاً وتأثيراً صوتياً عجباً

يتجلى في تنقله بين مقاطع مختلفة وأساليب متعددة من الأداء الصوتي، مما يثير

(١) سورة الحشر الآية : (٢١) .

(٢) سورة الزمر الآية : (٢٣) .

(٣) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل ص ٤٥٠ - دار المنار - الطبعة / الثانية

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

الشجن أو الأمل أو الفرح لدى سامعه ولولم يكن يعرف العربية، كما بينت الهدف من البحث، وسبب اختياره، ومنهجه، وخطته.

الفصل الأول : الأداء القرآني مفهومه ومراتبه وأثره في نفوس المستمعين

ويشتمل على مبحثين كالتالي :

المبحث الأول : الأداء القرآني مفهومه ومراتبه وأهميته

المبحث الثاني: أثر الأداء القرآني في نفوس المستمعين

الفصل الثاني: جمال الأداء القرآني وعوامله

ويشتمل على ثلاثة مباحث كالتالي :

المبحث الأول: جمال الأداء القرآني كلفيته والآثار الواردة فيه

المبحث الثاني: عوامل جمال الأداء التي ترتبط بالقارئ أو المرتل

أولاً : العوامل الفسيولوجية (العضوية) ودورها في جمال الأداء

ثانياً: العوامل الفيزيائية ودورها في جمال الأداء

ثالثاً: عوامل أخرى وتشمل :

أ: أحكام التجويد ودورها في جمال الأداء وكمال الإقراء لأي الذكر الحكيم

ب: المهارة بقراءة القرآن ترتيباً وتجويداً

ج: التلوين الصوتي ودوره في جمال الأداء

المبحث الثالث: عوامل جمال الأداء التي ترتبط بلغة القرآن الكريم خاصة

وبطريقة ترتيبه وتشمل:

أولاً : للقرآن الكريم لغة خاصة تساعد على ترتيبه وعلى جمال الأداء

ثانياً: معاني التنزيل ودورها في جمال الأداء

ثالثاً: الفاصلة القرآنية ودورها في جمال الأداء

رابعاً: المد ودوره في جمال الأداء

الخاتمة: وفيها أوجزت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وبعد فإني أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما صبت إليه إنه نعم المولى ونعم النصير، والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني يوم العرض عليه. فإن كان فيه من نقص أو تقصير أو خلل فهو مني، فالله الكامل والنقص في الناس شامل.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

الفصل الأول

المبحث الأول : الأداء القرآني مفهومه و مراتبه و أهميته

يمثل الأداء الصوتي جانباً مهماً من جوانب اللغة، وأساساً من الأسس التي يبنى عليها الكلام، وتدرك من خلالها الأفهام مراد المتكلم الذي قد تطرب السامع أو تحزنه طريقة إيقاعه، فلطبيعة أداء العبارة، ولطريقة النطق بها، أثر واضح ومهم في صياغة المعنى، وتوجيه الدلالة، يقول أحد الباحثين المحدثين: "إن اللغة المنطوقة هي اللغة المثلى للمحاكاة؛ لأنها الوحيدة القادرة على حمل التعبيرات التي يريد المتكلم أن يبلغ عنها".^(١) فبتلون الإيقاع، وتعدد الأنغام، تتلون المعاني وتتعدد الأغراض، ومن هنا كان للأصوات قيمتها المعنوية التي تؤثر أثراً بالغاً في تحديد دلالات الكلمات".^(٢)

وبحسن الأداء وحلاوته تقضى الحاجات وإن عظمت بدليل قول عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - لرجل أحسن في طلب حاجة: "وتأتي لها بكلام وجيز ومنطق حسن هذا والله السحر الحلال".^(٣)

وبحسن الأداء وحلاوته تفاضل الخطباء وتفاوت الشعراء بل القبائل والأحياء ومما يدل على ذلك ما رواه أبو اليقظان قال: قال عمر بن عبدالعزيز: ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمد له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه. وقال يونس: ليس في بني

(١) مدخل إلى معرفة اللسانيات - د / محمد إسماعيل بصل ص ١١ بتصرف - دار المتنبي / دمشق .

(٢) مقدمة لدراسة فقه اللغة - د / محمد أحمد أبو الفرج ص ١٢٢ - دار النهضة العربية / بيروت - ط / أولى ١٩٦٩م

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطلال - ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك - تح / أبو تميم ياسر بن إبراهيم ٩ / ٤٨٨ - مكتبة الرشد / السعودية، الرياض - ط / ثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، والبيان والتبيين - الجاحظ - تح / المحامي فوزي عطوي ص ١٣٩ - دار صعب / بيروت - ط / أولى ١٩٦٨م.

أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو راجز أو كاهن أو فارس قال: وليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو".^(١)

وإذا نظرت في أحوال العرب في أداء لغتهم وجدت أن المروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها، واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد وجزء من أجزاء كثيرة. ومنه قول ابن جني: "فكان العرب إنما تحلي ألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخر بها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلها بها إلى إدراك مطالبها وقد قال رسول الله - ﷺ -: "إن من الشعر لحكماً وإن من البيان لسحراً".^(٢) فإذا كان رسول الله - ﷺ - يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصايد وأشراكاً للقلوب وسبباً وسُلماً إلى تحصيل المطلوب عُرف بذلك أن الألفاظ خَدَمَ للمعاني والمخدوم لاشك أشرف من الخادم".^(٣)

ولما كان أداء الكلام بهذه المنزلة كان جديراً أن نتعرف عليه في آي الذكر الحكيم خاصة حيث يفوق في حسنه وشدة تأثيره وقوة إيقاعه أداء أي منطوق آخر ولا سيما إذا قرئ مجوداً حيث تتضح أهميته ويظهر أثره في نفوس السامعين له. وقبل ذلك علينا أن نتعرف على مفهوم الأداء عامة، والأداء القرآني خاصة، ونبين كلفيته ومراتبه، ونوضح أهميته، وأثره في نفوس المستمعين وذلك على النحو التالي :

(١) البيان والتبيين ص ١٠٤.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي - تح / بكري حياني، وصفوة السقا - حديث رقم (٨٩٥٠) - ٨٥٨ / ٣ - مؤسسة الرسالة - ط / خامسة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

(٣) الخصائص - أبو الفتح بن جني ٢٢٠ / ١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة - ط / رابعة .

الأداء في اللغة هو: مصدر أدى الشيء أي: قام به، وأدى الدين: قضاها، والصلاة: قام بها لوقتها، والشهادة: أدلى بها...^(١) والأداء: التلاوة.^(٢) فالمادة تدور حول معنى قيام الشيء وقضائه على أكمل وجه.

واصطلاحاً أداء الكلام هو: التلفظ به حسب أعراف وقواعد معينة للتعبير عن المعاني المختلفة. فاللفظ هو أهم مكونات الكلام إلا أنه في كثير من الأحوال مفتقر إلى مكونات الكلام الأخرى كعناصر السياق المقامي، ومقاصد المتكلم، ودلالات الصيغ ومعاني التركيب..... وغيرها في إيصال المعاني الدقيقة إلى المستمع.^(٣) أو هو: الصورة النطقية التي تأتي عليها اللغة المنطوقة بأصواتها وكلماتها وجملها.^(٤) أو هو: الصورة الصوتية التي يؤدي بها الحدث الكلامي.^(٥)

وفن الأداء هو فن الإلقاء ويعنى به: المهارة الفنية في استغلال الصوت بما يخدم الإنسان في تعامله واتصاله بالآخرين في شكل جميل وممتع ومثير.^(٦) وتسمى هذه المهارة بـ الأداء الشفاهي: وهو ما يتحقق بواسطة الوصف الأكوستيكي – (الفيزيائي) –

(١) لسان العرب – ابن منظور (أدأ) – دار صادر / بيروت – ط / ثلاثة ١٤١٤هـ، والقاموس المحيط – الفيروز أبادي (أدأ) – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

(٢) المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى، وآخرون – أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أدأ) – دار الدعوة.

(٣) أدأ الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب – محمد بن علي العمري – مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها. العدد الثالث ص ١٥ – ٣١هـ / ٢٠١٠م.

(٤) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة – د / عبدالعزيز أحمد علام ص ٢٣ – ط / أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، والإدراك الآلي للنظام الأدائي في اللغة العربية في ضوء ظاهرة التزمين – د / أميرة زين رفاعي سمبس ص ٣ المملكة العربية السعودية / كلية التربية للبنات مكة المكرمة

(٥) أسباب التعدد في التحليل النحوي – د / محمود حسن الجاسم ص ٣٦ – بالمكتبة الشاملة.

(٦) الأداء الصوتي في اللغة العربية – د / سالم محمد سالم – مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية مجلد (٢) العدد (٢) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ص ٢١٤ نقلاً عن فن الإلقاء – د / عبد الحميد حسن ص ٧ – دار الثقافة الإسكندرية

لنص حال قراءته، أو الاستعانة برواة ومتابعة مديات الصوائت، والصوامت والنبرة والتنغيم.^(١)

ويتكون هذا النوع من الأداء من عناصر مختلفة ك النبر، والتزمين، والطول، والتنغيم، والوقفات، والإيقاع.^(٢)

وتكون هذه العناصر أكثر وضوحاً في الأداء القرآني خاصة إذ لا بد فيه من: تتابع خط الشدة للأصوات والمقاطع والكلمات في الجملة، ومن تتابع النغمة أو الدرجة في الجملة، ومن تتابع خط الكم الزمني للأصوات، أو خط الطول للأصوات والمقاطع في الجملة، ومن أنواع السرعة التي تنطق بها الكلمات والجمل وهو الذي يسمى التزمين، ومن تتابع خط اللون للأصوات، ومن نظام الوقفات من حيث عددها وحجمها في الكلام، ومن الإيقاع.^(٣) ومن النطق بحروف القرآن الكريم كما نطق بها في عهد النبي - ﷺ - من حيث تحقيق الحروف وإعطائها حقها دون حيف أو تقصير أو زيادة من غير تكلف أو تصنع، ومن حيث إجادة الوقف ومعرفة ما يحسن منه وما يقبح، ومن حيث الكيفية النطقية لها حين تمتزج بما يجاورها وهو ما يسمى بالصورة الصوتية لبعض حروف العربية كالغنة والإمالة والتفخيم والترقيق والإدغام بنوعيه والإشمام... إلخ.

وعلى هذا يمكننا أن نصف الأداء القرآني بأنه: الأداء الذي تحكمه معايير خاصة على مستوى الإخراج والصفات حال تلاوة النص الكريم تبعاً للغرض من الآية المتلوة.

(١) الأداء الصوتي في المستوى الأسلوبى لأدونيس في أغاني مهيار الدمشقي - رسالة ماجستير في كلية الآداب / جامعة القادسية قسم اللغة العربية وآدابها - للباحث / عادل نذير بيرى الحساني ص ١ - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م .

(٢) الإدراك الآلي للنظام الأدائي في اللغة العربية في ضوء ظاهرة التزمين ص ٣ .

(٣) عن علم التجويد القرآني ص ٢٧ ، ٢٨ .

وقد بين أبو عمرو الداني - رحمه الله - حدود القراءة السليمة المجودة وميزها عن القراءة الملحونة، فذكر أنها القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ولا لوك ولا تعسف ولا تكلف ولا تصنع ولا تنطع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء^(١).

وهذه المعايير هي التي تحدد السمات الأدائية للقارئ أثناء تلاوته للقرآن الكريم، وهذه السمات الأدائية يتفاوت فيها القراء تفاوتاً كبيراً، وتعد أهم العوامل التي تبرز جمال أداء القارئ وتبرهن على فقهه بالمعنى القرآني ومقام الآية أو غرضها، فلكل مقام أو غرض طريقة أدائية تناسبه وتختلف عن غيره.

أما فائدة الأداء: فهي تبرز وتتضح أساساً من اتصاله بالأداء الصحيح والتميز لكتاب الله - ﷻ - أكثر من أي منطوق آخر، فأى خلل في أدائه يؤدي إلى خلل في فهم معناه، والوقوف على أسرارهِ؛ لذا كان تعلمه من أجل العلوم نظراً لهذا الارتباط، فقد ورد عن الإمام حمزة - رحمه الله - أنه قال: "إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفاً، أو قال: ما يخطئ حرفاً وما هو من القرآن في شيء"^(٢).

فحسن الأداء - (بخلوه من اللحن) - فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبباً^(٣).

(١) النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - تح / علي محمد الصباغ ١/ ٢١٣ - المطبعة التجارية .

(٢) التحديد في الإتيان والتسديد في صناعة التجويد - أبو عمرو الداني - تح د / غانم قدوري حمد ص ٨٤ - دار الأنبار / بغداد - ط / أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٨ م .

(٣) النشر ١/ ٢١١ .

والأداء بهذه الصورة يختلف باختلاف فنون القول الأخرى، بل يختلف في الفن الواحد باختلاف الحالة النفسية للمتكلم، وفي الحالة النفسية الواحدة يختلف باختلاف شخصية المتكلم، بل يختلف كذلك باختلاف نوع الجملة.^(١)

مراتب الأداء القرآني وكيفيةاته :

مع أن القرآن الكريم نزل بالعربية وبيانها وعلى أساليبها، فإن له قراءة خاصة به وأحكاماً تجويدية يتلى بها وفق الطريقة الثابتة عن رسول الله - ﷺ - وهذا ما يعرف بالترتيل أو التجويد الذي اختص بأنه قابل للتنعيم والصوت الحسن اللذين ثبتا للقرآن وحده من سائر النثر العربي الفني.

فلتلاوة القرآن الكريم أسلوب فريد، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع، وملائمة الطبع، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته، وهذا الأسلوب الخاص الذي تفرّد به القرآن الكريم تلاوةً وأداءً - يعتمد أساساً على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، وتدبر المعنى، وتفهم المغزى، مع حسن الأداء الصوتي، وجمال النطق به، والترديد له.

والحق أن تلاوة القرآن الكريم لا تنحصر في الترتيل وإن كان أعلى المراتب حيث ينقسم الأداء القرآني إلى ثلاث مراتب هي المراتب المعروفة في علم القراءة والتجويد للقراءة، ومحور تقسيمها وحيثيته هو مدى التأني والتؤدة، مع بقاء الأركان الأخرى للترتيل كما هي، فالتأني وللطمانينة المقبولة في علم القراءة أعلى وأوسط وأدنى، فالأعلى اصطلاح عليه بالتحقيق أو بالترتيل (بالمعنى الخاص)، والأوسط يدعى بالتدوير، والأدنى يدعى بالحدرد... ولكنها تشترك في جميع أركان الترتيل (بالمعنى العام).

(١) عن علم التجويد القرآني ص ٢٨ .

وتتفاوت في ركن واحد هو التآني والتؤدة.....^(١) فكلام الله تعالى يُقرأ بالترتيل^(٢) والتحقيق^(٣) والحدرد^(٤)، والتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين - (التحقيق والحدرد) - مرتلاً مجوداً بلحون العرب وأصواتها وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة.^(٥) وذهب بعضهم مذهباً مغايراً فجعل مراتب القراءة أربعة يجمعها الترتيل بالمعنى العام، وأعلها التحقيق وبعده الترتيل، وجعل الفرق بين الترتيل وبين التحقيق فيما

(١) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي ﷺ. أصحابه ألفاظ القرآن الكريم (المنهج النبوي في التعليم القرآني) - عبدالسلام مقبل المجدي اليمني ص ٢٧٠ - دار الإيمان / الإسكندرية، مصر - ط / أولى ٢٠٠٤م.

(٢) وهولغة : التمثل والترسل (تهذيب اللغة - أبو منصور الأزهرى - تح / عبد السلام هارون وآخرون مادة) رل ت) - الدار المصرية / مصر ١٣٨٤ / ١٩٦٤م ، واصطلاحاً عرفه الإمام على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - بقوله : " الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ، (الإتقان في علوم القرآن - السيوطي - تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٠٨٢ / ١ / ٥٤١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م) ، وعرفه آخرون بقولهم : " الترتيل : رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف . وقيل : الخفض والتحزين بالقراءة (دستور العلماء - القاضي الأحمد نكري . تحقيق وتعريب / حسن هاني فحص ١ / ١٩٧ - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)

(٣) ومعناه لغة : المبالغة في الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه. (النشر ١ / ٢٠٥) . واصطلاحاً: عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل والتؤدة . وملاحظة الجائز من الوقوف ولا يكون غالباً معه قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرّك ولا إدغامه . (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - محمد على التهانوي ١ / ٣٨٨ - مكتبة لبنان ناشرون / بيروت ١٩٩٦) .

(٤) وهولغة : الإسراع بالقراءة (جمهرة اللغة - ابن دريد - تح / رمزي منير بعلبكي (ح در) - دار العلم للملايين / بيروت - ط / أولى ١٩٨٧م) ، واصطلاحاً: إدراج القراءة بسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مما صحت به الرواية (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١ / ٦٥٢ ، والنشر ١ / ٢٠٧) .

(٥) النشر ١ / ٢٠٥ .

ذكره بعضهم: أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل يكون للتدبر والتفكير والاستنباط، فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيقاً^(١).

وهذا يعني أن الترتيل هنا يأتي بالمعنى العام الشامل للحدرد والتدوير والمرتبة الثالثة التي قد تدعى بالترتيل، وقد تدعى بالتحقيق، وقد يستعمل هذا المصطلح في معنى خاص. وأقل الترتيل أن يأتي بما يبين ما يقرأ به وإن كان مستعجلاً في قراءته، وأكمله أن يتوقف فيها ما لم يخرج به إلى التمديد والتمطيط. فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازل فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم^(٢). قال الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله -: "اعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له - أيضاً - في القراءة الترتيل والتؤدة؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال^(٣)."

فالترتيل إذاً هو الأداء الأمثل الذي انفردت به تلاوة كتاب الله، وتميزت به عما عداه في النطق والأداء، وهذا الترتيل الذي ندب إليه القرآن في أكثر من آية، وعبر عنه بصيغة الأمر الذي يوحى بالوجوب أو الأهمية، أو الأولوية، هو الطريقة المثلى التي ينبغي أن يلتزم بها كل قارئ، وأن تتحدد بها كل تلاوة.... والترتيل في لغة العرب: تتابع الكلام، وأخذ بعضه بعناق بعض على مكث وتلبث مع حسن الصوت ورقة الأداء^(٤).

(١) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي - ﷺ - أصحابه ألفاظ القرآن الكريم ص ٢٧٠.
(٢) البرهان في علوم القرآن - الزركشي - تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ١٤٥٠/١ - إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه - ط / أولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م، والإتقان في علوم القرآن ٦٧٨/٢.
(٣) النشر ٢٠٩/١.
(٤) تلاوة القرآن الكريم - محمد الشرقاوي - مقال بالنت.

وبعد الترتيل بما هو الكيفية التي نزل بها القرآن الكريم (ورتلناه ترتيلاً) هو أفضل مراتب القراءة الأربع: الترتيل، ثم التحقيق الذي هو أكثر اطمئناناً والذي يؤخذ به في مقام التعليم، ثم الحدر الذي هو الإسراع في القراءة مع مراعاة الأحكام، ثم التدوير الذي هو مرتبة ومتوسطة بين الترتيل والحدر، والنبي - ﷺ - كانت قراءته ترتيلاً... وكان يحب في الترتيل فيقول لصاحب القرآن: اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرأها.^(١)

أهمية الأداء القرآني :

للأداء القرآني من قارئ جيد يعرف أغراض الآيات ومدلولاتها أهمية بالغة في إدراك الأسرار الجمالية والقيم التعبيرية لمضمون الآي، وتبدو هذه الأهمية على النحو الآتي:

١. أن لجمال الأداء لآي الذكر الحكيم أثراً كبيراً في نفس السامع، ومما يدل على ذلك أنه قد يقرأ القرآن حافظ متقن مجوّد؛ لكنه لا يحسن الأداء في القراءة، فلا يؤثر في مستمعيه، وقد يقرأ القرآن مجود ليس بحافظ متقن فيبكي سامعيه بجودة أدائه، وحسن صوته - (فمراعاة أحكام التجويد، وحسن الصوت أمران مهمان في الإحساس بجمال الأداء والتأثير في المستمع) - ومثله في ذلك مثل الخطبة الجيدة إذا ألقاها من لا يحسن الأداء كانت كالسيف البتّار في اليد الضعيفة، والخطيب المصقع الذي يلقي خطبة رديئة كالبطل المغوار الذي يقاتل بسيف كالّ. فإذا اجتمعت قوة السيف، وقوة اليد التي تحملها، وقوة قلب صاحبها عملت عملها، وهكذا الخطبة إن كانت جيدة في بلاغتها ولغتها وأسلوبها، وألقاها من يحسن الإلقاء عملت عملها في قلوب

(١)الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم - لبيب السعيد ص ٨٨ - دار الكاتب العربي بالقاهرة .

السامعين.....^(١) وكم من قارئ يُبهر السامعين بحسن صوته وجودة أدائه، وكم من قارئ سمعنا قراءته فتأثرنا بها! مع أنها لم تزد حرفاً ولم تنقص حرفاً عن قراءة آخر لا يثير فينا إحساساً بجمال أدائه ولا تدعونا طريقة أدائه إلى التأمل والتدبر وفقه المعنى القرآني؛ مما يدل على أن للأداء المجود والصوت الحسن أثرين كبيرين على السامع. فبجمال الأداء نتأمل ونتدبر ونتعظ ونتمنى ونتحسر ونتألم ونخشع ونخاف، ومن دونه لا نكاد نشعر بشيء من ذلك.

٢. أن للأداء القرآني دوراً بارزاً في إيضاح الدلالة. حيث يمتاز الأداء القرآني بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حين يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول، وأدق تعبير، وأجمله وأحياء أيضاً! مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو... ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد".^(٢) ذلك أن النص الواحد في الأداء القرآني المتنوع تنغيماً أو تزميناً أو نبراً أو وقفاً يحوي مدلولات متنوعة متناسقة في النص؛ وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء أو اختلاط بين المدلولات.

٣. أن القارئ الجيد ذا الأداء المتميز يساعد المستمع على استحضار المشاهد كما لو كانت حاضرة.

(١) انظر: الخطابة - د/ نقولا فياض ص ٥٣ بتصرف - طبعة دار الهلال / مصر ١٩٣٠م، وفن الخطابة - للشيخ / علي محفوظ ص ٦٥ - طبعة دار الاعتصام، وفن الإلقاء - محمد عبد الرحيم عدس ص ٤١ - دار الفكر / الأردن. ط / أولى، والخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب - محمد أبوزهرة ص ١٤٨ - دار الفكر العربي - ط / ثانية ١٩٨٠م.

(٢) في ظلال القرآن - الشيخ / سيد قطب ١٧٨٦ / ٢ - دار الشروق / بيروت، القاهرة - طبعة (١٧) - ١٤١٢هـ.

٤. أن في أداء القرآن الكريم أداءً حسناً تزييناً له في قلوب سامعيه، فيقبلون عليه يتعلمونه، ويتدبرونه، ويلتزمون بهداه، فإن حسن تلاوته وترتيله هو أول الطريق الرئيس إلى فقه معناه المؤدي إلى حسن التزام هديه أمراً ونهياً، ولن يتحقق لبيان أن يرتل وأن يتغنّى به إلا إذا كان نسقه ونظمه وجرس كلماته وموقع معانيه غنياً بمقومات الإيقاع وأنواعه وألوانه المتعددة وهذا ما تحقق للقرآن الكريم، فلا يشاركه فيه بيان آخر.^(١)

٥. أن للأداء القرآني الجميل تأثيراً في النفوس على اختلاف الزمان والمكان، سواء أكانت النفوس كافرة أم مؤمنة، وسواء أكانت نفوس عرب تعرف العربية لغة القرآن الكريم وتتذوقها أم كانت نفوس أعاجم لا تكاد تعرف من العربية شيئاً فله سلطان عجيب على القلوب ليس للأداء البشري.

٦. أن فائدة علم التجويد أو الأداء تنبع أساساً من اتصاله بالأداء الحسن لكتاب الله - ﷺ - فأى خلل في أدائه يؤدي إلى خلل في فهم معناه، والوقوف على أسرارهِ ؛ لذا كان تعلمه من أجل العلوم نظراً لهذا الارتباط. وعلى هذا ففائدته تبدو في إتقان قراءة القرآن بالنطق بحروفه مكتملة الأحكام والصفات ومحققة المخارج من غير زيادة ولا نقصان ولا تعسف ولا تكلف.^(٢)

(١) العزف على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة - د / محمود توفيق سعد ص ٢١٣.

(٢) أصوات العربية بين الوصف والتنظيم - د / محمد عبد الحفيظ العريان ص ٣٦١ - مطبعة أبناء وهبة حسان - طنطا - ط / أولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

٧. أن حسن طريقة الأداء القرآني تظهر فصاحة الألفاظ وجمال التعبير، ونحو ذلك مما يؤدي إلى وضوح المعاني وإبراز الأفكار؛ فينبغي أن تكون درجة صوت القارئ معتدلة، لا منخفضة غير مسموعة فتضايق، ولا مرتفعة صارخة فتزعج، وكلا الأمرين منفر^(١).

(١) اللغة العربية أداءً ونطقاً وإملاءً وكتابةً - فخري محمد صالح ص ٩٣ ، ٩٤ بتصرف - الوفاء للطباعة النشر .

المبحث الثاني

أثر جمال الأداء القرآني في نفوس المستمعين

لجمال الأداء دور مهم في استمالة القلوب ووضوح المعاني والأفكار ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر أمور معينة في القارئ لأي الذكر الحكيم خاصة، وتحسن في الإلقاء عامة وقد أجملها الجاحظ في حديثه عن فصاحة المتكلم حيث قال: "إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياسة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة. وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق وتزين به المعاني".^(١)

وإذا كان للأداء هذا الدور في إظهار فصاحة المتكلم، وفي نفوس المستمعين فهو في أداء القرآن الكريم أجلى وأوضح؛ لما تتميز به لغة القرآن من مميزات كثيرة - على النحو الذي سيأتي تفصيله - تجعل القارئ يستطيع أن يلون في أدائه وينوعه بطرائق شتى تجعل سامعه وإن كان أعجمياً لا يمجه، وقارئه لا يملّه، فتلذذ له الأسماع، وتشغف له القلوب. فحسن تلاوته وترتيبه أول الطريق الرئيس إلى فقه معناه المؤدّي إلى حسن التزام هديه أمراً ونهياً.

فللقرآن الكريم أداء صوتي متميز وتأثير صوتي عجيب، وليس أدل على ذلك مما جرى مع الشيخ / سيد قطب في سفينة أجنبية أقلته هو ورفاقه، وأقام فيها صلاة الجمعة وخطب، فتأثرت فتاة يوغسلافية بسماع القرآن الكريم، وأدركت الفرق بين لغة القرآن التي أحدثت فيها رعدة وقشعريرة، ولغة الخطيب الذي ألقى خطبة الجمعة

(١) البيان والتبيين ١ / ١٤.

على النحو الذي سيأتي بيانه... وكذا سماع العوام للقرآن، فهم يتأثرون به كتلك اليوغسلافية، دون أن يفقهوا منه شيئاً، ويرى من وجوه الإعجاز: الأداء القرآني الواسع الدقيق الجميل المتناسق بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو.^(١)

وقد تنبه العلماء من قبل إلى هذه الميزة الصوتية للقرآن الكريم، وعدوها من وجوه إعجازه، يقول السيوطي في ذكره لوجوه الإعجاز: "الوجه الحادي والعشرون من وجوه إعجازه: أن سامعه لا يمجّه، وقارئه لا يملّه، فتلذّ له الأسماع، وتشغف له القلوب، فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غَضّاً طرياً، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يُملّ مع التردد، ويُعادى إذا أُعيد؛ لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد، وكتابنا بحمد الله يستلذّ به في الخلوات، ويؤنس به في الأزمان، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك... هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ * يهدي إلى الرشد فأمّنّا به ﴿...﴾".^(٢)

فتزيين القرآن الكريم عن طريق تحسين الصوت به، والتطريب بقراءته له أعظم الأثر في النفس، وأجل الوقع في القلب، وهو أدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، فبه تنفذ ألفاظه إلى الأسماع، وتنفذ معانيه إلى القلوب، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء ليسوغ تعاطيه فينفذ إلى الداء، وبمثابة الطيب الذي يضاف إلى الطعام لتقبل النفس عليه برغبة وشهية. قالوا: لا بد للنفس من الطرب والاشتياق إلى الغناء، فعوضت عن طرب

(١) ديناميكية الأداء الصوتي في القرآن الكريم نقلاً عن: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق - نعيم الحمصي ص ٣٥٠، مؤسسة الرسالة / بيروت - ط / ثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن - جلال الدين السيوطي ١ / ١٨٤ - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

الغناء بطرب القرآن، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير منه. وقد روى ابن الجزري بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال: "صلى بنا ابن مسعود المغرب ب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فوالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله...".^(١) ثم قال أيضاً: "ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت، ولا معرفة بالألحان، إلا أنه كان جيد الأداء، قيماً باللفظ. فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويحبون الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربية ومن لا يعرفها من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإنشاد".^(٢)

فابن الجزري بين في النص الأول أثر الصوت الحسن في أداء آي الذكر الحكيم في النفوس والقلوب والأسماع، واستدل على ذلك بقراءة ابن مسعود لسورة الإخلاص، وفي النص الثاني أشار إلى أن جودة الأداء هي الأصل في التأثير وليس حسن الصوت. والحق أنهما مترابطان؛ لأنه إذا فقد الأداء أحدهما ذهب رونقه وبهاؤه، ولم يكن فيه ما يجذب المستمع إلى الانتباه لما يقرأ، ثم التأمل والتدبر والاتعاظ وفقه المعنى القرآني. فأجمل الأداء وأحسنه ما جمع بين التجويد وحسن الصوت، ومما يدل على صحة ذلك ما رواه جُوَيْرٍ عن الضَّحَّاك قال: قال عبد الله بن مسعود: "جَوَّدُوا الْقُرْآنَ وَزِينُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ، وَأَعْرَبُوهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَاللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْرَبَ بِهِ".^(٣) فجمع بين الأمرين معاً. وسيتضح في هذا البحث أن حسن الصوت من مكملات الترتيل وأن عماد الترتيل

(١) النشر ١/ ٣١٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - تح / أحمد البردوني، وآخر/ ٢٣ - دار الكتب المصرية/ القاهرة -

ط/ ثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، والنشر ١/ ٢١٠.

المطلوب في قراءة كتاب الله - ﷻ - إنما هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وأنه لا يجوز الاختصار على هذه المكملات.

أما منبع هذا الإتقان أو التجويد في الأداء القرآني كما ذكر ابن الجزري فيمكن في: "اتساق القرآن وائتلاف حركاته وسكناته، ومدّاته وغمّاته. .. ما يسترعي الأسماع ويستهوئ النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور، وكان ذلك كالسور المنيع لحفظ القرآن الكريم " بحيث لو داخله شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه، واختل نظامه. فالقرآن الكريم كله وحدة مترابطة من حيث قوة الموسيقى في حروفه وتأخيها في كلماته، وتلاقي الكلمات في عباراته ونظمه المحكم في رنينه... وكأن المعاني مؤمنة للألفاظ. وكأن الألفاظ قُطِعَتْ لها وسويت حسبها. ففي الحروف وطريقة نظمها وصفاتها ومخارجها أسرار ولطائف ودلالات أودعها الله تعالى فيها. وقد وضع ذلك الشيخ الزرقاني - رحمه الله - في حديثه عن خصائص الأسلوب القرآني في نظامه الصوتي وجماله اللغوي. (١)

لكن مما ينبغي الإشارة إليه أن هذا التطريب الذي أشار إليه ابن الجزري وغيره أمر راجع إلى كيفية الأداء، وتارة يكون سليقة وطبيعاً، وأخرى يكون تكلفاً وتعملاً. وكيفيات الأداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداته، بل هي صفات الصوت المؤدى، جارية مجرى مدود القراء الطويلة والمتوسطة، لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف، وكيفيات الألحان والتطريب متعلقة بالأصوات. (٢)

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني ٢/ ٢٢٢ وبعدها - دار الفكر / بيروت - ط / أولى ١٩٩٦م.

(٢) مع القرآن الكريم ص ٥٥ وما بعدها .

وقد أقر بهذه الحقيقة – (الأثر الذي تحدثه حسن تلاوة القرآن في نفوس مستمعيه وبعظمة القرآن) – بعض المستشرقين ومن هؤلاء د / سيدني فيشر (Sydney Fisher) أستاذ التاريخ في جامعة أوهايو الأمريكية حيث قال: "إن القرآن كلام الله يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه الى الاعتراف ببلاغة القرآن، اعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع".^(١) ويقول الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠ - ١٩٢٧ Cte.H.de Castries) وهو مقدم في الجيش الفرنسي وقد قضى في الشمال الإفريقي رداً من الزمن: "إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أُمي وقد اعترف الشرق قاطبة أنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى، وصاح القسس أن هذا الكلام واردٌ من موارد كلام عيسى - عليه السلام - لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا، ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا، غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب... وكيف يعقل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ألّف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون.. ولو لم

(١) قالوا عن القرآن - د / عماد الدين خليل ص ٣٠ بالمكتبة الشاملة .

يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار
ويأخذ بمجامع القلوب...".^(١)

فللقرآن الكريم أداء خاص متميز عن غيره من فنون القول ؛ لما يملكه من التأثير في
النفوس حال أدائه أداءً صحيحاً من ذي الصوت الحسن الرخيم. وقد عد الإمام الخطابي
ذلك وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بل جعله من أهم الوجوه حيث قال: "
في إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك
صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن - منظوماً ولا
منثوراً - إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة
والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا
أخذت حظها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق،
تتشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة
فيها، فكم من عدو للرسول - ﷺ - من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله
وقتلته، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن
رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة،
وكفرهم إيماناً. خرج عمر بن الخطاب - ؓ - يريد رسول الله - ﷺ - ويعمد إلى قتلته،
فسار إلى دار أخته وهي تقرأ (سورة طه)، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن. وبعث
الملا من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله - ﷺ - ليوقفوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ
عليه رسول الله - ﷺ - آيات من (حم السجدة) فلما أقبل عتبة وأبصره الملا من قريش
قالوا: أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، ولما قرأ رسول الله - ﷺ - القرآن في

(١) السابق ص ١٥.

الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا، وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن. وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن. ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(١) ومصدق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكِّ﴾^(٣)، وغير ذلك في آي ذوات عدد منه، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته^(٤).

والأمثلة أو النماذج على تأثير القرآن الكريم في النفوس عديدة على اختلاف الزمان والمكان، سواء أكانت النفوس كافرة أم مؤمنة، وفيما يلي نماذج لأصناف ثلاثة تأثروا بتلاوة القرآن الكريم وهم المؤمنون، والكفار، وغير العرب. وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولاً: تأثير القرآن في نفوس المؤمنين:

لقد كان لتلاوة القرآن الكريم أثر عظيم في نفوس المؤمنين، والأمثلة على ذلك عديدة على مدار التاريخ الإسلامي، وكان في مقدمة الذين أثر فيهم القرآن من نزل القرآن على قلبه سيدنا محمد ﷺ - الذي كان يتأثر وهو يتلو القرآن، ويتأثر وهو يسمع القرآن،

(١) سورة الجن الآيتان: (١، ٢).

(٢) سورة الحشر من الآية: (٢١).

(٣) سورة الزمر من الآية: (٢٣).

(٤) بيان إعجاز القرآن - الخطابي ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - سلسلة ذخائر العرب ص ٧١ - دار المعارف.

ويبدو التأثير دموعاً غزيرة تذرّفها عيناه الشريفتان وخير دليل على صحة ذلك بكأؤه لسماع القرآن من ابن مسعود كما ورد في الأثر. ^(١) وكان ابن مسعود - رحمه الله - ينصح المسلمين بتجويد القرآن الكريم وتحسين الصوت بتلاوته وقد روى جُوَيْر عن الضَّحَّاك قال: قال عبد الله بن مسعود: " جَوِّدُوا الْقُرْآنَ وَزَيَّنُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصَوَاتِ... ". وبذلك يكون ابن مسعود أول من استخدم هذه الكلمة (التجويد) في معنى قريب من معناها. وقد عد ذلك المرحلة الأولى لنشأة علم التجويد. ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره. ^(٢)

كذا أثر القرآن الكريم في نفوس الصحابة تأثيراً عظيماً قادهم إلى الانتقال من الشرك والكفر والجاهلية إلى الإسلام. ومن أوضح الأمثلة على ذلك عمر بن الخطاب -  - الذي كان سبب إسلامه سماع القرآن الكريم. ^(٣)

ثانياً: تأثير القرآن في نفوس الكفار من العرب :

لقد بلغ تأثير القرآن الكريم في القلوب مبلغاً عظيماً لم يعرف قبله ولا بعده كلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعتريهم هيبة وتهيمن عليهم عظمتهم، ونرى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرعهم عن ضلالهم ويقيم عليهم حججاً لا معقب لها فيستقلون سماعه ويتولون عنه بنفوس مدبرين كما أخبر الله -  -

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي ٢ / ٥٤١ - دار المعرفة / بيروت .

(٢) البحث اللغوي عند العرب - د / أحمد مختار عمر ص ٩٥ - عالم الكتب - ط / ثامنة ٢٠٠٣ م .

(٣) السيرة النبوية - عبد الملك بن هشام - تح / مصطفى السقا وآخرين ٢٧١ / ٢٧٢ - مطبعة الحلبي بمصر - ط / ثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م . والإعجاز التأثيري للقرآن الكريم - د / خالد محمد القضاة ص ٢٧ بحث في مؤتمر كلية الشريعة السابع (إعجاز القرآن الكريم) جامعة الزرقاء الأهلية في ١٨ : ٢٠ رجب ١٤٢٦ هـ / ٣٢ : ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥ م .

– عنهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^(١) وقال –

ﷺ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾^(٢). (٣)

فقد بلغ القرآن الكريم الذروة في التأثير في سمع العربي ووجدانه، وذلك بعذوبة جرسه وجمال إيقاعه ونغمه، وما لذلك من صلة بدلالته. يقول أحد الباحثين المحدثين: "من الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون أنفسهم عند سماعه، ولذلك سعوا إلى أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس، سعوا إلى أن لا يصل إلى الأذن، لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس دويًا هائلًا وهزة عنيفة وقد حكى الله عنهم هذا الأسلوب فقال – ﷺ -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾^(٤). وكان صناديد قريش وأعتاهم محاربة للرسول وأشدهم كيلاً له ونيلاً منه لا يملكون أنفسهم عند سماعه، فقد كان كل من أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق يأخذ نفسه خلسة لسماعه بالليل والرسول – ﷺ – في بيته لا يعلم بمكانهم ولا يعلم أحد منهم بمكان صاحبه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا، وتكرر منهم ذلك الفعل وذات القول في الليلة الثانية، وفي الليلة الثالثة وفيها قال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد على ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا. وقد أخبر الله – ﷻ – نبيه – ﷺ – بهذا الأمر فقال: ﴿نَحْنُ

(١) سورة الإسراء الآية: (٤١).

(٢) سورة الإسراء من الآية: (٤٦).

(٣) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم – د / خالد محمد القضاة ص ١٧.

(٤) سورة فصلت الآية: (٢٦).

أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا^(١)، (٢)

فالأداء الصوتي للنص القرآني يزيد المعنى جمالاً ويكسب اللفظ نغماً يأسر القلب ويأخذ اللب وتزداد النفس معه رقة فيكون أوقع أثراً في النفوس كما سبق مع صناديد قريش، وهو أيضاً الذي دفع الوليد بن المغيرة أن يقول حين سمع رسول الله - ﷺ - يتلو عليه سورة (حم السجدة) فإذا به يدهشه أمر القرآن، فيقول لبني مخزوم من غير تردد ولا كتمان: "والله لقد سمعت أنفأ من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن. إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلو عليه"^(٣) وكذا حديث عتبة بن ربيعة وذكر فيه قوله عن القرآن: "إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، وما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة"^(٤) وهو أيضاً السر الذي جعل عمر بن الخطاب - ؓ - يعلن إسلامه رغم شدته وعنفه وقسوة قلبه الذي رق عند سماعه لآيات القرآن تتلى حيث قال: "ما أجمل هذا الكلام وأكرمه". ولعل

(١) سورة الإسراء الآية : (٤٧) .

(٢) التعبير القرآني - د / فاضل صالح السامرائي ص ٩ ، ١٠ - دار عمار / عمان - ط / رابعة ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم - د / خالد محمد القضاة ص ٢٤ وما بعدها ، والإعجاز التأثيري في القرآن الكريم - د / زياد عواد أبوحماد مجلة جامعة دمشق - المجلد الثامن عشر - العدد الأول ٢٠٠٢ ص ٣٦٦ وما بعدها بتصرف .

(٣) غرائب القرآن ورجائب الفرقان - نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري - تح الشيخ / زكريا عميرات ٢٩١/٦ - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤١٦ هـ ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن - أبو إسحاق الثعلبي - تح الإمام / أبي محمد بن عاشور ٣٨ / ٦ - دار إحياء التراث العربي بيروت / لبنان - ط / أولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٢٩ .

ذلك يرجع إلى الجمال الصوتي في الأداء والتآلف بين الأصوات والكلمات، والانسجام بين مخارجها وصفاتها، أو ما يعتريها من المد والقلقلة والإدغام والحذف وغيرها.

ولأدل على تأثير الأداء القرآني - بما يتميز به من جمال الأداء - في نفوس سامعيه العرب غير المسلمين وإسلام جماعة من اليهود والنصارى من قول ابن الجزري: "إن الأستاذ عبد الله البغدادي، المعروف بسبط الخياط كان قد أعطي حظاً عظيماً من حسن الترتيل، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماعهم لتلاوته، ومثله في ذلك الشيخ / ابن بصخان شيخ الشام، والشيخ / إبراهيم الحكري شيخ الديار المصرية".^(١)

ثالثاً: تأثير القرآن في نفوس غير العرب:

كما أثر القرآن الكريم تأثيراً بليغاً في نفوس العرب كفاراً ومسلمين، وفي نفوس المسلمين من غير العرب المؤمنين به الخاشعين عند تلاوته، أثر كذلك في نفوس غير العرب الذين لا يعرفون من اللغة العربية شيئاً. فتأثير القرآن الكريم عن طريق حسن الأداء لم يتوقف عند العرب الذين يعرفون العربية وحدهم لكن تعداهم إلى غيرهم ممن لا يفقهون العربية لعذوبة جرسه ونغمته وحلاوة أدائه، وقد بين ذلك الشيخ سيد قطب عند تفسيره لقول الله - ﷻ - ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.....﴾^(٢) حيث قال: "إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري. إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً.....".^(٣) وضرب

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٣.

(٢) سورة يونس الآيات من (٢٦ إلى ٧٠).

(٣) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٨٦.

لذلك مثلاً بسيدة يوغسلافية كانت على ظهر سفينة مصرية تمخر به ومعه ستة نفر من المسلمين عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك ؛ وعلى متنها عشرون ومائة راكب وراكبة أجنب ليس فيهم مسلم.. وقد يسر قائد السفينة – وكان إنجليزياً – للمسلمين أن يقيموا صلاتهم ؛ وسمح لبحارة السفينة وطهااتها وخدمها – وكلهم نوبيون مسلمون – أن يصلي منهم من لا يكون في « الخدمة » وقت الصلاة ! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة.. وقام الشيخ / سيد قطب بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة ؛ والركاب الأجانب – معظمهم – متعلقون يرقبون صلاتهم !.. وبعد الصلاة جاءت سيدة يوغسلافية مسيحية وكانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرهما. جاءت تشد على أيديهم بحرارة ؛ وتقول: – في إنجليزية ضعيفة –: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها قسيسكم ! – (أي خطيب الجمعة) –.... إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً.. ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه – بهذه اللغة الموسيقية – فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه ! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً. هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعدة وقشعريرة ! إنها شيء آخر ! كما لو كان – الإمام – مملوءاً من الروح القدس ! – حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها ! – وتفكرنا قليلاً. ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة ! وكانت – مع ذلك – مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما تقول شيئاً ! وليست هذه قاعدة كما قلت. ولكن وقوع هذه الحادثة – ووقوع أمثالها مما

ذكره لي غير واحد - ذو دلالة على أن هذا القرآن سرّاً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته.^(١)

كذا ذكر الشيخ عزيمة - رحمه الله - أن: "القرآن الكريم معجز بنظم أسلوبه، ويجرس ألفاظه، وأصوات كلماته.... أما إعجاز جرس ألفاظه وأصوات كلماته فيحس بها من له أذن موسيقية ولو كان أعجمياً لا يعرف اللغة العربية. ففي عصرنا وفي أيامنا هذه فتاة أمريكية مسيحية، ثقافتها لا تتجاوز دراسة الموسيقى، سمعت تلاوة القرآن الكريم من الإذاعات المختلفة فشدها انتباهها جرس ألفاظ القرآن وأصوات كلماته، ودفعها ذلك إلى أن تتعلم اللغة العربية حتى تستطيع قراءة القرآن، تعلمت اللغة العربية واستطاعت أن تقرأ القرآن لكنها لم تقنع بذلك، وحضرت إلى القاهرة لتتعلم قراءة القرآن مع التجويد على يد شيخ من شيوخ القراءة وهو الشيخ عامر، وقد تركتها في القاهرة. وأخبرني الشيخ عامر بأن فتاة أمريكية أخرى قد انضمت إليها. وفيما قرأت: ضابط كندي من جنود الحلفاء في الحرب العالمية الثانية تأثر بقراءة الشيخ محمد رفعت - رحمه الله - فحضر إلى مجلسه واستمع لقراءته ثم أعلن إسلامه. إنما تأثر هؤلاء بجرس ألفاظ القرآن، وأصوات كلماته من غير فقه لمعاني الألفاظ القرآنية، ولا وقوف على أسرار النظم في القرآن الكريم".^(٢)

وقد أقر مسيحيو العصر الحديث بعظمة القرآن الكريم وما أحدثه في نفوسهم حيث اعترف الدكتور / ماردريس المستشرق الفرنسي بعظمة القرآن الكريم وذلك بعد أن كلفته وزارته الخارجية والمعارف الفرنسية بترجمة (٦٢) سورة من السور

(١) في ظلال القرآن ١٧٨٦/٢ بتصرف .

(٢) دراسات في أسلوب القرآن الكريم - الشيخ / محمد عبد الخالق عزيمة - القسم الثالث ١/ ٧ ، ٨ .

الطوال التي لا تكرر فيها ففعل. وقال في مقدمة ترجمته الصادرة ١٩٢٦م: "أما أسلوب القرآن فهو أسلوب الخالق - جل وعلا - لأن الأسلوب الذي ينطوي على كنه الخالق الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهاً" والحق الواقع أن أكثر الكتاب شكاً وارتياباً قد خضعوا لسلطان تأثيره".^(١)

كذا ذكر أحد الباحثين نموذجاً على تأثر غير العرب بالقرآن الكريم وإعلانهم الإسلام لمجرد سماع تلاوة القرآن الكريم من شيخ حسن الصوت من دون أن يكون لهم علم بالعربية ومن هؤلاء الدكتور / لويس أميليو بلسوني البرازيلي وهو طبيب أسنان نشأ في عائلة مسيحية كاثوليكية حرصت منذ البدء على تربيته على مبادئ الديانة المسيحية.^(٢)

ويقول جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م) في كتابه (محاولة في أصل اللغات) مبيناً الأثر النفسي الذي يحدثه ترتيل القارئ وتغنّيه مما يبعث فيضاً من الاستحسان للبيان القرآني إلى قلبك: "... إنك لترى الذي له بعض معرفة باللغة العربية يتسم إذ يتصفح القرآن، ولعمري، إنّه لو أنصتَ إلى محمد يقرأه بنفسه في تلك اللغة البليغة الموقّعة، وبذلك الصوت الجهوري المقنع الذي كان يستهوي الأذن قبل أن يستهوي القلب، ولو أنصت إليه إذ لا ينفكُ ينفثُ في حكمه نبرةً وحماساً لسجد على الأرض من الرهبة، ثم لناداه: ألاً، أيها النبي، ألاً، يا رسول الله خذنا إلي المجد والشهادة: نريد أن نغلب أو نموت في سبيلك" ^(٣)

(١) الإعجاز اللغوي والبياني ١/ ٤١٨ .

(٢) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم - د / خالد محمد القضاة ص ٣٣ .

(٣) محاولة في أصل اللغات - جان جاك روسو- تعريب / محمد محبوب ص ٧١ - دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ١٩٨٦، والعزف على أنوار الذكر ص ١٦٢ .

وكان ريسلر (restler) وهو باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس ممن تأثر بروعة أسلوب القرآن الكريم وبتلاوته فبين أثره في النفوس حيث قال: "لما كانت روعة القرآن في أسلوبه فقد أنزل ليقراً ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية. ويجب أن تقرأه في لغته التي كتب بها؛ لتتمكن من تذوق جملة وقوته وسمو صياغته. ويخلق نثره الموسيقى والمسجوع سحراً مؤثراً في النفس حيث تزخر الأفكار قوة وتتوهج الصور نضارة، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في إشعارنا بأن محمداً ﷺ - كان ملهماً بجلال الله وعظمته".^(١)

وتقول عائشة برجت هوني (Ayesha Bridget Honey) وهي فتاة نشأت في أسرة انكليزية مسيحية، وشغفت بالفلسفة، ثم سافرت الى كندا لإكمال دراستها. وهناك في الجامعة أتيح لها أن تتعرف على الإسلام، وأن تنتهي إليه، وقد عملت مدرسة في مدرسة عليا في نيجيريا: "لن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام".^(٢)

(١) قالوا عن القرآن ص ١٩ .

(٢) السابق ص ٣٧ .

الفصل الثاني

المبحث الأول: جمال الأداء القرآني وكيفيته والآثار الواردة فيه

التفاوت سنة من سنن الله الثابتة، ومن ذلك تفاوت الناس في قدرتهم على أداء كلامهم في طبقات شتى ما بين عبي لا يكاد يبين وما بين صاحب بيان يكاد يسمع من به صمم.

فلكل صوت طابعه المميز الذي يحدده بناء الرأس والعنق والوجه وطريق اهتزاز الطيات الصوتية ووسيلة تشكيل فتحة المزمار، كما يحدده أيضاً طريقة المتحدث الكلامية: درجة وضوح أصواته، وسرعة أدائه، وتنغيم جملته، مما يدل على شخصيته أكثر مما تدل عليه الكلمات المنطوقة، ولذلك فإن تجاوب المستمع لا يحدده: ماذا يقال؟ بقدر ما يحدده: كيف يقال؟^(١)

وعلى هذا نجد أن نطق اللغة الواحدة يختلف – قليلاً أو كثيراً – في أفواه أبنائها ويخضع ذلك لعوامل عديدة يرتبط معظمها بالتنفس، حيث يبرز أثره واضحاً في التمييز بين الأصوات الصادرة عن شخصين أو أشخاص مختلفة؛ لما له من ارتباط وثيق بكمية الهواء شهيقاً كان أو زفيراً. حيث ترتبط أكبر كمية هواء يمكن إخراجها عند أقصى زفير سبقه أقصى شهيق – (طاقة التنفس الحيوية) – بعدة عوامل مثل: نوع الشخص، وبيئته، وقدرته الفيزيائية، ومهنته، ووزن جسمه وطوله، ومحيط صدره. كما أن طاقة التنفس الحيوية تزيد عند الوقوف بسبب نقص الدم في الرئتين.^(٢)

(١) دراسات صوتية – د / تغريد عنبر ص ١٤٨ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة ١٤٠١

هـ / ١٩٨٠م.

(٢) السابق ص ٨٥ .

وهذا الكلام الذي يتفاوت الناس في أدائه شريان رئيس من شرايين الحياة وركن ثابت من أركانها، ارتبطت به كثير من أمور الشرع، فبه يُدخَل في الإسلام، وبه يذكر الله ويعبد، وبه ينادى للصلاة، وبه يُقرأ القرآن.....؛ والنية في كل ذلك خلفه.... ولأجل هذا كله أولى الإسلام أداء الكلام عناية تتناسب مع قدره، فكان محمد - ﷺ - المثل الأعلى فيه. عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان كلام رسول الله - ﷺ - كلاماً فضلاً يفهمه كل من يسمعه".^(١)

وقد حث الإسلام على حسن الصوت وعلى جمال الأداء عند قراءة القرآن الكريم، بل جعل الإسلام أداء القرآن من تمام الإسلام، إذ تذكر الروايات الكثيرة أن النبي - ﷺ - هو أول من أسّس تلاوة القرآن وقراءته بصوت حسن، وكان يؤكّد كثيراً على قراءة القرآن بالأصوات الحسنة فجاءت في هذا المجال أحاديث كثيرة تؤكّد حسن الأداء والقراءة الصحيحة بل دعت صراحة إلى التغني بالقرآن الكريم حال ترتيله فقد صح عن النبي - ﷺ - أنه قال: "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" ^(٢) قال النووي: "ومعنى (يتغنى): يحسن صوته بالقرآن" ^(٣) وقيل: تحسين الصوت وتطيبه بالقراءة من غير تغريد الصوت.^(٤)

(١) سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث - تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ٤ / ٢٦١ - المكتبة العصرية / بيروت .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني - (باب من لم يتغن بالقرآن) حديث رقم (٥٠٢٣) - ٣٩ / ١٠ - دار إحياء التراث العربي / بيروت .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم - أبوزكريا بن شرف النووي ٦ / ٧٨ - دار إحياء التراث العربي / بيروت - ط / ثانية ٥١٣٩٢ .

(٤) روح البيان - إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي ٤ / ٨٧ - دار الفكر / بيروت .

فالرسول - ﷺ - كان يُعجبه الصوت الموهوب في ترتيله لآيات الذكر الحكيم ؛ حيث تنسجم روعة الأداء مع قدسية المضمون، والجمال مع الكمال، وتتوافق الصورة، في نفس مطبوعة على السمو المطلق، والتكامل الفطري ؛ ولهذا كان - ﷺ - يحب الإنصات لعبد الله بن مسعود - ؓ - المسمى بابن أم عبد، وكان - ﷺ - يتميز بصوت نفاذ، وأداء للقرآن أخاذ، وكان النبي - ﷺ - يقول لأصحابه: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يقرأَ القرآنَ غَضًّا كما أنزلَ فليقرأ قراءة ابنِ أمِّ عبدٍ" ^(١) ؛ يعني: ابن مسعود، وقد سبق أن ذكرت أن الرسول - ﷺ - كان يجهش بالبكاء حيث يسمع قراءة ابن مسعود. كذا نُقل عن عثمان النهدي قوله: "صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ^(٢)، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله" ^(٣).

وممن طرب له الرسول - ﷺ - في تلاوته، واستمالاته قراءته: أبو موسى الأشعري - ؓ - وكان من ذوي الحناجر الذهبية الموهوبة، سمعه النبي - ﷺ - يقرأ من وراء جدر بيته فتلبث ملياً ؛ إعجاباً بهذا الصوت المشرق، والأداء الرائع، فلما عرف ذلك أبو موسى قال للرسول - ﷺ - : "لو علمت بوقوفك لحبرته لك تحبيراً" ^(٤) أي: حسنته لك أكثر مما سمعت.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - تح / شعيب الأرنؤوط ، وآخرين - حديث رقم (١٨٤٥٧) / ٣٠ / ٤٠٠ - مؤسسة الرسالة - ط / أولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

(٢) سورة الإخلاص آية : (١) .

(٣) النشر ١ / ٢١٢ .

(٤) شعب الإيمان - أبو بكر البيهقي - تح د / عبد العلي عبد الحميد حامد - ١٨٣ / ٤ - مكتبة الرشد / الرياض - ط / أولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .

وإذا كان النبي - ﷺ - يعجبه الصوت الحسن في ترتيل القرآن الكريم فإنه قد أكد أن يكون تجميل الصوت وتحليته عند قراءة القرآن الكريم من أولويات الترتيل له فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - وعن البراء - ؓ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "زينوا القرآن بأصواتكم".^(١) وفي رواية عن علقمة قال: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه القرآن فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "حسن الصوت زينة للقرآن".^(٢) فابن مسعود كانت تعجبه قراءة (علقمة الأسود) - لحسن صوته بقراءة القرآن.

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به؛ لأن التطريب بقراءة القرآن والترنم به من شأنه أن يبعث على الاستماع والإصغاء، وهو أوقع في النفس، وأنفذ في القلب وأبلغ في التأثير.

ويشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم أو الترنم به الالتزام بأحكام التجويد وآداب التلاوة، والخروج عن نغم الألحان الموسيقية؛ لأنه إذا كان القارئ متحاشياً الأنغام الموسيقية وألحان أهل الفسق قارئاً على لحون العرب محسناً صوته فلا مجال للطعن فيه والداخل ظاهراً وباطناً والله أعلم.^(٣)

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل - حيث رقم (١٨٤٩٤) ٣٠ / ٤٥١، وتنبية الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين - أبو الحسن النوري الصفاقسي - تح / محمد الشاذلي النيفر ص ١١٩ - مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو الحسن نور الدين بن أبي بكر الهيتمي - تح / حسام الدين القدسي - حديث رقم (١١٧٠٧) - ١٧١/٧ - مكتبة القدسي / القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، وتاريخ دمشق - ابن عساكر - تح / عمرو بن غرامة العمروي ١٧٣ / ٤١ - دار الفكر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٣) روح البيان ٦٦/٣.

كما يشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن ألا يغيّر التلحين والتطريب من ألفاظ القرآن، أو يخلّ بما نقل إلينا من طرق الأداء، وألا يكون تكلفاً وتصنعاً ورفعاً وخفضاً على نحو توقيعات الموسيقى، فلا كلام في أن هذا ممنوع ومحرم. أما إذا كان تحبيراً وترقيقاً وتحزيناً، وشيئاً قضى به تعاض القارئ، وكمال تأثره بمعاني القرآن، فليس هناك من الأدلة ما ينهض على منعه، بل الأدلة شاهدة به وداعية إليه. وعلى هذا ينبغي حمل كل ما أورده المانعون في منع التغني على التغني المذموم الذي يسير فيه القارئ مع الهوى ويلهوه به عن تدبر المعنى ويخرج فيه عن الحدود والقوانين المأثورة في الأداء والترتيل. وهذا محمل قريب جداً وهو فوق ذلك مؤيد بتلك النصوص والآثار التي تجيز التغني في قراءة القرآن.^(١)

ف تحسين الصوت بالقراءة أمر متفق على استحبابه، أما الألحان فوقع بين السلف اختلاف في جواز القراءة بها. والفقهاء جميعاً متفقون على حرمة قراءة القرآن بالأنغام التي لا تراعى فيها أحكام التجويد كمدّ المقصور، وقصر الممدود، وترقيق المفخّم، وتفخيم المرقق، وإظهار ما ينبغي إدغامه، وإخفاء ما ينبغي إظهاره... إلخ، والتي يكون الغرض منها (التطريب) وإظهار جمال الصوت فحسب دون تقيّد بالأحكام وآداب التلاوة، فإن هذا لا يشك أحد في تحريمه، أما إذا كان المراد بـ (التلحين) هو تحسين الصوت بالقراءة وإخراج الحروف سليمة من مخارجها، دون تقعر أو تمطيط، مع تطبيق أحكام التجويد ومراعاة الوقوف والمدود فإن هذا لا يقول أحد بتحريمه، لأن الصوت

(١) تفسير آيات الأحكام - محمد علي سايس - تح / ناجي سويدان ص ٨١٥ - المكتبة العصرية للطباعة ٢٠٠٢م.

الحسن يزيد في جمال القرآن، وله أثر في نفس الإنسان.^(١) وهذا ما أيده ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في قوله: "والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع... ومن جملة تحسينه أن يُراعى فيه قوانين النغم^(٢)، فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك وإن خرج منها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء، ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعى الأداء، فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره؛ لأنه يأتي بالمطلوب مع تحسين الصوت، ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء".^(٣)

وتحسين الأداء - حتى يحتاج في إثباته إلى التواتر، وحتى يمكن ضبطه ونقله - إنما هو كيفية من الكيفيات المتعلقة بالأصوات، وهو ضرب من أضرب التحدث بالكلام وطريق من طرق إلقائه، والناس في هذا متفاوتون تفاوتهم في الغرائز، والاستعدادات، والخصائص، فلكل شخص صوته الخاص، ونبراته الخاصة، وإلقاؤه الخاص، فحينئذ يتعذر

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام - محمد علي الصابوني ٢/٦٣١ - مكتبة الغزالي / دمشق - مؤسسة مناهل العرفان / بيروت - ط / ثلاثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

(٢) المقصود بقوانين النغم: الألحان العربية الفطرية الطبيعية ومذاهبه وأنواعه، وليس المقصود قوانين النغم الموسيقي التي تخرج القراءة عن أحكام التلاوة والترتيل، فالتحزين والترجيع نوع من تلحين الأداء الذي هو من التنعيم المشروع (أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد - دراسة تأصيلية - د / باسم بن حمدي بن حامد السيد ص ١١١ - دار الحضارة للنشر / الرياض - ط / أولى ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م). فالقرآن منزله عن الأوزان والأوضاع الملهية، والقانون الموسيقي كما ذكر ابن كثير في (فضائل القرآن - ص ١٩٥ - مكتبة ابن تيمية - ط / أولى ١٤١٦ هـ).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه / محمد فؤاد عبد الباقي ٩ / ٧٢ - دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩ هـ.

نقل هذه الكيفيات المتعلقة بالضبط والأداء التي لا تختلف باختلاف الأشخاص فيتيسر نقلها ومحاكاتها جيلاً بعد جيل، وعصراً إثر عصر. وقولهم: إنَّ الترجيع والتطريب فيه همز ما ليس بمهموز. إلخ غير مسلم، فإن القارئ يستطيع - في سهولة ويسر - أن يتغنّى بالقرآن، ويرجع فيه ويحسن صوته بتلاوته، مع تحريره الدقة في تجويد كلماته، وإتقان حروفه، وتجميل أدائه، ومراعاة حسن الوقف والبدء، إلى غير ذلك من القواعد التي وضعها أئمة القراءة. وكم سمعنا من قراء هذا العصر من يجمع بين الحسنيين، ويوفق بين الفضيلتين: متانة الترتيل، وعذوبة التطريب.^(١)

ومن الأحاديث الواردة في الحض على تحسين الصوت بالقرآن قوله - ﷺ -: "ما أذنَ اللهُ لشيءٍ ما أذنَ لنبيٍّ أن يتغنّى بالقرآن" ^(٢) أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه. وكما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ ^(٣) أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن هو الاستماع؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجة بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله - ﷺ -: "لله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن [يجهر به] من صاحب القينة إلى قينته". ^(٤)

(١) تفسير آيات الأحكام ص ٦١٠، نقلا عن كتاب "روائع البيان".

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ - مسلم بن الحجاج - تح / محمد فؤاد عبد الباقي - (باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن) حديث رقم (٧٩٢) / ٥٤٥ - دار إحياء التراث العربي / بيروت، وعمدة القاري - (باب من لم يتغن بالقرآن) حديث رقم (٣٢٠٥) / ٤٠١، وفتح الباري (باب من لم يتغن بالقرآن) حديث رقم (٥٠٢٣) / ٦٨.

(٣) سورة الانشقاق الآيات: (١، ٢، ٣، ٤، ٥).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل - حديث رقم (٢٣٩٤٧) - ٣٩ / ٣٧٢.

وروى الطبري: عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري: ذكرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى ويتلاحن فيقول عمر: من استطاع أن يتغنّى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل.^(١)

فالتغني بالقرآن معناه: التطريب به والحداء و"تحزين القراءة وترقيقها"^(٢) وفق قواعد معلومة؛ لأنه أوقع في النفوس، وأنجع في القلوب.^(٣) وذهب الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون إلى أن معناه: يحسن صوته به.^(٤) وقال صالح: قلت لأبي - (أي أحمد بن حنبل) -: "زينوا القرآن بأصواتكم"^(٥) ما معناه؟ قال: أن يحسنه. وقيل: تزيين القراءة يكون بحيث تختلف عن سجية معتاد الكلام حال التلاوة، فهذا هو الواجب الشرعي؛ إذ يمثل الترتيل المأمور به.^(٦) وقيل له (أي أحمد بن حنبل): ما معنى "من لم يتغن بالقرآن" قال: يرفع صوته به. وقال الليث: "يتحزن به، ويتخشع به، ويتباكى به". ورد الإمام الشافعي على ابن عيينة تأويله التغني بالاستغناء فقال - رحمه الله تعالى -:- نحن أعلم بهذا، لو أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - الاستغناء به لقال: ليس منا من لم يستغن بالقرآن. فلما قال: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" علمنا أنه التغني به. وقال: معناه يقرأه حزناً وتحزيناً.^(٧) ولعل السبب في ذلك أن الحزن مفتاح القلب.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - ٤١ / ٢٠ .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ٧٩ / ٦ .

(٣) شرح السنة - البغوي - تح / شعيب الأرنؤوط ، وآخر ٤ / ٨٥ - المكتب الإسلامي / دمشق - ط / ثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ٧٩ / ٦ .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٤١ .

(٧) السابق ص ٢٨٧ .

والميل بالقراءة نحو الحزن إخبار ضمني من القارئ بفقره وخشيته من ربه، واعترافه بالتقصير، وهي الضابط الحقيقي لحسن القراءة وزينتها، ثم ضبط النبي - ﷺ - لهم هذا التحزن وهو يعلمهم بأنه الذي يحقق هذا المقصد من إظهار الجزع على النفس بين يدي الله - ﷻ - والخشية منه، والإشفاق من عذابه، والطمع في رحمته كما في الحديث عن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، الذي إذا سمعتموه يقرأ، حسبتهمو يخشى الله".^(١) قال الحسن: "قراء القرآن ثلاثة أصناف: فصنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثير هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر".^(٢)

وقد ورد في حديث أبي موسى الأشعري أن النبي - ﷺ - قال له: "لورأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة لقد أوتيت زمراً من زمائر آل داود. فقال: يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبيراً".^(٣) والتجبر هنا يقصد به: شدة التحسين، وقوة الجمال، مع المبالغة

(١) سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - تح / محمد فؤاد عبد الباقي - (باب في حسن الصوت بالقرآن) حديث رقم (١٣٣٩) / ٤٢٥ - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير وزيادته) - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني - حديث رقم (٢٢٠٢) / ٤٣٩ - المكتب الإسلامي.

(٢) جمال القراءة وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي - تح / علي حسين البواب / ١٠٦ - مكتبة التراث / مكة المكرمة - ط / أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

(٣) صحيح مسلم باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن - حديث رقم (٢٣٦) / ٥٤٦، وفتح الباري شرح صحيح البخاري - حديث رقم (٥٠٤٨) / ٩٣ - دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩ هـ.

في ذلك. والمراد به - هنا - في الصوت حتى يسر به المرء. فأبو موسى يريد بالتجبير شدة تحسين الصوت وتحزينه. ^(١) وهذا القدر من شدة التحسين ليس بواجب لكنه قد يزيد النشاط في التلاوة، إذ لم ينكر النبي - ﷺ - عدم وجوده، وتدخل فيه الخلقة البشرية، والمنحة الإلهية وفق القواعد المتلقاة. ولا أدل على اهتمام ابن مسعود بحسن الأداء لآي الذكر الحكيم والتغني به وتحبيره من قوله: "إذا وقعت في (آل حم) وقعت في روضات دمثات أتألق فيهن" أي: أتتبع محاسنهن. قال ذلك من أجل أوزان الكلمات، ومن أجل الفواصل في أواخر الآيات؟ أما ترى أنهم لذلك قالوا: "لا تفنى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد". ^(٢)

وفي ترجمة أبي موسى هذا يقول أبو عثمان النهدي: "ما سمعت صوت صنح ولا يربط ^(٣) ولا مزمار مثل صوت أبي موسى - ﷺ - ومع هذا قال - ﷺ -: "لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود". ^(٤) وقال عنه الذهبي: ".... إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - تح / طاهر أحمد الزاوي، وآخر - المكتبة العلمية / بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني - عبد القاهر الجرجاني - تح / محمود محمد شاكر ص ٢٨٨، ٣٨٩ - مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة - ط / الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(٣) الصنح العربي: هو الذي يكون في الدفوف ونحوه، فأما الصنح ذو الأوتار فدخل معرب، تختص به العجم وقد تكلمت به العرب. لسان العرب (ص ن ج). والربط: العود، أعجمي ليس من ملاهي العرب فأعربته حين سمعت به. التهذيب: البربط من ملاهي العجم شبه بصدر البط، والصدور بالفارسية بر فقل بربط. فارسي معرب. قال ابن الأثير: أصله بربط فإن الضارب به يضعه على صدره، واسم الصدر بر. لسان العرب (ب ر ب ط).

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير الدمشقي - تح / محمد حسين شمس الدين ٥ / ٣١٤ - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤١٩هـ، وقد سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

علماً طيباً مباركاً وأقرأ القرآن".^(١) ومنها ما رواه جعفر بن سليمان قال: سمعت مالک بن دينار في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ قال: يَقَامُ داود يوم القيامة، عند ساقِ العرش. ثم يقول: يا داود، مَجِدِّي اليوم بذلك الصوت الحَسَنَ الرَّخِيمَ الذي كنت تَمَجِّدُنِي به في الدنيا، فيقول: وكيف وقد سلبته؟ فيقول: إني أردته عليك اليوم. قال: فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان".^(٢) الصوت الحسن الرخيم أي: الرقيق الشجي الطيب النَّعْمَة.^(٣)

وغير ذلك من الأحاديث التي تحض على جمال الصوت، مما يدل على أن تزيين الصوت بالقرآن أمر مستحب، لما له من أثر واضح في حُسن الأداء حين التلاوة. لكن ينبغي للإنسان أن يعرف أن ذلك له قدر ألا يكون مشغلاً أو محرفاً للقرآن على هيئته التي أنزل عليها، كما ينبغي عدم الإفراط في جمال الصوت وحسن الأداء مما يترتب عليه البعد عن التفكير والتأمل لمضمون الآي وهو الغرض الأهم من التلاوة. فكما لا يجوز الإخلال بصحة الحروف، واستقامة الوقوف، كذلك لا يجوز المبالغة في نطق الحروف، والتكلف في إخراجها، حتى تصل إلى صورة مشوهة جافية، وذلك على النحو الذي سنوضحه في حديثنا عن أحكام التجويد ودورها في جمال الأداء وكمال الإقراء لآي الذكر الحكيم.

(١) تذكرة الحفاظ - شمس الدين الذهبي ٢٢/١ - دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان - ط / أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم - أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم - تح / أسعد محمد الطيب - ١٠ / ٣٢٤٠ - مكتبة نزار مصطفى الباز / المملكة العربية السعودية - ط / ثلاثة ١٤١٩هـ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ١٦٨

(٣) كلام رخيرم أي رقيق، ورخمت الجارية رخامة فهي رخيمة الصوت، سهلة المنطق. لسان العرب (ر خ م).

وقد دلت الآثار المروية على أن عناية الرسول ﷺ - بحسن الأداء وجمال القراءة لم تشغله عن الهدف الأساس من القراءة ؛ وهو الانتفاع والذكرى. فكان - ﷺ - يجمع فكره وقلبه في التلاوة ، للوصول من خلالها إلى أبلغ المفاهيم الدينية، والانتفاع بأقصى ما يمكن الانتفاع به من مذكور الحكم، وكنوز الأحكام، حكى عنه ذلك أصحابه في غير موضع ؛ ومن هؤلاء أبو الدرداء - ؓ - الذي روى: أن الرسول ﷺ - قام في ليلة يردد آية واحدة حتى الصباح، وهي: {إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ^(١)، وهذا أنس بن مالك - ؓ - الذي خدم الرسول ﷺ - تسع سنين يُسأل عن تلاوته - ﷺ - فيقول: " كانت مدًّا هكذا، ثم قرأ: { بسم الله الرحمن الرحيم}، يمدُّ {الله}، ويمد {الرحمن}، ويمد {الرحيم}." ^(٢)

وبالتأمل والتدبر فيما ورد من الأحاديث ندرك أن الرسول ﷺ - قد دعانا إلى تمييز القرآن الكريم عن غيره من ألوان الكلام في الأداء والتعبير، ووضعه في إطار خاص يتفق مع جلالته رسالته...؛ نظراً لأن لتلاوة القرآن الكريم أسلوباً فريداً، ونموذجاً رائعاً جمع بين استحسان الشرع، وملائمة الطبع، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته، وهذا الأسلوب الخاص الذي تفرد به القرآن الكريم تلاوةً وأداءً يعتمد أساساً على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، وتدبر المعنى، وتفهم المغزى، مع لطف الأداء الصوتي، وجمال النطق به، والترديد له.

فللنص القرآني الكريم طبيعة خاصة، وعلى قارئ القرآن أن يتحلى بالمعرفة الدقيقة للكيفية التي ينساب النص الكريم من خلالها، من أجل أن يتوصل قارئ

(١) سورة المائدة آية : (١١٨) .

(٢) المقدمات الأساسية في علوم القرآن - عبد الله بن يوسف بن عيسى اليعقوب ص ٤٤٦ - مركز البحوث الإسلامية ليدز / بريطانيا - ط / أولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

القرآن إلى الصورة الجمالية والفنية المتكاملة التي يطرحها. والتي غالباً تغيب عن أذهاننا. ^(١) لأن الصوت الحسن يزيد في جمال القرآن، وله أثر في نفس الإنسان كما ذكرنا. بل إن أثر الصوت الحسن بالقرآن قد يتعدى الإنسان على النحو الذي يجعل المخلوقات تميل مع القارئ، وتجيبه ويدل على ذلك قوله - ﷺ -: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ ^(٢) وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويماً. ^(٣) ويقول ابن الجزري: "أخبرني جماعة من شيوخه وغيرهم أخباراً بلغت التواتر عن شيخهم الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الصائغ المصري - (رَحِمَهُ اللَّهُ) - وكان أستاذاً في التجويد أنه قرأ يوماً في صلاة الصبح قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾. ^(٤) وكرر هذه الآية فنزل طائر على رأس الشيخ يسمع قراءته حتى أكملها فنظروا إليه، فإذا هو هدهد". ^(٥)

ف للصوت الحسن لذة تكتسب بلا تعب ولا إرهاق للجسم والجوارح. ^(٦) قال ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ^(٧): "سمعت بمدينة السلام شيخ القراء البصريين يقرأ في دار بها الملك: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾" ^(٨)

(١) من أسرار البناء الداخلي في القرآن الكريم - محمد صبحي السويركي - ط / أولى ص ٣٤.

(٢) سورة الأنبياء من الآية: (٧٩).

(٣) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم = المنهج النبوي في التعليم القرآني ص ٢٩٩.

(٤) سورة النمل الآية: (٢٠).

(٥) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٤.

(٦) مجلة المورد - المجلد (١٣)، العدد (٤) ص ٣ سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م بحث عن: الغناء والموسيقى حتى

نهاية العصر الأموي - د / شحادة علي الناطور - نقلا عن كتاب: المستطرف للأبشيحي ١٤٦/٢.

(٧) سورة سبأ الآية: (١٠).

(٨) سورة البروج الآية: (١).

فكأنّي ما سمعتها قط حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(١) فَكَأَنَّ الْإِيوَانَ قَدْ سَقَطَ عَلَيْنَا. والقلوب تخشع بالصوت الحسن كما تخضع للوجه الحسن، وما تتأثر به القلوب في التقوى فهو أعظم في الأجر وأقرب إلى لين القلوب وذهاب القسوة منها... والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى وزيادة في الخلق ومنّة، وأحق ما لبست هذه الحلة النفيسة والموهبة الكريمة كتاب الله...^(٢)

لكن مما ينبغي الوقوف عنده أن تحلية القراءة، وتزيين التلاوة بالصوت الحسن، والأداء الأغنى الجميل من مكملات التلاوة أو الترتيل، لأن عماد الترتيل المطلوب في قراءة كتاب الله - ﷺ - إنما هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف - (القراءة المجوّدة تجعل السامع لأيّ الذكر الحكيم يلتذُّ بتلاوته، والقلوب تخشع عند قراءته) - على أن الاقتصار على هذه المكملات، وحصر الاهتمام في استهواء القلوب والأسماع بجمال النبرات، وتناسق الألحان، مع صرف العناية عن الهدف الأوّل من الترتيل؛ وهو الإدراك الواعي، والفهم الناضج لما يشتمل عليه القرآن من حكم وأحكام، ومعان وآداب، وغير ومواعظ، يذهب بالفائدة المرجوة من الترتيل، ويُضحي بالكثير من أجل القليل، ويقصد المعنى حفاظاً على صورة المبنى، وهذا خروج عن الجادة المرسومة لتحديد معنى الترتيل الذي اختص به القرآن، وتميز به في تلاوته عما عداه. قال محمد بن كعب القرظي: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح: "إذا زلزلت الأرض"، و"القارعة" لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما.

(١) سورة البروج من الآية: (١٦).

(٢) أحكام القرآن - أبو بكر بن العربي - تح / محمد عبد القادر عطا ٤ / ٥ - دار الكتب العلمية / بيروت -

ط / ثلاثة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

وأفكر أحب إلي من أن أهدّ القرآن هذا^(١) أي: أسرع فيه إسراعاً ليس فيه شيء مما ذكر.

ومعنى ذلك: أن إجادة الترتيل ليس لها حد تقف عنده، وأنها قابلة للتطوير إلى الحد الذي لا يفسد المبنى، ولا يلهي عن المعنى. ومن هنا نعلم أن حسن الأداء – وهو جزء من دراسة الأصوات وطرق أدائها – لا يتأتى إلا باتباع سنن أهل اللغة في النطق، والاهتمام بالجانب التطبيقي، والتعود على مجاراة الفصحاء، والسماع للقراء المجودين. فالقراءات التي نسمعها من القراء من وقف، ومد، وسكت، ومدود مختلفة هي التنغيم. هذه الجوانب المشرقة في تراثنا يجب أن نضع أيدينا عليها؛ لأن حسن الأداء ووضوح المعاني من أهم ما سعى إليه العلماء.

والفرق بين حسن الأداء وحسن الصوت في القرآن الكريم: أن الهدف من تعلّم حسن الأداء هو العمل بأقوال الرسول بتحسين الأداء لنصل إلى درجة الخشوع والتأمل في الآيات عند سماعها بأداء يريح القلب ويطرب الأذن ويسعد السامع. فالهدف بالتالي هو حسن الأداء وليس فن الغناء؛ لأن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً على أن العلماء قد اختلفوا في وجوب حسن الأداء في القرآن فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات، فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الأداء واجب فيه فحسب، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئاً من القرآن كيفما كان؛ لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلاً إليه إلا عند الضرورة قال الله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾. وهذا الخلاف على الوجه

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٠٩.

الذي ذكره غريب، والمذهب الثاني هو الصحيح، بل الصواب على ما قدمناه، وكذا ذكره الإمام الحجة أبو الفضل الرازي في تجويده وصوب ما صوبناه والله أعلم.^(١) أما حسن الصوت فهو من أحد وسائل حسن الأداء.

تعريف جمال الأداء :

الجمال لغة: الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمَل، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾^(٢) بمعنى : البهاء والحسن.^(٣) واصطلاحاً هو: ما يثير فينا إحساساً بالانتظام والتناغم والكمال، وقد يكون ذلك الجمال في مشهد من مشاهد الطبيعة، أو في أثر فني من صنع الإنسان.^(٤)

والمقصود بجمال الأداء في القرآن الكريم هو: توازن الصوت وتناغمه وتوافق طباقته طبقاً للمقام والمعنى مع مراعاة أحكام التجويد.

والناس عامة والقراء خاصة في جمال الأداء وحسن الصوت متفاوتون ويتفاضلون، وقد كان أصحاب النبي ﷺ - يتفاضلون في حسن تغنيهم بالقرآن، ويثني النبي ﷺ - عليهم في كل ذلك - كما سبق -... وقد عدوا من حكم تلاوة النبي ﷺ - على أبي " أن يتعلم أبي ألفاظه، وصيغة أدائه، ومواضع الوقوف، وصنع النغم في نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره".^(٥)

(١) السابق ٢١١/١، ٢١٢.

(٢) سورة النحل الآية (٦).

(٣) لسان العرب (ج ١).

(٤) جماليات الإيقاع الصوتي في لغة القرآن الكريم - ماجستير بكلية الآداب واللغات / جامعة محمد

بسكرة في الجزائر للباحث / محمد الصغير ميسة ص ٩ سنة ٢٠١٢م - نقلا عن: المعجم الأدبي -

جبور عبدالنور ص ٨٥ - دار العلم للملايين / بيروت ١٩٨٤م.

(٥) التغني بالقرآن - لبيب السعيد ص ١٠ - الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

فالاختلاف في جمال الأصوات البشرية وحسن الأداء مسألة طبيعية وقد وضع ذلك الإمام البخاري في قوله: "بين النبي - ﷺ - أن أصوات الخلق وقراءاتهم ودراساتهم وتعليمهم وألسنتهم مختلفة بعضها أحسن وأزين وأحلى وأصوت وأرتل والحن وأعلى وأخف وأغض وأخشع. وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(١) وأجهر وأخفى وأمهر وأمد وألين وأخفض من بعض".^(٢)

وهنا نلاحظ معلماً مهماً هو أن النبي - ﷺ - علمهم تقديم حسن الصوت في الأذان فأحرى أن يكون ذاك في القرآن. فعن عبد الله بن زيد قال: لما أصبحنا أتينا رسول الله - ﷺ - فأخبرته بالرؤيا فقال: "إن هذه الرؤيا حق فقم مع بلال فإنه أندى أو أمد صوتاً منك فألق عليه ما قيل لك، وليناد بذلك".^(٣) (أندى) أصله من الندى أي الرطوبة يقال: صوت ندى أي رفيع، واستعارة الندى للصوت من حيث إن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه". فأندى: أي أرفع وأعلى، وقيل: أحسن وأعذب، وقيل: أبعد. فالأحسن أن يراد بـ أندى ههنا: أحسن وأعذب. ففي الحديث دليل على اتخاذ المؤذن حسن الصوت... فإذا كان ذلك كذلك في الأذان، فكيف به في القرآن؟ وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يلتمسون حسن الصوت بالقرآن فعن عمر - ؓ - أنه قال لرجل: اقرأ سورة الحجر. قال: أو ليست معك يا أمير المؤمنين؟ قال: أما بمثل صوتك فلا".^(٤)

(١) سورة طه الآية: (١٠٨)

(٢) خلق أفعال العباد - أبو عبد الله بن المغيرة البخاري - تح د / عبد الرحمن عميرة ص ٧٣ - دار المعارف السعودية / الرياض .

(٣) سنن الترمذي - الترمذي - تح / أحمد محمد شاكر ، وآخرين - (باب ما جاء في بدء الأذان) - حديث رقم (١٨٩) - ٣٥٨/١ - مصطفى البابي الحلبي / مصر - ط / ثانية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٤) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٨٣ .

ولأدل على أهمية جمال الصوت في إبراز حسن الأداء والتأثير به مما ورد في الخبر: "ليس في خلق الله - تعالى - أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل السموات صلاتهم وتسبيحهم".^(١)

وبعد فإذا كان لجمال الأداء - وحسن الصوت كأحد العوامل البارزة في جمال الأداء - هذا الأثر الذي ذكر في نفوس السامعين فما عوامله أو مقوماته؟ يرجع جمال الأداء لأي الذكر الحكيم إلى عوامل متنوعة منها ما يرتبط بالقارئ أو المرتل ويشمل ذلك العوامل الفسيولوجية (العضوية)، والعوامل الفيزيائية (الطيفية)، ومنها ما يرتبط بلغة القرآن الكريم خاصة وبطريقة ترتيله. وتفصيل ذلك في المبحثين التاليين:

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) - الحسين البغوي - تح / عبد الرزاق المهدي ٥٧٢/٣ - دار إحياء التراث العربي / بيروت - ط / أولى ١٤٢٠هـ.

المبحث الثاني

عوامل جمال الأداء المرتبطة بالقارئ أو المرتل لآي الذكر الحكيم

تصدر الأصوات البشرية المكونة للكلمات نتيجة لعمل وتعاون أجهزة وأعضاء الجسم المختلفة من خلال نظام فسيولوجي (عضوي) واحد عند جميع البشر. وعلى الرغم من أن الجهاز النطقي للإنسان متحد ولا يختلف باختلاف الأشخاص أو اللغات إلا أن نطق الأصوات يختلف تبعاً لاختلاف عمل هذه الأعضاء.^(١)

ومن المقرر - أيضاً - أن أعضاء النطق في الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها، ومنهج أدائها لوظائفها. فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم يكن في بنيتها الطبيعية، فعلى الأقل في استعدادها، بل إنها لتختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين، غير أن هذا التطور يسير ببطء وتدرج، ولذلك لا يبدو أثره بشكل واضح إلّا بعد زمن طويل. فأعضاء النطق تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب، وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب، والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف.^(٢)

فالشعوب البشرية قد اختلفت فيما بينها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي استخداماً كاملاً، وهذا هو السبب في أن اللغات الإنسانية تتفق فيما بينها في بعض

(١) دراسات في علم اللغة - د / كمال بشر ص ١٩٤ - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) علم اللغة - د / علي عبد الواحد وافي ص ٢٨٩ : ٢٩٣ بتصرف - نهضة مصر - ط / أولى .

الأصوات، وتختلف في بعضها الآخر، وذلك تبعاً لاختلافها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي المتعددة^(١)

إلا أن هذا الاختلاف لا ينحصر في كونه اختلافاً بين اللغات ؛ حيث نجد عند مستخدمي اللغة الواحدة فروقاً جوهرية لاسيما فيما يتصل بالجانب الأدائي حسناً وجمالاً أو قبحاً وسوءاً وانحرافاً عن المضمون، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في تلاوة آي الذكر الحكيم واختلاف الأداء من قارئ لآخر، مما يجعلنا نتأثر بقراءة قارئ فنبيكي، أو نفرح، أو نشقائق إلى ما يسوقه البيان القرآني من البشري تأثراً بجمال الأداء وما يتضمنه من مدلولات معبرة موحية حسب المقام وطريقة الأداء وحسن الصوت تارة، أو لا نشعر بشيء من ذلك تارة ثانية ؛ لأن القارئ لأي الذكر الحكيم ليس لديه من مقومات الأداء الجميل والصوت الحسن ما يجعله يثير فينا إحساساً ما. وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يجعلنا نتأثر بقراءة قارئ معين لأي الذكر الحكيم، ولا نتأثر بقراءة قارئ آخر؟

إن الإجابة على هذا السؤال تجعلنا نبحث عن الفروق الصوتية بين القراء سواء أكانت هذه الفروق تعود في أصلها إلى الاختلافات الفسيولوجية (العضوية) بين القراء، أم الاختلافات الفيزيائية (الطيفية) في الصوت الصادر عن القراء، أم غير ذلك. وفيما يلي تفصيل لهذه العوامل :

أولاً: - العوامل الفسيولوجية (العضوية) :

للعوامل الفسيولوجية أو العضوية دور رئيس في الإحساس بجمال الأداء لأي الذكر الحكيم واختلاف الصوت الصادر عنها جمالاً وتأثيراً في نفوس المستمعين، أو قبحاً

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي - د / رمضان عبد التواب ص ٢٩ - الخانجي / القاهرة -

ط / ثلاثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

وعدم تأثر بالأداء ؛ لكونه صادراً عن صوت لا يملك من مقومات الجمال ما يجعله يثير فينا هذا الإحساس ولا يثير فينا انتباهاً نحو التأمل والتفكير فيما تتضمنه الآيات من نعيم أو عذاب، ووعد أو عيد، وحكم وعبر، وزجر ونهي، أو غير ذلك. وفيما يلي تفصيل لهذه العوامل الفسيولوجية:

أ- الاختلاف العضوي في أعضاء النطق بين قارئ وآخر :

يقول إخوان الصفا: "اعلم أن اختلاف الناس في كلامهم ولغاتهم على حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم".^(١) وقال أحد الباحثين المحدثين: "السبب في اختلاف نوع الصوت الاختلاف العضوي بين أعضاء النطق عند شخص وآخر، فقد يكون هذا واسع الفم أو ضيق الحنجرة أو مقطوع الشفتين".^(٢)

وقد بين الجاحظ أن سعة الفم علامة على جهازة الصوت حيث قال : "وكانوا يمدحون الجهير الصوت، ويذمّون الضئيل الصوت ؛ ولذلك تشادقوا في الكلام، ومدحوا سعة الفم، وذمّوا صغر الفم".^(٣) ومن ذلك أيضاً شكل حجرة الفم، وشكل قبة الحنك فهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟^(٤) وكذا الحنجرة من حيث حجمها وطبيعة أليافها العضلية لها دور رئيس في خشونة الصوت أو نعومته. فاختلاف أعضاء النطق هو الذي يحدد طبيعة الموجات الصوتية وما يترتب علي ذلك من تنوع أصوات الكلام.^(٥)

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا - د / أبو السعود الفخراي ص ٥٩ - مطبعة الأمانة ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

(٢) أصوات اللغة - د / عبدالرحمن أيوب ص ١٥٦ - مكتبة الشباب / مصر - بدون .

(٣) البيان والتبيين ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) أثر هيكل الفم في جمال الصوت . بحث في النت .

(٥) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٢٦ .

وبالنظر والتأمل في أصوات المتكلمين نجد أنها ليست على درجة واحدة؛ لأن لكل متكلم مدى معيناً من الدرجة لا يتعداه، فكثيراً ما نسمع صوت شخص لا نعرفه فيكون لدينا انطباع عن شخصه من خلال صوته بل ربما نتصور ملامح وجهه وبناء جسمه حيث إن لكل صوت طابعه المميز الذي يحدده بناء الرأس والعنق والوجه وطريقة اهتزاز حبله الصوتيين وطريقة كلامه، وتبعاً لذلك نجد فروقاً صوتية في درجة الصوت تختلف باختلاف القراء.

فالأجسام تختلف من حيث تردد الصوت الناتج عن اهتزازها تبعاً لتركيبتها الفيزيائية وللطريقة التي تثار بها، ويظل تردد الصوت ثابتاً مهما اختلف الاتساع.^(١) وهذا التذبذب يختلف باختلاف وزن الجسم، وطوله... فالجسم الثقيل يتذبذب تذبذباً أبطأ من تذبذب الجسم الخفيف.^(٢)

وهذا يدل على أن بين الجسم ووزنه وبين الصوت الصادر عنه علاقة عكسية، حيث إن الجسم الثقيل وإن كثر به هواء الشهيق والزفير يتذبذب أبطأ من الجسم الخفيف، فينتج عن ذلك صوت جهوري غليظ وخشن؛ لقلة عدد الذبذبات الصادرة عنه، وضعف الدفع الهوائي في القناة الصوتية؛ بسبب كبر حجم الرئة وطول الحلق وسعة المناخر والأشداق واتساع حجرات الرنين؛ حيث ينتج عن ذلك اتساع مدى الموجة الصوتية التي تشكل الصوت. والمدى يتسع ويضيق تبعاً لقوة وكثافة الجسم المهتز أو المنتج للصوت، خلافاً للجسم الخفيف فإنه يكون أكثر ضغطاً ودفعاً للهواء فيكثر بذلك الدفع

(١) دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك) - د / سعد عبدالعزيز مصلوح ص ٣١ - عالم الكتب / القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

(٢) علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) - د / عصام نور الدين ص ١٠١ - دار الفكر اللبناني / بيروت - ط ١ / أولى ١٩٩٢م .

الهوائي عدد الذبذبات الصادرة عنه بسبب صغر حجم الرئة وقصر الحلق وضيق المناخر والأشداق وصغر حجرات الرنين وينتج عن ذلك صوت حاد وناعم.

وقد بين إخوان الصفا العلاقة بين الجسم والصوت الصادر عنه فذكروا أن عظم الجسم المصوت يؤدي إلى عظم الصوت الصادر عنه وضخامته، فذكروا في رسائلهم نوعاً من الأصوات وصفوه بالكبر في مقابل الصغر، وعقدوا فصلاً في رسائلهم بينوا فيه اختلاف الأصوات في الصغر والكبر، وكبر الصوت وعظمه في نظرهم يجمع بين جهارته وشدته ومداه من ناحية، وبين غلظته وارتفاع نغمته من ناحية أخرى، ولذلك نراهم يذكرون أن العلة في عظم الصوت إنما ترجع إلى عظم الجسم المصوت وشدة صدمه الهواء وكثرة تموجه في الجهات. وقد ضرب الإخوان أمثلة توضح كبر الصوت بمفهومه العام منها قولهم: "فأما الكبير والصغير من الأصوات فإن المثال فيها أصوات الطبول الكبار والصغار، وذلك أن أصوات طبول المواكب إذا أضيفت إلى أصوات اللهو كانت كبيرة، وإذا أضيفت إلى أصوات الكوس - (طبل عظيم يضرب في ثغور خراسان عند النفير يسمع صوته من فراغ) - كانت صغيرة، وإذا أضيف أصوات طبول الكوس إلى صوت الرعد كان صغيراً، وعلى هذا المثال تعتبر الأصوات في الصغر والكبر بإضافة بعضها إلى بعض.^(١)

وأما بالنسبة لصوت الإنسان فقد ربطوا بين كبره وبعد مداه وبين كبر الرئة وطول الحلاقيم وسعة المناخر والأشداق، وهذا يعنى بالتعبير الحديث أنهم أدركوا المترابطات الفسيولوجية والفيزيائية والسمعية في إحساس الأذن بعظم الصوت. وكبر الصوت بما

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٣٢، ١٣٣.

اشتمل عليه من جهازة وشدة وبعد مدى وغلظة وارتفاع نغمة يتميز بالوضوح السمعي بدرجة كبيرة...^(١).

حيث يترتب على هذا العامل اختلاف حجم الوترين الصوتيين سمكاً وطولاً؛ لأن عدد ذبذبات الوترين الطويلين الضخمين أقل كثيراً، ويترتب على هذا عمق وضخامة في الصوت الصادر عنهما. كما يترتب عليه طول القصبة الهوائية وعمقها أو قصرها تبعاً لحجم الرقبة وما ينتج عن ذلك من حدة الصوت أو ثقله وغلظته أو التحكم في نبرته عن طريق التحكم في عضلاتها. فالقصبة الهوائية فراغ يستغل في تضخيم الصوت ومنحه صفته، فطول القصبة الهوائية وعمقها يؤدي إلى وجود صوت غليظ مع نفس طويل على النحو الذي نجده عند الشيخ الطبلاوي، وطولها مع رفعها ينتج عنه طول النفس مع حدة ما على النحو الذي نجده عند الشيخين / المنشاوي وعبدالباسط بتفاوت بينهما، وقصر القصبة ورفعها ينتج عنه حدة الصوت وقصر النفس، وقصرها مع عمقها ينتج عنه قصر النفس وضخامة الصوت. "فكلما كبر حجم الرئتين وطال الحلقوم واتسع، واتسعت المناخير والأشداق، وانفرج الفكان كانت الأصوات الصادرة عنها جهيذة، وزاد الصوت على قدر قوته وضعفه؛ لأنها تستنشق هواء كثيراً وترسله بشدة.^(٢) فالطاقة الكبرى تنتج سعة ذبذبة أكبر وصوتاً أعلى وأقوى، والحركة القوية تؤدي إلى اضطراب قوي في الهواء.^(٣)

وكلما كبرت الرئتان نظراً لطول الجسم وضخامته قلت سعتهما التخزينية للهواء الفاعل للصوت، وقلت قوة الضغط أسفل الحنجرة، وضعف بالتالي الصوت الناتج عنهما.

(١) السابق نفسه .

(٢) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٢٩ بتصرف .

(٣) علم الأصوات اللغوية (الفونيتكا) ص ١١٢ بتصرف .

وقصر نفس القارئ، وقل الضغط أسفل الحنجرة، والعكس صحيح فكلما اختزنت الرئتان كمية أكبر من الهواء كان لدى الشخص نفس طويل، وصوت قوي، وقوي ضغط الهواء أسفل الحنجرة؛ لذلك نرى القراء والمرتلين والخطباء يشعرون بالراحة بعد أن يعودوا إلى حالتهم الطبيعية، وهو ما سنوضحه في حديثنا عن طول النفس ودوره في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم. لكن هذا الأمر لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه؛ لأن القارئ يستطيع عن طريق التمرين والتدريب وأمور أخرى أن يعوض ذلك ويطول نفسه خاصة إذا تميز بطول الرقبة كما هو الحال عند الشيخ الطبلاوي. وقد بين إخوان الصفا دور هذا الاختلاف الفسيولوجي في حدة الصوت وغلظه فقالوا: "أما أصوات الحيوانات ذوات الرئة واختلاف أنواعها وفنون نغماتها فهي بحسب طول أعناقها وقصرها، وسعة حلاقيها وتركيب حناجرها، وشدة استنشاقها الهواء، وقوة إرسال أنفاسها من أفواهاها ومناخرها".^(١)

كما يترتب على هذا الاختلاف الفسيولوجي (العضوي) اختلاف حجم صناديق الرنين وحجم فتحاتها. إذ يتسم الصوت الغليظ أو الخشن - (عارضاً كان لمرض أو نحوه، أو صفة ملازمة لضخامة الجسم) - بأنه غير سار، وأنه عادة ما يكون مرتفعاً في شدته ومنخفضاً في طباقته.^(٢) وليس معنى ذلك أن صوت الشيخ الطبلاوي؛ لضخامة جسمه لم يكن جميلاً أو مؤثراً؛ لأن هذا العامل الفسيولوجي ليس هو العامل الوحيد في جمال الصوت خاصة وجمال الأداء عامة بل هو أحد العوامل وليس أهمها على الإطلاق؛ لأن القارئ الماهر أو الجيد يستطيع بالدربة والمران التحكم في نبرات صوته حدة تارة

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٣٠.

(٢) اضطرابات الصوت - د / إيهاب الببلاوي - نقلاً عن منتدى أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة.

وغلظة تارة ثانية وهو ما سنتحدث عنه تفصيلاً عند حديثنا عن التحكم في درجة الصوت ونبراته كأحد العوامل الفيزيائية التي تساعد على جمال الأداء وتوظيفه حسب مدلول الآية أو الغرض منها، كما أن هناك عوامل أخرى كثيرة – غير هذا العامل – فسيولوجية وغير فسيولوجية تكون سبباً في قوة الصوت وفي جمال الأداء وهو الأمر الذي بني عليه البحث كله، ومن هذه العوامل الفسيولوجية سعة واختلاف شكل حجرة الفم، وبالتالي شكل قبة الحنك عمقاً وارتفاعاً أهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟ وهو الأمر الذي أعطى لصوت الشيخ الطبلاوي قوة وجمالاً عوضه عما افتقده بالنسبة للشيخين عبد الباسط والمنشاوي. فالشخص الذي لديه قبة حنك عميقة – كالشيخ الطبلاوي – غالباً ما يكون لديه صوت جميل، وغير ذلك مما يؤثر في اختلاف الصوت الصادر عن الأجسام المختلفة بصورة واضحة قوة أو ضعفاً، حدة ونعومة أو غلظة وخشونة، جمالاً أو عكسه. وقد مدح العرب سعة الفم بل عدوه من مقومات الصوت الجميل؛ لما ينتج عنه من جهازة وقوة في الصوت وفصاحة في المنطق وهذا ما وضعه الجاحظ كما سبق.

فلهذه الصفة – (سعة الفم) – وما ينتج عنها من جهازة الصوت دور رئيس في جمال الأداء عند قراء القرآن الكريم وغيرهم؛ وذلك لما لها من أثر سمعي محبب في أذن السامع. وقد عد الجاحظ الجهازة في الصوت أو المنطق من وسائل البيان وجمال الأداء؛ وذلك لما يترتب عليها من الحلاوة والطلاوة في الأداء فهي – (الجهازة) – عنده من الصفات التي أكبر ما تستمال بها القلوب وتنثني بسببها الأعناق وتزين به المعاني^(١).

(١) البيان والتبيين ص ٢٣.

وستتناول الحديث عن هذا العامل (جهازة الصوت وقوته) تفصيلاً كأحد العوامل المهمة في جمال الأداء في موضعه من البحث إن شاء الله تعالى.

ولهذه الصفة - (سعة الفم) - الناتجة عن الاختلاف الفسيولوجي تميز صوت الشيخ الطبلوي وأداؤه بأنه كان أكثر جهازة وشدة وبعد مدى وغلظة وارتفاع نغمة أو أوضح سمعاً منهما. وقد تحدث أحد الباحثين المحدثين عن أثر هيكلية الفم كواحد من العوامل الفسيولوجية على جمال الصوت فقال: "تتوافر لدى أصحاب الأصوات الجميلة عادة عوامل تعطي أصواتهم قوةً وجمالاً وطلاوة منها: قبة الحنك أو سقف الحلق لديهم عالية وعميقة وتسمى بالمحرابية (أي نصف دائرية). وتتشكل قبة الحنك الأمامية الصلبة من النتوئين الحنكيين لعظمي الفك العلوي، وهي تأخذ شكلاً مقعراً بالاتجاهين الأمامي والجانبى، ويحيطها من الأمام الأسنان العلوية، وتنتهي في الخلف بقسم يسمى شرع الحنك.... وما يهمنا - هنا - هو شكل حجرة الفم وبالتالي شكل قبة الحنك أهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟ فالشخص الذي لديه قبة حنك عميقة غالباً ما يكون لديه صوت جميل، وعندما يفقد أسنانه لاسيما الأمامية فإن هذا الصوت سوف يتغير وسيحدث تشويه لهذا الصوت الجميل وخاصة في الأحرف السينية... إذاً المطلوب هو ثبات الجهاز العلوي وعدم قلقته؛ لأن أي حركة تسبب إحراجاً وضيقاً للمرتل... عندما يضطر أحياناً لفتح فمه بشكل واسع للتعبير، أو ليعطي صوته ونبراته جمالاً وقوة وجذباً للانتباه".^(١)

ونتيجة لهذا الاختلاف التكويني لأعضاء النطق بين القراء وغيرهم تفاوت القراء في جمال الأداء الناتج عن حسن الصوت؛ لذلك يوصف الصوت حال الأداء بأوصاف عدة

(١) أثر هيكلية الفم في جمال الصوت - بحث في النت .

أهمها: الرخيم، والندي وهما صفتا جمال ومدح، وقد يوصف الصوت بأنه خشن، أو مظلّم، أو رتيب... إلخ وهذه صفات ذم.

ب)- حسن استغلال الجهاز الصوتي ومرونة أعضائه عند بعض القراء:

لا يختلف جهاز النطق عند الإنسان في جملته أو تفصيله من أمة إلى أخرى، أو من فرد إلى آخر، ما لم يكن به عيب خلقي عند هذا أو ذاك. إنما الفرق بين الأمم في هذا المجال يرجع إلى طريقة توظيف هذا الجهاز واستغلاله، وأسلوب هذا التوظيف وطريقة هذا الاستغلال يؤديان حتماً إلى فروق أدائية مميزة، تختلف في القلة والكثرة والصفة بحسب الأحوال..... ولكن مما لا شك فيه أن نتائج الاختلاف في توظيف هذا الجهاز في النطق يؤدي - بالضرورة - إلى حصيلة من الملامح الصوتية التي تمتاز بها اللغات بعضها من بعض.^(١) بل تتميز عن طريقها أصوات الأشخاص العاملين في مجال واحد بعضها عن بعض كاختلاف الأصوات من حيث جمال الصوت أو الأداء بعناصره المختلفة التي تنتج أساساً عن طريق أعضاء النطق وحسن استغلالها، أو العكس بين قراء القرآن الكريم وغيرهم، وهذا ما قصدنا إلى إثباته في هذا المجال.

ولهذا السبب - (الاختلاف في استخدام إمكانات الجهاز النطقي استخداماً كاملاً وبطرق معينة) - اختلفت طرق الأداء لآي الذكر الحكيم وكيفيته بين القراء وانعكس ذلك بصورة واضحة على جمال الصوت وجمال الأداء تبعاً للمقام وما يتطلبه من طرائق نطقية معينة تنسجم مع الغرض المحدث عنه وهذا ما سنوضحه تفصيلاً عند حديثنا عن التلوين الصوتي وأثره في جمال الأداء وذلك عن طريق التنغيم تارة، ومراعاة الأغراض أو السياقات القرآنية ومعرفة طرق أدائها تارة ثانية.

(١) دراسات في علم اللغة - د / كمال بشر ص ١٩٤.

وقد كان ذلك الاختلاف في استخدام إمكانات الجهاز النطقي سبباً رئيساً في أن يتسم أداء القارئ لأي الذكر الحكيم بالجمال، حيث توفر للقارئ ولطريقة أدائه ما يجعل للقرآن الكريم نغمة أدائية خاصة جذبت الأسماع وهيأت القلوب والعقول للتجاوب معها. فسامعه لا يسأم ولا يمل؛ لأنه أي القارئ يتنقل فيه دائماً بين طرق أدائية متنوعة. وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفتدة. وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي الناتج عن حسن استغلال أو توظيف الجهاز الصوتي ومرونة أعضائه هو أول شيء أحسسته الأذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلأ أم مسجوعأ.

فحسن استخدام الجهاز الصوتي إذن يعد أحد العوامل المهمة في جمال الأداء لأي الذكر الحكيم؛ لأن سوء استخدام جهاز الصوت يؤدي إلى حدوث بعض الاضطرابات في الصوت الصادر عن هذا الجهاز. إذ قد ترجع اضطرابات الصوت إلى كثير من الأسباب غير العضوية، منها ما يتعلق بسوء استخدام جهاز الصوت، ومنها ما يتعلق بالاضطرابات الانفعالية لدى الفرد، ومنها ما يتعلق بالعوادات غير السليمة في استخدام الصوت. ويمكن أن يتخذ سوء استخدام الصوت أشكالاً متعددة منها: السرعة المفرطة في الكلام، والكلام بمستوى غير عادي من حيث طبقة الصوت، والكلام بصوت مرتفع جداً وبصورة لا تناسب قدرة الجهاز الصوتي، والكلام المصحوب بالتوتر الشديد. وجميع ذلك يمكن أن يلحق الضرر بالحنجرة والأحبال الصوتية.^(١)

أما المرونة الصوتية فهي: عكس الثقل الصوتي. فالأصوات الثقيلة يصعب عليها التنقل بسلسلة بين الطبقات الصوتية، بينما الأصوات المرنة تنتقل بسلسلة بين

(١) اضطرابات الصوت – مقال في النت ل الزريقات ص ٢٠٩: ٢١١ عام ٢٠٠٥ م .

الطبقات. ولا شك أن قدرة القارئ لأي الذكر الحكيم على التنقل بين الطبقات بسلاسة تحقق جمالاً صوتياً وأدائياً متميزاً لا يستطيع كل قارئ أن يؤديه بنفس الطريقة إلا عن طريق التمرين والمشاهدة أو المحاكاة والتقليد لمن أتقن وأجاد هذا التنوع بين الطبقات أو الانتقال من طبقة إلى أخرى مناسبة لها متناغمة مع المقام وهو ما سنتحدث عنه تفصيلاً في العوامل الفيزيائية التي تكسب الأداء جمالاً ورونقاً وتمنحه حلاوة وطلاوة يستمتع بها من يتأمل أو يتخصص في معرفة طرق الأداء.

فالمراد من المرونة أو الصوت المرن: قابليته للتحرك المنسجم والمنسق بين الدرجات وانتقاله من درجة إلى درجة، وهي من الخصائص الذاتية في الأوتار الصوتية التي تسمح للإنسان الحركة والانتقال بين الدرجات والطبقات في صوته، وأن يغيّر الصوت من حالة إلى حالة، وكلما ازداد الصوت مرونة وتحركاً تكثر الانتقالات والتغيرات بين الدرجات والفواصل الصوتية بسرعة في أقلّ زمان وبأحسن كيفية يبتغيها الإنسان، فإذا فقد الصوت هذه الخاصية المهمة يخرج من إطار الأصوات الحسنة والجميلة مع وجود سائر الصفات المحسنة والخصائص الأخرى، خاصة عند القراء. من جانب آخر لا يتمكن القارئ في التنقل الصحيح بين الطبقات المتدرجة والمقامات إذا لم تتوفر عنده مرونة الصوت كما ينبغي. فبالنتيجة للحصول على المزيد من الانسجام والسرعة أثناء التلاوة، خاصة لقراءة التدوير مع وحدة الإيقاع والدمج بين النغمات، ينبغي أن نحصل على صوت مرن مهما استطعنا. فهذه الجوهرة الأصيلية - (الصوت ومرونته) - من مواهب الله - عز وجل - ومن أحسن النعم التي يمنحها لمن يشاء من عباده، فمع الإقرار بهذه النعمة لا ننسى أثر التمرين والتدريبات الصحيحة في تقوية الصوت وتحسينه ومرونته، خاصة مع بروز صفاته الجميلة والمرغوبة لدى المستمعين.

وبعد الترجيع والنبرات الصوتية المنتظمة من الأصوات المرنة إذ يتم عن طريق الحركة السريعة أو الانتقال المكرر السريع بين الدرجة الأصلية وأعلىها بما يناسب المقام، فيحصل ميزان الترجيع بواسطة مهارة الشخص في تغيير هذه الفواصل القريبة بأسرع ما يستطيع في فاصلة زمنية قليلة جداً، حسب اختيار وذوق الأشخاص في انتخاب نوعية الترجيع كما وكيفاً.

فالصوت المرن بحسب نبراته يكثر فيه الترجيع والحركة، لأنه مهياً لهذه الحركة والتغيرات السريعة في فواصله، فلو علمنا أن صوتاً فيه مرونة مقدراً ما، فعلينا أن نبادر بالتمرين والتدريب الصحيح، لنقوي هذه الخاصية الجميلة لنكثر فيه النبرات والترجيحات المنسجمة وفقاً للأصول والضوابط التمرينية في الصوت والمقامات. ومن أهم القابليات المتوفرة في الصوت ترجيعاً مناسبة المقال والمقام، كما أنها العامل الرئيس لتحسين الصوت في التلاوة والدعاء ومن أبرز خصائصه^(١).

وأعضاء النطق وإن كانت تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها وفي استخدامها وعدد الأصوات التي ينتج عنها باختلاف الشعوب، فإنها تختلف كذلك في مرونتها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب، والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف، كما تختلف بتقديم السن^(٢) وتختلف كذلك باختلاف الأشخاص.

وتتحقق هذه المرونة الصوتية عن طريق مرونة أعضاء النطق لاسيما المتحركة منها وأهمها على النحو التالي :

(١) جمال التلاوة في الصوت والنغم - جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد ص ٥٢، ٥٣ بيروت -

ط /أولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .

(٢) علم اللغة - د / وافي ص ٢٩٣ بتصريف .

١. مرونة الحنجرة^(١):

الحنجرة هي التي تنتج معظم الطاقة الصوتية التي يستعملها الإنسان في الكلام، بل هي التي تقوم بتنظيم الهواء الذي يتدفق.^(٢) يقول ابن سينا مبيناً ذلك: "لما كان الصوت من الإنسان ونحوه إنما يتم بخروج النفس بهيئة مخصوصة وجب أن تكون آتية وهي الحنجرة متصلة بأعلى مجرى النفس ليتم هناك تكون الصوت.... فلذلك الحنجرة عضو غشوي خلق آلة للصوت".^(٣)

كما أنها تمثل مصدر التردد الأساس لغالبية الأصوات اللغوية كونها تحوي الرقيقتين الصوتيتين. بينما تقوم التجاويف الثلاثة الأخرى – (الحلقي، والأنفي، والفموي) – بما تحويه من أعضاء بالتأثير على التردد الأساس الصادر عن الرقيقتين الصوتيتين فنتمكن من إخراج أصوات عديدة ومتباينة. وإن كانت هناك أصوات لغوية لا تعتمد على الرقيقتين الصوتيتين لإخراجها. وإنما تعتمد على وضع أعضاء النطق الأخرى كاللسان والشفيتين التي تعترض انسياب الهواء مولدة ترددات صوتية. وهذا ما يحدث أثناء نطق الأصوات المهموسة.

كما أن للحنجرة دوراً بارزاً في التمييز بين أصوات الأشخاص، وفي التعبير عن شخصية كل منهم، وعن مستواه الثقافي والاجتماعي، وكذلك التعبير عن المشاعر

(١) تقع الحنجرة في قمة القصبة الهوائية وأسفل الفراغ الحلقي، وتشبه في شكلها وحجمها الصندوق الصغير، وهي عبارة عن صندوق غشوي متصل بالطرف الأعلى للقصبة الهوائية، أو هي عبارة عن حجرة متسعة نوعاً ما. وهي مفتوحة من الأعلى ومن الأسفل وهذا يسمح بمرور الهواء من القصبة الهوائية إلى الحلق فالفم أو الأنف والعكس (علم الصوتيات – د/ عبد الله ربيع، ود/ عبد العزيز علام ص ٩٠ – مكتبة الطالب الجامعي / مكة المكرمة – ط / ثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

(٢) فن الإلقاء ص ٢٨.

(٣) تشريح القانون – ابن سينا ص ١٢٢ – المكتبة الشاملة.

والانفعالات والعواطف - (ونحوها مما يثير فينا إحساساً قوياً بجمال الأداء وروعته) -، وعن موقف المتكلم من شريكه في العملية الاتصالية. وكلنا مارس تجربة سماع نغمات الاكتئاب الرتيبة، وهمسات الحب الناعمة، وصوت الغضب العالي، وكلنا تعرف على رفض المتحدث أو قبوله لفكرة ما من أدائه الصوتي لا من نص كلامه.^(١)

وإذا كانت الحنجرة بالنسبة للكلام تؤدي - كما يقول أحد الباحثين - دور الآلات الموسيقية بالنسبة للغناء فتضفي عليه نغماً وتجعله مسموعاً، وتميز كذلك لغة عن أخرى عن طريق الطابع اللحن الذي تلتزم به اللغة ويختلف باختلافها، وإضافة مزيد من المعاني القاموسية إلى الجملة المنطوقة عن طريق تغيير أو تنويع المسار النغمي للجملة فيبرز المعني النحوي ويكتسب المعنى الاتصالي للجملة هل هي إخبار أو استفهام أو أمر حسب طريق الأداء؟^(٢) فإن لها دوراً بارزاً في جمال الأداء لأي الذكر الحكيم عن طريق التحكم في حركتها ومرونة عضلاتها، حيث يمكن للحنجرة أن تتحرك إلى فوق وتحت وأمام وخلف، والحركة إلى أعلى وأسفل مهمة جداً في النطق؛ لأنها تغير من شكل وحجم حجرة الرنين، فتؤثر على نوع الرنين الحنجري وطبيعة الصوت، حيث إن تحرك الحنجرة إلى أعلى مع بعض الأصوات يؤثر على صندوق الرنين الذي يتكون في الحلق فيقص طوله ويصغر حجمه، كما أنها عندما تتحرك إلى أسفل مع بعض الأصوات يتغير طول الصندوق وحجمه فيزداد طوله ويكبر حجمه، وكل ذلك يؤثر بدوره على النغمة التي تمر بهذا الصندوق.^(٣) يقول ابن سينا مبيناً كيفية هذه التحركات للحنجرة

(١) دراسات صوتية ص ١٥٣، ١٥٤ بتصرف.

(٢) السابق نفسه بتصرف.

(٣) دراسة الصوت اللغوي - د/ أحمد مختار عمر ص ١٠٠ - عالم الكتب/ القاهرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، وعلم الصوتيات ص ٩٨.

فسيولوجياً: "والحنجرة لا بد لها من إطباق وفتح وتوسيع وتضييق... وهذه الحركات لا بد وأن تكون من الحركات الإرادية التي إنما تتم بالعضل، والعضل لا بد وأن يكون في تحريكها مستندة إلى عظم أو ما يقوم مقامه.... ولا بد أن تكون لهذه الحركات عضلات تجذب إلى فوق وإلى أسفل وإلى قدام وإلى خلف فلا بد وأن يكون لها مستند في هذه الجهات كلها".^(١)

وقد بين ابن سينا - رحمه الله - أن مرونة الحنجرة التي تتيح لها الحركة في جميع الاتجاهات ترجع إلى طبيعة تكوينها الفسيولوجي فذكر أن الحنجرة ليست شديدة اللين بحيث لا يكون لقرعها بالهواء الخارج صوت يعتد به، ولا شديدة الصلابة فيكون ما يحدث فيها من الصوت غير مستطاب. وذكر أيضاً أنها لو خلقت من أجسام صلبة جداً كالعظام فإما أن تكون دقيقة فتتهياً للانكسار بسهولة، أو لا تكون كذلك فتوجب زيادة في الثقل وغلظاً في جرم العنق لا لضرورة؛ فلذلك وجب أن تكون مخلوقة من غضاريف لتكون متوسطة الصلابة فيكون ما يحدث فيها من الصوت لذيذاً وتكون بما فيها من اللين آمنة من الانكسار عند المصادمات التي ليست شديدة القوة وبما فيها من الصلابة معينة على قوة الصوت".^(٢)

وعلى قدر هذه المرونة في حركة الحنجرة في الاتجاهات الأربع تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونتها كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة. وعن طريق هذه المرونة - أيضاً - يمكن تصغير التجويف الحلقي أو تكبيره وذلك برفع الحنجرة أو

(١) تشريح القانون ص ١٢٥، ١٢٦ بتصرف .

(٢) تشريح القانون ص ١٢٢ بتصرف .

خفضا، أو بتضييقها بواسطة جذر اللسان. وفي كلتا الحالتين تختلف نوعية الرنين الناتج عن الصوت الصادر عن الرقيقتين الصوتيتين.^(١)

ولهذه التغييرات تأثيرات كبيرة على تجويف الحلق أو البلعوم من حيث كونه واحداً من أهم تجاويف الرنين التي تتعرض لنغمة الحنجرة بالتكييف والتعديل بوسائل شتى من الترشيح والتقوية والرنين.^(٢) فارتفاع الحنجرة وانخفاضها يؤثر على صندوق الرنين، مما يؤثر على النغمة المصاحبة لبعض الأصوات.^(٣) أو على ما يسمى بالرنين الحنجري الذي يترتب عليه الفرق بين الأصوات الحادة والغليظة.^(٤)

وهذه التحركات التي تتخذها الحنجرة بفضل مرونتها وما يتبعها من تغيرات أو تأثيرات على تجويف الحلق أو صندوق الرنين تعد أحد العوامل المهمة في جمال الأداء ؛ لما يترتب عليها من أثر واضح في تغيير نبرات الصوت، وتلوين الأداء وعدم السير فيه على نبرة أو وتيرة واحدة على طريقة الصوت الرتيب الذي يدفع إلى الملل وعدم الإنصات أو التأمل، ثم عدم الاستماع الجيد والاستمتاع بعذوبة الأداء أو التأثير به.

كما أن الحنجرة - أيضاً - بفضل مرونتها التي تتفاوت باختلاف الأشخاص - نتيجة لأسباب عدة يضيق المجال عن ذكرها - تؤدي دوراً مهماً في جمال الأداء عن طريق ما يسمى بالوحدات الصوتية الأدائية، وذلك كالتنغيم الذي تكتسب به الجملة معنى مغايراً، كمعنى الاستفهام أو الخبرية أو التعجب - (كما في قوله تعالى: ﴿فَاقْبَلْتِ أَمْرَاتِهِ فِي صَرَءٍ

(١) الصوتيات العربية - د / منصور بن محمد الغامدي ص ٤٠ - مكتبة التوبة / الرياض - ط / أولى ١٤٢١هـ . ٢٠٠٧م .

(٢) دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك) ص ١٢٣ .

(٣) علم اللغة العام (الأصوات) - د / كمال بشر ص ٦٩ - دار غريب / القاهرة ٢٠٠٠م .

(٤) دراسة الصوت اللغوي ص ٨١ .

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ^(١) فلا يتبين المراد من قولها: (عجوز عقيم) استفهاماً من غير أداة أو تعجباً إلا عن معرفة وإدراك طريقة الأداء الصحيحة للوحدات الصوتية الفوققطعية أو التطريزية ولا يكون ذلك إلا بطريقة أدائية تنغيمية معينة. وهو ما سنوضحه تفصيلاً في موطنه من البحث إن شاء الله تعالى؛ لأن قولها يحتمل الأمرين) – فالمسار النغمي للجملة هو الذي يحدد المعنى المراد، وقد ينبئ في حالات كثيرة عن مزاج الشخص، ويكشف عن حالته النفسية من نحو: الرضا أو الغضب، وما شابه ذلك.^(٢)

والحنجرة – أيضاً – تبعاً لحجمها وطبيعة أليافها العضلية ومرونتها دور بارز في جمال الأداء عن طريق تشكيل الصوت ومنحه صفة مميزة حسبما يريد العقل، فالصوت يصدر من الحنجرة من خلال تحرك الحبال الصوتية انقباضاً وانبساطاً بطريقة سلسلة. فيصوت الهواء في الحنجرة صوتاً تشكله حسبما يريد العقل.. عالياً أو خافتاً، سريعاً أو بطيئاً، خشناً أو ناعماً، ضخماً أو رقيقاً.. إلى آخر أشكال الصوت وصفاته، فهو الهواء الزفير يتحول بعمل الوترين الصوتيين إلى ذبذبات دورية وهي نواة الكلام.^(٣)

كما أن لحجم الحنجرة ومدى القدرة على التحكم في حركتها دوراً رئيساً في جمال الصوت الذي هو أحد عوامل جمال الأداء حيث يمكن وصف الصوت بأنه قوي أو ضعيف تبعاً لقوة الحنجرة أو ضعفها. يقول أحد الباحثين المحدثين: "يوصف الصوت بالقوي لقوة الحنجرة وضعفه بضعفها".^(٤) فقد كان الشيخ / مصطفى إسماعيل –

(١) سورة الذاريات الآية (٢٩).

(٢) دراسات صوتية – د / تغريد عنبر ص ١٥٤، ومقدمة في أصوات اللغة العربية – د / عبدالفتاح البركاوي ص ٤٧.

(٣) الصوتيات العربية ص ٢٥.

(٤) فن الإلقاء ص ٣٣.

(رحمه الله) - ذا صوت نادر وطريقة مميزة في تلاوة القرآن الكريم جعلته واحداً من أهم شيوخ التلاوة في العالم الإسلامي، فكانت له القدرة - لمرونة حنجرته وقوتها - على تركيب النغمات والمقامات في تلاوته بشكل بديع مع الحفاظ على أحكام التجويد، وكذا كان الشيخ / عبد الباسط عبد الصمد (رحمه الله).

فلمرونة الحنجرة إذن وتحركاتها في الاتجاهات المختلفة ما يجعل لها القدرة على الحركة ارتفاعاً أو انخفاضاً، وللخلف أو الأمام، أثر بالغ في هيئة صندوق الرنين، وفي جمال الصوت أو قبحه أو غير ذلك، حيث "يعدل ضغط الهواء داخل هذا التجويف عن طريق تصغير حجمه أو تكبيره، والوسيلة لذلك تحريك الحنجرة إلى أعلى فيصغر التجويف ويتضاغط الهواء فيه، أو إلى أسفل فيكبر حجمه ويتخلخل الهواء بداخله".^(١) وإن لم يكن هناك اختلاف تشريحي في الحناجر بين الناس عامة والقراء خاصة يتفاوتون فيه، وهذا ما وضحه د / إبراهيم أنيس في قوله: "من الحقائق العلمية التي تدعو إلى الدهشة والعجب أن علماء التشريح لم يلاحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني، فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية".^(٢)

فالفرق بين الحناجر - إذأ - هو فرق في المرونة التي ينتج عنها تفاوت في صندوق الرنين فوقها، وهذا الصندوق كغيره من الصناديق الأخرى يستغل في تضخيم الصوت أو عكسه ومنحه صفته الخاصة به التي تميزه عن غيره من الأصوات عن طريق التحكم في حجمه ومساحة فتحاته بفضل مرونة الحنجرة وحركاتها المختلفة.

(١) دراسات صوتية ص ١٥٥ .

(٢) الأصوات اللغوية - د / أنيس ص ٩ .

٢. مرونة الوترين الصوتيين^(١) وقوتهما :

على قدر مرونة الوترين الصوتيين - (بواسطة التحكم في فتحة المزمار التي تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات، وهو الأمر الذي يترتب عليه اختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز، فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية فتختلف تبعاً لهذا درجة الصوت^(٢)) - يستطيع القارئ أن يغير في نغمة صوته ولذلك أثر كبير في أداء الكلام.^(٣) يقول فنديريس: " ويبدو من نظام الحنجرة سمو الجهاز الإنساني على جميع الآلات الأخرى. والأوتار الصوتية على جانب من المرونة لا يصل إليها مبسم المزمار الموسيقي الذي هو صلب بالضرورة. وتستطيع هذه الأوتار بفضل نظام للحركات لطيف التدبير يدبر عدة أزواج من العضلات أن تأخذ أوضاعاً مختلفة. فيمكن إبقاؤها مغلقة أو فتحها فتحاً تاماً أو شبه تام وجعلها تتذبذب كلاً أو جزءاً، والتعديل من مقدار توترها. ومن هنا تنتج تنوعات المصادر التي يغترف منها التكلم".^(٤)

وتعتمد مرونتهما على: طولهما أو قصرهما حسب طبيعة الجسم من حيث وزنه وطوله وعرضه، فطول الوترين الصوتيين يؤثر في درجة الصوت تأثيراً عكسياً، بمعنى أنه كلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات وترتب على قلتها عمق الصوت، وكلما قصرا

(١) في الحنجرة توجد الأوتار الصوتية وهي أهم عضوفي الجهاز النطقي وهي: عبارة عن وترين اثنين على شكل نصف دائرة، وهما رباطان مرنان يشبهان الشفتين يمتدان أفقياً من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذي نسميه تفاحة آدم، أما الفراغ الذي بين الوترين فيسمى بالمزمار. (الأصوات اللغوية - د / أنيس ص ١٧).

(٢) السابق نفسه.

(٣) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٣١.

(٤) اللغة - فنديريس - ترد / عبد الحميد الداخلي، ود / محمد القصاص ص ٤٤ - طبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠م.

كلما زاد معدل اهتزازهما وترتب على ذلك حدة الصوت. كما تعتمد على دقتهما أو غلظتهما. وعلى مدى توترهما فإذا كان مقدار توترهما كبيراً فإن قدرتهما على التحرك تكون كبيرة ومن ثم يكثر عدد اهتزازهما. أما إذا كان مقدار التوتر قليلاً فإن قدرتهما على الاهتزاز تكون أقل. كما تعتمد مرونة الوترين الصوتيين على مقدار الفرق بين ضغط الهواء أسفل الحنجرة وأعلاها. فكلما كان دفع الهواء أسفل الحنجرة أكبر من ضغط الهواء فوقها كلما كان عدد اهتزاز الوترين أكبر. على حين أنه إذا كان الدفع ضعيفاً كان الاهتزاز قليلاً.^(١) كما تعتمد على اختلاف حجم الحنجرة وطبيعة ما بها من الألياف العضلية بين القراء أو المرتلين لآي الذكر الحكيم.^(٢)

فعلى قدر هذه المرونة للوترين الصوتيين وقوة شدتهما وتوترهما يتوقف الحكم على جمال الأداء من حيث قوته أو ضعفه. ومن حيث نبراته وحدة الصوت أو غلظه.

وإذا كان العازفون يستطيعون إنتاج أصوات متنوعة عن طريق التحكم في طول الوترين وتقصيرهما بوضع أصابع يدهم اليسرى على نقطة ما لتقصير طول الوترين.^(٣) فإن الأوتار الصوتية العجيبة التي وهبها الله - ﷻ - للإنسان وميزه بها عن خلقه وفضله على كثير ممن خلق لا تقاس بها أوتار أية آلة صوتية صنعها الإنسان، ولا جميع الآلات الصوتية المختلفة الأنغام! إنها كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤) كما أن قوة الأوتار الصوتية - والتي تتفاوت باختلاف الأشخاص حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم، وتمنح الأداء عامة والصوت خاصة قوة وجمالاً -

(١) علم الصوتيات ص ١٦٧، ١٦٨ بتصرف.

(٢) دراسة السمع والكلام ص ٢١٧، ٢١٨ بتصرف.

(٣) المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة - د / صلاح الدين صالح حسنين ص ١٥ - ط / أولى ١٩٨١م.

(٤) سورة النمل: من الآية (٨٨).

تجعل الأداء أكثر تميزاً وأشد انتباهاً وتشويقاً وتأثيراً في نفوس المستمعين، وقد بين ذلك أحد الباحثين المحدثين موضعاً كيفية تأتيها بقوله: "قوة الأوتار الصوتية تنتج عن اندفاع الهواء الآتي نحو الحنجرة، فتهتز الأوتار الصوتية بعنف عند الترتيل ويسمى عادة بالصوت الحلقي فيحدث - (هذا الاهتزاز) - اهتزازاً مشتركاً لحجرة الفم التي هي حجرة طنين في الآلات الموسيقية كالعود مما يعطي الصوت قوة وحلاوة، فكلما اتسعت حجرة الطنين كان الصوت جميلاً، وإذا كنا لا نستطيع التحكم في حجرة الطنين الأخرى التي هي جوف الأنف فإننا نستطيع أن نتحكم في جوف الفم أثناء التكلم أو الغناء أو الترتيل بالفتح البسيط أو المتوسط أو الواسع للفم".^(١)

٣. مرونة الألسن ورياضتها :

يعد اللسان أهم أعضاء النطق، وهو عضو يتميز بالحركة والمرونة، حيث يحتوي على عدد كبير من العضلات التي تمكنه من التحرك، والامتداد، والانكماش، والتلوي إلى أعلى أو إلى الخلف. وهذه السهولة في التحرك مكنت اللسان من الاتصال بأية نقطة من الفم، فنتج عن تحركاته المختلفة عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي.^(٢) فاللسان يشغل معظم فراغ التجويف الفمي، وهو يحتوي على مجموعة من العضلات التي تمكنه من تغيير شكله ووضعه بسهولة، ويؤثر وضع اللسان في تشكيل الأصوات ورنينها بصورة عامة، وبدون الحركة والوضع الدقيق للسان يصعب حدوث عملية النطق بصورة صحيحة. ويوضح ذلك الشيخ ابن سينا فيقول: "إن لسان الإنسان ونحوه يحتاج إلى حركات متفننة.... ولذلك وجب أن يكون للسان الإنسان عضلات

(١) أثر هيكلية الفم في جمال الصوت بتصرف .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ٢٥ .

تحركه الحركات التي يفترض إليها في ذلك، ويجب أن يكون منشأ كل واحدة منها من الموضوع الذي هو أجود لها".^(١) ويقول د / عبد الرحمن أيوب: "اللسان بفضل هذه العضلات، عضو عظيم المرونة فمن الممكن له أن يمتد إلى الأمام حتى يتجاوز الأسنان، وأن يتراجع إلى الخلف حتى يبعد عنها بمقدار ثلاث سنتيمترات تقريباً، ويمكن لأي جزء من أجزائه أن يرتفع إلى أعلى في اتجاه الأسنان أو اتجاه سقف الحنك، كما يمكن لطرف اللسان أن يتراجع إلى الخلف ملامساً سقف الحنك حتى يصل إلى نقطة التقائه بسقف الحنك الرخو، وتختلف قدرة فرد عن فرد آخر في مدى هذه الحركة. كذلك يمكن أن يتقوس سطح اللسان على شكل محدب أو مقعر، وأن يرتفع جانبه فيكونان شكل قناة يمثل الحاجز الأوسط أعمق خط في دفاعها".^(٢)

فأهمية اللسان ترجع إلى مرونته، وكثرة حركاته في الفم عند النطق؛ إذ يتخذ أوضاعاً وأشكالاً متعددة، فهو ينتقل من وضع إلى آخر، فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة، وتنتج عن هذه التحركات قيم صوتية معينة، تلون الصوت المنطوق برنين خاص. إذ تغير هذه التحركات من شكل حركات الرنين الخلفية والأمامية بالقدر الذي يعطي الصوت قيمة صوتية معينة تميزه عن غيره مما قد يتحد معه في مخرجه أو في أكثر صفاته، ولهذه المرونة "تأثير كبير على ما يسمى بصندوق الرنين الأمامي الذي يتكون في الفم... فاللسان بمرونته وقدرته على الحركة المتنوعة يصنع أشكالاً من صناديق الرنين الأمامية التي تختلف أشكالها وأطوالها مع الأصوات المختلفة، ثم تختلف النغمات المصاحبة لتلك الأصوات باختلاف تلك الصناديق".^(٣)

(١) شرح تشريح القانون - ابن النفيس - تح / سلمان قطاية السوري الحلبي ص ٦٦ - المكتبة الشاملة .

(٢) أصوات اللغة ص ٧٦ .

(٣) علم الصوتيات ص ١٠٠:١٠١، ومقدمة في أصوات اللغة العربية ص ٤٩ .

ويحتاج اللسان إلى التدريب فإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتبلدت نفسه وفسد حسه... واللسان إذا كثرت تقلبيه رق ولان، وإذا أقلت تقلبيه وأطلت إسكاته جساً وغلظ^(١). وهذا يتوقف على قدرة القارئ على السيطرة أو التحكم في حركات لسانه؛ لذلك اشترطوا في الفصح أن يكون سليم النطق، أي يكون لسانه خالياً من العيوب التي تعوقه عن إخراج الحروف بصورتها صحيحة. فالفصاحة سمة من سمات الأداء الكلامي عند العرب القدماء.

وبفضل هذه المرونة التي تختلف من قارئ إلى آخر يستطيع القارئ تلوين أدائه لآي الذكر الحكيم تبعاً لفقه المعنى القرآني بصور متنوعة عن طريق التحكم في عمق الصوت وحدته وتغيير نبراته وارتفاعه وانخفاضه وغير ذلك مما يمنح الأداء جمالاً وحلاوة حسب مقدار هذه المرونة. وهذه المرونة يمكن اكتسابها عن طريق تدريب اللسان على النطق الصحيح، وإخراج الحروف من مخارجها مع المحافظة على الجرس النغمي للكلمة والعبارة، وكذا التحكم في حركة الفك الأسفل، وأيضاً عن طريق المشافهة عن القراء ذوي الأداء المتميز.

كما أن لرياضة الألسن دوراً بارزاً في مرونتها وفي جمال الأداء وقد أولى علماء التجويد رياضة الألسن بالأحكام وكثرة التكرار عناية كبيرة، ويوضح ذلك أبو عمرو الداني - (رحمه الله) - حيث يقول: "ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه"^(٢). ويوضح الأمر بصورة أكثر من ذلك فيقول عن صوت الهمزة وكيفية النطق به وأنه صوت يحتاج إلى رياضة شديدة للنفس: "هي حرف مجهورٌ، بعيد المخرج، شديدٌ، لا

(١) البيان والتبيين ص ٢٧٢، والجاحظ والفصاحة اللغوية - د / أحمد مطلوب - مجلة المورد المجلد (١١) العدد

(الأول) ص ٤٦ الجمهورية العراقية / بغداد - وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ للنشر.

(٢) التحديد في الإتيان والتجويد ص ٧٠.

صورة له، وإنما تعلم بالشكل والمشافهة، ولبعد مخرج الهمزة لا يكون قارئاً من لا يستشعر بيانها في قراءته، ولثقلها صار فيها التحقيق والتخفيف بين وبين والبدل والحذف، وليس ذلك لشيء من الحروف غيرها، فينبغي للقارئ إذا همز الحرف أن يأتي بالهمزة سلسلة في النطق، سهلة في الذوق، من غير لكز ولا ابتهاج لها، ولا خروج بها عن حدها، ساكنة كانت أو متحركة. والناس يتفاضلون في النطق بالهمزة على مقدار غلظ طباعهم ورقتها فمنهم من يلفظ بها لفظاً تستبشعه الأسماع وتنبو عنه القلوب، ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروه، معيب من أخذ به، وقد حدثني الحسين بن علي البصري... حدثنا محمد بن يزيد، قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: إمامنا يهمز (مؤصدة) فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته يهمزه... ومنهم من يخرج الهمزة مع النفس إخراجاً سهلاً، بغير كلفة، يألفه طبع كل أحد، ويستحسنه أهل العلم بالقراءة، وذلك المختار، ولا يقدر القارئ عليه إلا بريضة شديدة".^(١) وذكر الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) أن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور منها: "رياضة اللسان وكثرة التكرار. وأصل ذلك كله وأساسه تلقيه من أولي الإتقان، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن، وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت، وجودة الفك، وذراية اللسان، وصحة الأسنان كان الكمال".^(٢)

كذا جعل ابن الجزري التدريب ورياضة اللسان الطريق الأمثل لتحصيل التجويد فقال: "ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن... فإذا أحكم القارئ النطق

(١) السابق ص ١٢٠: ١٢١.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد - د / غانم قدوري الحمد ص ٥٧ مطبعة الخلود / بغداد - ط ١ / ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م - نقلاً عن كتاب (شرح الواضحة) للمرادي ص ٣٠.

بكل حرف على حِدَتِهِ مُوفٍ حقه فليُعمِلْ نَفْسَهُ بإحكامه حالة التركيب ؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد. وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب قوي وضعيف ومفخم ومرقق فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب ^(١).

فالقارئ الجيد لا يستطيع أن يأخذ نفسه بأحكام التجويد من معرفة بالقواعد والضوابط التي وضعها علماء التجويد ودونها أئمة القراء إلا بالرياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم محسن، وذلك من مبلغ النهاية في الإتقان والتجويد والتصحيح والتسديد.

٤. مرونة الفك الأسفل :

لفك الأسفل طبيعة تركيبية خاصة تجعله يفوق في مرونته مرونة أي عضو آخر من أعضاء النطق المتحركة، كما تتيح له القدرة على أن يتحرك حركة شبه دائرية تلاحظ بالنظر الدقيق لفم القارئ عند تجويده لأي الذكر الحكيم، وتسهم هذه الحركة في تنويع نغمات وطبقات الصوت وعلوه وانخفاضه وغير ذلك مما يعطي للصوت ولطريقة الأداء طابعاً متميزاً وإيقاعاً مؤثراً، وترنيماً وتطريباً لا يمكن لأي عضو آخر أن يقوم به. وقد أبان ابن سينا - (رحمه الله) - عن هذه الطبيعة التشريرية للفك الأسفل فقال: " كان لفك الأسفل طبيعة تشريرية خاصة تحقق له المرونة وسهولة الحركة بحيث تلائم استعماله في مضغ الطعام وعملية الكلام فقد خلق له عظامان إذ لو كان

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٣ ، ٢١٤ بتصرف .

من لحم فقط لم يكن المضغ، ولو كان من غضاريف لم يكن قوياً. وعظامه لا بد وأن تكون خفيفة جداً لتكون حركته أسهل، وإنما يكون كذلك إذا كانت رقيقة متخلخلة، فلو جعل من عظام كثيرة جداً لكان تركيبه واهياً، ولو جعل من عظم واحد لكان إذا عرض لبعضه آفة لم يؤمن سريانها. وجعل المفصل بين عظميه عند الذقن ليكون العظامان متساويين إذ ليس أحدهما بزيادة العظم أولى من الآخر، وجعل هذا المفصل موثقاً لعدم الحاجة إلى حركة أحد العظمين دون الآخر وليكون تركيبه قوياً... وهذا العظامان كلما ارتفعوا ازدادا قوة ورقة، أما الرقة فلأن عظمهما في أسفل إنما كان لأجل الأسنان وذلك منتف في أعلاها، وأما القوة فليتدارك ذلك ما توهنه الرقة فلذلك هما هناك أصلب وأقل تخلخلاً".^(١)

وإنما اختص الفك الأسفل بالحركة دون الأعلى لأسباب عدة منها: أن الفك الأسفل أخف وتحريكه أخف أحسن؛ لأن ذلك أسهل، وإنما كان أخف؛ لأن الأعلى احتيج فيه إلى أن يكون سائراً واقياً لما وراءه من الدماغ، ولأنه تكون فيه أعضاء كريمة فاحتيج أن يكون عظيماً صلباً ويلزم ذلك أن يكون ثقيلاً ولا كذلك ها هنا. ومنها: أن المتحرك لو كان هو الأعلى وهو مشتمل على أعضاء كريمة لينة لكانت الحركة تضر بتلك الأعضاء لما يلزمها من تمديد بعض جرمها وانقباضه وخصوصاً الأعصاب، وإنما اختصت هذه الأعضاء بالفك الأعلى؛ لأن أفعالها إنما تتم إذا كانت قريبة جداً من الدماغ. والفك الأسفل أبعد من الدماغ...^(٢)

(١) تشريح القانون ص ٤٥ .

(٢) السابق ص ١٠٥ .

ج:- القدرة على التحكم في حجم ومساحة المرنات الصوتية :

الصوت حين يصدر عن آلة التصويت (الحوال الصوتية) يكون ضعيفاً، ثم تتم تقويته بتمريره بشكل صحيح في مسالك الصوت التي تعتبر فراغاً رنينياً للصوت البشري. ويمتد هذا الفراغ الرنيني من الحنجرة حتى مقدمة الشفتين. فإذا ملأ الصوت شعاب هذه الأماكن تضاعفت قوته وزادت قدرته على الارتفاع والانخفاض. وتقوية الصوت بهذا الشكل تشبه تقوية صوت الآلات الموسيقية، فإن صوت الأوتار ضعيف جداً، لكن الموسيقيين يضعونها فوق صندوق خشبي مجوف هو بمثابة فراغ رنيني يقوي أصواتها. ويتحقق الأمران معاً - التنفس الصحيح، وتوسيع مدى الصوت - بإطلاق الهواء من الرئتين عبر الحنجرة بارتياح وامتلاء، وهذا ما يسمى: (الهدير الصوتي). ويتم هذا الهدير بإطلاق حرف المد: (آ) من عمق الرئتين الممتلئتين بالهواء عبر مسالك الصوت حتى الفم... ومقياس هدير الصوت أن يضع المرء راحة يده على وسط صدره، ثم يجهر بصوته فيحدث عند ذلك اهتزازاً شديداً متواصلاً أشبه باهتزاز جلد الطبل وخفقانه عند ضربه بقوة، وبمقدار ما يكون الهدير صحيحاً والاهتزاز قوياً يشعر المؤدي بالراحة والهدوء والاطمئنان النفسي وإن طالبت فترة التدريب. ويشعر المؤدي بالتعب سريعاً، وتلاحق أنفاسه ويخفق صدره في ارتفاع وانخفاض سريع إذا كان التصويت غير كامل وغير صحيح.^(١)

وفي الجهاز الصوتي الإنساني أجسام مجوفة وظيفتها تقوية الصوت، وتنويع نغمته كالقصب الهوائية وفراغ الحلق والفم والأنف. ويمكن عن طريق مرونة هذه الأجسام أو التجايف والقدرة على التحكم في حجمها اتساعاً أو امتداداً تعديل نوع الصوت فيما

(١) جمال التلاوة في الصوت والنغم ص ٦٥ ، ٦٦ .

يعرف بعملية الترشيح.^(١) مما يترتب عليه إظهار جمال الأداء القرآني بتنوع النغمات الأدائية.

ولهذه التجاويف أو المرنات الصوتية قدرة على التغير والتنوع نظراً لما تتمتع به هذه التجاويف أو المرنات الصوتية من المرونة والتي تختلف من شخص إلى آخر، وهذا ما وضعه أحد الباحثين المحدثين حين تحدث عنها حيث قال: "هي ذات قابلية للتغير والتنوع بحكم ما تتمتع به أعضاء النطق وخاصة اللسان من قدرة هائلة على الحركة بفضل النظام العضلي الذي يتحكم في حركتها"^(٢) فهي مطاطة إلى حد كبير، وتقوم للصوت مقام فراغ رنيني فتخلع عن كل صوت طابعه الخاص. كما يوجد في هذه التجاويف الرنانة أعضاء مرنة قابلة للسحب تستطيع أن تعدل أبعاده وتغير من طاقتها.^(٣) فعلى قدر ضيق الممرات التي يمر بها الهواء الخارج من الرئتين أو اتساعها يتوقف ضعف الأداء أو قوته. فضيقت ممرات الهواء أو اتساعها مسألة تؤثر على الصوت. أو على جزء المقطع. الذي يحدث عنده الضيق أو الاتساع.

من هنا كانت المرنات الصوتية من أهم العوامل المؤثرة في جمال الصوت وجمال الأداء، وعليها يتم التمييز بين أصوات القراء والحكم عليها جمالاً أو قبحاً. حيث تختلف باختلاف الأشخاص من حيث حجمها ومرونتها ومدى القدرة على التحكم فيها؛ وذلك لأن المرن الصوتي يتوقف على:

(١) أصوات اللغة العربية ص ٣٧.

(٢) دراسة السمع والكلام ص ١٩٤، والعوامل المؤثرة في الصوت الإنساني - للباحث - كلية اللغة العربية بأسبوط ٢٠١٣ ص ٥٥٣.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٤، وفن الإلقاء ص ٣٣.

١. الحجم: فكلما كبر حجم المرن أعطى ترددات أو ذبذبات قليلة، ومن هنا تكون النغمة غليظة، وكلما صغر حجم المرن أعطى ترددات كثيرة وبذلك تكون النغمة رفيعة. وهذا الحجم يختلف من مرن لآخر. ومن المعلوم أن تغير ضغط الهواء في التجاويف المغلقة يتناسب مع حجم التجويف تناسباً عكسياً، فيزيد الضغط بنقص الحجم، كما يقل الضغط بزيادة الحجم.^(١) فحجم المرن يرتبط أساساً بطول الجسم أو قصره بما في ذلك منطقة الرقبة، وعرضه أو وزنه وما يرتبط بذلك من حيث كثافة الجسم المنتج للصوت أو نحافته.

٢. مساحة الفتحات: الفتحات التي توجد داخل المرن وخارجه، وفي بدايته ونهايته ذات أثر فعال في عمل المرنات الصوتية.

٣. عدد الفراغات: مما يجعل عمل المرن مختلفاً أيضاً عدد الفراغات الموجودة والموصولة بعضها ببعض، وكيفية ونظام اتصالها.^(٢)

فالصوت بعد صدوره من الحنجرة يمر بعدة تجاويف تعمل على تنقيته وتضخيمه، وإضفاء صيغة معينة ومميزة عليه تعرف بجهاز الرنين، وتضم البلعوم السفلي، والبلعوم الفمي، والتجويف الأنفي، وقد أوضحت الفحوص الطبية لجهاز الكلام ومنطقة الزور أن البلعوم يلعب دوراً هاماً في عملية تضخيم الصوت، يتضح ذلك من خلال ملاحظة حركة البلعوم إلى أعلى وأسفل أثناء الكلام. كما يعد الفم غرفة رنين أخرى يمر بها الصوت، حيث تتحرك أجزاؤه من فك وأسنان ولسان وشفيتين، فيتغير شكل التجويف الفمي طبقاً لذلك.

(١) دراسة السمع والكلام ص ٨٣ .

(٢) علم الصوتيات ص ١٧٥ بتصرف .

وهذه الفراغات الرنانة تستغل في تضخيم الصوت ومنحه صفته الخاصة به والتي تميزه عن غيره من الأصوات، فهي بمثابة تلك الصناديق المجوفة التي تشد عليها أوتار الكمنجة أو العود؛ لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة، ولكنها تقوى في تلك الفراغات الرنانة، واختلاف حجم هذه الفراغات بين الناس يجعل أصواتهم المختلفة متميزة رغم أن تلك الفراغات لا تكاد تؤثر في درجة أصواتهم، فقد تكون متحدة الدرجات أي أن عدد الذبذبات في الحنجرة واحد، ولكن مرور تلك الذبذبات خلال الفراغات يكسبها لوناً خاصاً بها يساعدنا على تمييز أصوات الأصدقاء من غيرها.^(١) وكذا تمييز أصوات القراء بعضها عن بعض.

ويطلق على هذه التجاويف أو الفراغات الموجودة في قناة الصوت اسم (المرنات الصوتية). وعلى هذا فالمرن الصوتي هو: الفراغ الذي يستقبل النغمات الموجودة في تيار النفس فيتجاوب معها ويقويها فتصبح قابلة لأن تسمع.^(٢) وتقوم هذه التجاويف فوق المزمارية (الحلقي، والأنفي، والفموي) بدور حجرات الرنين وفيها تتم معظم أنواع الأصوات التي تستعمل في الكلام - (حيث تلعب هذه التجاويف دور غرف الرنين) - فجميعها بمثابة الصناديق المجوفة التي تشد عليها أوتار العود أو الكمنجة؛ ذلك لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة وتقوى بمرورها على هذه الفراغات الرنانة، واختلاف حجم هذه الفراغات عند الناس هو الذي يجعل أصواتهم متميزة كل منهم عن الآخر.^(٣)

(١) الأصوات اللغوية - د/ إبراهيم أنيس ص ١٠، ١١.

(٢) علم الصوتيات ص ١٧٣.

(٣) الأصوات اللغوية - د/ زين كامل الخويسكي ص ٩٧.

والتجويفان الحلقي والفموي هما أكثر التجاويف مرونة وقدرة على الحركة خلافاً للتجويف الأنفي فإنه ثابت لا يتحرك وإن كانت له أهميته في الترنم والتطريب ؛ لما ينتج عنه من أصوات محببة في السمع ذات طبيعة صوتية خاصة تستمتع الأذن بنغمتها ورنينها ؛ لذا ختمت أكثر الفواصل القرآنية بالأصوات ذات الذائقة السمعية المحببة التي تستمتع الأذن بنغمها ورنينها وهما صوتا النون والميم . فالتجويف الحلقي يمكن التحكم في حجمه ومساحة فتحاته عن طريق التحكم في حركة الحنجرة في الاتجاهات الأربع على النحو الذي سبق توضيحه عند حديثنا عن مرونة الحنجرة بكثرة تحركها في الاتجاهات المختلفة. وهو الأمر الذي يترتب عليه تغيير في شكل وحجم حجرة الرنين، إذ تؤثر على نوع الرنين الحنجري وطبيعة الصوت، فتتحرك الحنجرة إلى أعلى مع بعض الأصوات يؤثر على صندوق الرنين الذي يتكون في الحلق فيقصر طوله ويصغر حجمه، وتحركها إلى أسفل مع بعض الأصوات يغير طول الصندوق وحجمه فيزداد طوله ويكبر حجمه، وكل ذلك يؤثر بدوره على النغمة التي تمر بهذا الصندوق.^(١) ويؤثر تأثيراً واضحاً في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم عن طريق تغاير النغمات الصادرة عن هذا المرن الصوتي.

أما التجويف الفموي فيقوم بتشكيل لون الصوت بوجه عام، ويمتد هذا التجويف من الشفتين إلى أعلى التجويف الحلقي. ويحتوي على الشفتين، والوجنتين، والأسنان، واللسان، والحنك الصلب، والحنك اللين، والفكين الأعلى والأسفل. فيمكن له أن يتغير بصورة كبيرة في الشكل والحجم عن طريق تحركات اللسان الذي يشغل معظمه

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٠، وعلم الصوتيات ص ٩٨.

والذي يشكل الأرضية بالنسبة له. ^(١) وقد مدح العرب سعة الفم ، لأن سعة الفم تعين على قوة الصوت، فكما اتسعت حجرة الطنين – (الفم) – كان الصوت جميلاً، وإذا كنا لا نستطيع التحكم في حجرة الطنين الأخرى التي هي جوف الأنف لكننا نستطيع أن نتحكم في جوف الفم أثناء التكلم أو الغناء أو الترتيل بالفتح البسيط أو المتوسط أو الواسع للفم، وعن طريق هذه المقدرة على التحكم في مساحة هذا التجويف ينشأ جمال الأداء بتنوع الصوت. فالتجويف الفموي يعد علامة مميزة على نوعية الصوت الصادر عن حنجرة كل إنسان. وهذه العلامة أو الصفة المميزة هي التي تميز الأصوات بعضها عن بعض ، لأنها تتعلق بتجويف الفم، وتختلف كل واحدة باختلاف هذا التجويف.

ويمكن التحكم في حجم هذا التجويف ومساحته عن طريق حركة اللسان داخل الفم على النحو الذي سبق ذكره في الحديث عن مرونة اللسان، وعن طريق حركة الفك الأسفل، إذ يقوم سقف الحنك مع قاع الفم بتشكيل التجويف الفمي، وهو فراغ مهم بالنسبة لأصوات الكلام من حيث إنه مجال لتكون فراغات رنينية متنوعة في أشكالها وأحجامها وأطوالها الأمر الذي يسهم في تمييز الأصوات واختلافها، وهذا كله إنما يتحقق بواسطة سقف الحنك مع اللسان بمساعدة الفك الأسفل، إذ يساعد الفك الأسفل في زيادة أو إنقاص حجم التجويف الفموي . فعند نطق صوت مثل (الألف) نرى انخفاض الفك السفلي بينما يرتفع عند نطق صوت مثل (ي)، وهكذا بقية الأصوات مع تفاوت في درجة انخفاض الفك الأسفل حسب حاجة الصوت لذلك، فهو قابل للحركة إلى الأمام كما في نطق السين والزاي أو سواهما من الأصوات التي تتطلب تحريك الشفتين أو التقاء طرف اللسان بالثة في بعض اللغات، كما أنه يتحرك

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٥.

جانباً عند بعض الأفراد لمحاولة تغطية عيب في تكوين الأقواس الفكية لديهم أو عيب في أسنانهم، ويتحرك إلى أسفل في النطق ببعض الأصوات خاصة الحركات. (١)

فالـفـك الأسفل – لمرونته – لديه القدرة على أن يتحرك حركة شبه دائرية تلاحظ بالنظر الدقيق لفم القارئ عند تجويده لأي الذكر الحكيم، وتسهم هذه الحركة في تنويع نغمات وطبقات الصوت وعلوه وانخفاضه وغير ذلك مما يعطي للصوت ولطريقة الأداء طابعاً متميزاً وإيقاعاً مؤثراً، وترنيماً وتطريباً لا يمكن لأي عضو آخر أن يقوم به.

أما التجويف الأنفي فهو وإن كان ثابتاً فإنه يعد غرفة رنين يتأثر مدى رنينها بحجمه وفيه - أيضاً - الجيوب الأنفية التي تؤثر في إنتاج الأصوات التي تعرض لها صفة الأنفية كالفتحة المجاورة لأي منهما. كما أن لهذا التجويف وإن كان ثابتاً دوراً بارزاً في جمال الأداء لاسيما في الفاصلة القرآنية التي تختتم غالباً بصوتي الغنة (النون والميم)، يقول مكي بن أبي طالب: "وسميت النون والميم حرفاً غنة؛ لأن فيهما غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما فهي زائدة فيهما... وهي من علامات قوة الحرف. (٢)

فالغنة محلها الخياشيم أو التجويف الأنفي، وهي عند بعض المحدثين ليست إلا إطالة الصوت بالنون مع تردد موسيقى محبب فيها. (٣) وهي من الناحية النطقية عبارة عن: تكييف رنيني يميز الصوت الكلامي على مستوى الأفراد ويلونه على مستوى الأداء. ومن الناحية الأكوستيكية أو الفيزيائية: يتكون جرسها من موجات مركبة ذات

(١) علم الصوتيات ص ١٠٢، والصوتيات العربية ص ٤٥، وأصوات اللغة ص ٨٠، ٨١ يتصرف

(٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة - مكي بن أبي طالب - تح د / أحمد حسن ص ١٠٧ يتصرف .
دار الكتب العربية .

(٣) الأصوات اللغوية ص ٧١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٤٣٢، ٤٣٣ .

نغمات متوافقة.^(١) ومن الناحية السمعية: أثر سمعي يعرف مباشرة بواسطة أذن المصغي، فهي تصبغ بعض الأصوات بلون معين بواسطة الفراغات التي تصنعها أعضاء النطق، والتي تعمل صناديق رنين ترشح وتقوي بعض النغمات التي تمر بها وذلك في النون والميم خاصة.^(٢)

ومن هنا يمكننا القول: إن لهذا المرن الصوتي دوراً رئيساً في جمال الأداء حيث يمكن عن طريقه التحكم في رنين الصوت وطنينه ونحو ذلك مما يجعل لصوت القارئ جاذبية وجمالاً وهي الصفة المعروفة والمميزة لأصوات القراء، فلكل إنسان صوته الخاص به، ومختلف عن أصوات الآخرين. فكأنه ملامح الوجه أو بصمات الأصابع أو التكوين العام للجسم. فكما أن للإنسان شخصية مميزة عن الآخرين، كذلك صوته يميزه عن أصوات الآخرين. والحنجرة - بحبالها الصوتية - هي التي تحدد هذه الشخصية الصوتية. فربما تكون كبيرة ذات حبال صوتية قوية تصدر أصوات عالية، وربما يكون رخيماً أو حاداً.... فالرنين والطنين الصوتي الجميل - (الصادر عن التجويف الأنفي) - يجعل لصوت القارئ جاذبية وجمالاً، إذ يستطيع السامع أن يميزه عن سائر أصوات القراء مع أن قواعد التجويد والالتزام بها عملياً في القراءة تسبب حبس مقدار من الصوت، وعدم إبراز الصوت وانطلاقه كاملاً. فلو علمنا هذا، نقول: إن حبس الصوت أكثر من هذا المقدار يكون مانعاً قوياً لإبراز الرنين ولطافة الصوت.^(٣)

وهذا الطنين أو الرنين الناتج عن صوتي الغنة أو عن التجويف الأنفي يعد علامة مميزة بين القراء إذ يمكننا عن طريق تدبره أن نقول: هذا القارئ يملك طنيناً ورنيناً أجمل

(١) من أحكام علم التجويد (الإخفاء) - د / سيد أحمد علي الصاوي ص ١٩.

(٢) السابق ص ٢٠، ١٩.

(٣) جمال التلاوة في الصوت والنغم - جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد ص ٥١.

وأحسن من القارئ الفلانيّ. ولعل الشيخ / المنشاوي - كما يقول أحد الباحثين في جمال التلاوة - هو النموذج الواضح لهذا الموضوع، إذ إنه تفرد بين كثير من القراء لصوته الفاتن والجذاب، خاصة في إبراز هذه الخبيصة.^(١)

فالقارئ يستفيد من جيوبه الأنفية في تحسين صوته وإعطاء الكلام نغمة ورنينا جميلين . حيث إن الهواء الخارج من الرئتين ماراً بالحنجرة محدثاً الصوت يمر في طريقه بالبلعوم والأنف والجيوب الأنفية، فيكتسب الرنين اللائق والنغمة الإنسانية الواضحة التي تجعل للكلام وضوحاً وانطلاقاً وحسناً، ولذلك فإن من زكم أنفه أو انسد حلقه تتغير نغمة كلامه ويختفي الوضوح في نطقه وتظهر الخناق في صوته، وكذلك من كانت جيوبه الأنفية أكبر وتهويتها أحسن واتصالها بالأنف أسهل كان لصوته رنين أجمل ولكلامه نطق أحسن.

د): سلامة الجهاز الصوتي من الأمراض والعيوب النطقية؛

يعتبر الصوت مقياساً لصحة الإنسان ووضعه النفسي، لأنه يتأثر بشكل مباشر بتغيرات الجسد الصحية والنفسية، فإذا كان جهاز النطق في الإنسان سليماً خالياً من العيوب الخلقية خرج الصوت صحيحاً محققاً الغرض منه. فنحن مثلاً يمكننا معرفة الشخص المريض أو المضطرب من خلال نبرة صوته، لأنه قد يصاب الإنسان بعلّة ما فتحدث هذه العلة اضطراباً شديداً في الصوت، حيث نجد اختلافاً واضحاً لصوته في هذه الحالة أو أثناء العلة والمرض عما هو عليه في وضعه الطبيعي. وقد وضع إخوان الصفا دور هذا العامل - (سلامة أعضاء النطق وقوتها) - في جمال الأداء عن طريق الجهر بالصوت وقوته إذ يقولون: "أما الجهر والخفيف من الأصوات فبحسب قوة الحركة وضعفها.

(١) السابق نفسه .

والمثال في ذلك صوت العليل السقيم بالقياس إلى صوت الصحيح المعافى، وصوت العليل إلى من هو أضعف منه وأسقم حتى يكون أجهر الأصوات من الناس ما كان في غاية الصحة وسلامة الحواس، واستواء الآلة، وأخفاهن ما كان بخلاف هذه الصفة لما به من ضعف القوة وقلة الحركة وفساد الجملة وغير ذلك^(١). فسلامة النطق تزيد الفهم وتعين على التدبر، أما إذا اختل النطق وموازين الحروف وتطرق الخلل إلى القراءة فإن ذلك يبعد الذهن والقلب عن التفهم والتدبر ولم يغن النغم شيئاً.

إن أي خلل يحدث في المجرى الهوائي ينتج عنه تغير في الصوت أو في نبرته، كأن يصبح الصوت مبوحاً، والبلحة أو تغير الصوت من الأعراض الطبية الشائعة التي يصاب بها الإنسان من وقت لآخر في حياته، وعادة ما تخف ويعود الصوت إلى عادته... فالصوت عند الإنسان ينتج بإصدار الهواء من الرئة عبر الحبال الصوتية ماراً في طريقه بالبلعوم والأنف والجيوب فيكتسب الرنين اللائق والنغمة الإنسانية الواضحة التي تجعل للكلام وضوحاً وانطلاقاً وحسناً؛ ولذلك فإن من زكم أنفه أو انسد حلقه تتغير نغمة كلامه ويختفي الوضوح في نطقه وتظهر الخنافة في صوته، وكذلك من كانت جيوبه الأنفية أكبر وتهويتها أحسن واتصالها بالأنف أسهل كان لصوته رنين أجمل ولكلامه نطق أحسن. فأَي خلل في هذا المجرى الهوائي ينتج عنه تغير بالصوت. كما أن الالتهابات الفيروسية التي تصيب الجهاز التنفسي الأعلى – (الأنفلونزا) – هي أكثر المسببات التي تؤثر على الصوت، فالمرضى الذي يشكو من الأنفلونزا تكثر الإفرازات عنده في الجهاز التنفسي وتنتفخ الأنسجة في الأنف والحلق بالإضافة إلى الحبال الصوتية، وهذا ما يحدث

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٢٩.

تغيراً بالصوت، ومع العلاج والراحة تخف هذه التغيرات ويعود الصوت إلى ما كان عليه.^(١)

كما أن أي خلل في تلامس حبلي الصوت بنعومة مع الحركة السلسلة أو في سلامة الغشاء المخاطي يؤدي إلى تغيير في نبرة الصوت وظهور بحة الصوت. وفي المعتاد تكون البحة مصاحبة لضعف الصوت إلا أنه أحياناً يظهر كل منهما منفرداً، وذلك في بعض مراحل أمراض الحنجرة.^(٢) فسلامة الحنجرة هي سلامة لكل الحروف، وليس للحروف التي تخرج منها فقط ولكن لبقية الحروف، فهي التي تساعد على إحداث الاهتزاز الصوتي عبر الأحبال الصوتية.^(٣) وسلامة الصوت ونقاؤه يستلزم تلامس حبلي الصوت بنعومة مع الحركة السلسلة وسلامة الغشاء المخاطي؛ ولذلك يوصف الصوت الصادر عن علة أو مرض بأوصاف عدة منها: الصوت المكتوم^(٤)، والصوت المبجوح^(٥)، والصوت الحلقي؛

(١) نقلاً عن منتدى مزامير آل داوود بتصرف .

(٢) الصوت البشري وخصائصه - السيد لؤي - منتديات الشيخ / محمد صديق المنشاوي ص ٩ .

(٣) فن الإلقاء ص ٣١ .

(٤) ويحدث هذا الصوت نتيجة وجود آفة فيما بين قاعدة اللسان واللهاة ، أو نتيجة إصابة اللهاة بالورم

(اضطرابات الصوت - د / إيهاب الببلاوي) . ويأتي الصوت خافتاً نتيجة لمرض عضوي أو لطبيعة ينتج عنه

ابتعاد الأوتار الصوتية عن بعضها ويمكن علاج ذلك بكثرة استعمال حروف المد . (فن الإلقاء ص ١٠٩) .

(٥) ويتسم هذا الصوت بأنه خليط ما بين صوت الهمس وصوت الخشونة معاً ، وغالباً ما يكون ذلك نتيجة

الاستخدام السيئ للصوت (الصياح الشديد أو الغناء بصوت مرتفع لوقت طويل) ، وحالات التهاب

الحنجرة ، ونزلات البرد ، والتهاب اللوزتين ، والإجهاد الكلامي ، أو قد يكون عَرَضاً من الأعراض المرضية

للحنجرة ، وأثناء هذا الاضطراب يصدر الصوت من ثنيات الأوتار الصوتية الصغيرة ، ويكون التنفس في

مثل هذه الحالات صعباً ، والصوت غير واضح . وقد تطفئ البحة على الصوت جمالاً ودفئاً إضافياً . (نقلاً

عن منتدى مزامير آل داوود) .

وهو صوت يصدر من الحلق أو الحنجرة أو الرقبة أو الزور وذلك نتيجة التصلب أو الارتفاع في مؤخرة الرأس أو عدم الجلسة الطبيعية أو الوقفة المناسبة. والصوت الأنفي^(١) كذلك تؤدي العيوب الخلقية أو الفسيولوجية الناتجة عن تشوه الجهاز النطقي للإنسان - كالزوائد اللحمية، وعيوب الأسنان "فالثنيان والرابعيتان لهما دور في إقامة الحروف وسلامة النطق... وقيل: إن من سقطت كل أسنانه استطاع التحدث إلى حد ما، هذا بخلاف من ذهب شطر من أسنانه، أو الثلثين منها، ذلك للاعتدال والاستواء"^(٢) وعدم انتظام الأسنان من ناحية تكوينها الحجمي كبراً أو صغراً، أو من حيث القرب أو البعد، أو تطابقها وخاصة في حالة الأضراس الطاحنة والأسنان القاطعة فيجعل تقابلها صعباً ويعتبر هذا العيب التكويني على اختلاف صورته من أهم العوامل التي تسبب الثأثة في أغلب الحالات، وكذا عيوب الأوتار الصوتية وغيرها من التشوهات الخلقية - إلى تعطيل أو تعثر عمل الجهاز النطقي في إنتاج الصوت بالشكل الصحيح، فقد نسمع للثغة والتعته والافأفة بسبب هذا العيب، وقد يكون العلاج طبياً في هذه الحالة. وقد ترجع عيوب النطق إلى نقص أو إهمال شديد في التدريب على الأداء الجيد والنطق السليم. كذلك تؤدي عدم القدرة على التحكم الإرادي في حركة أجزاء جهاز النطق، أو سوء استعمال الصوت بالانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى غير ملائمة إلى ضعف الأداء.

فصفاء الصوت - إذاً - صفة تعكس مدى نقاء الصوت وخلوه من الحشرجات. وهذه الصفة - تختلف من صوت لآخر ولكنها تعتمد كثيراً على العناية بالصوت - تستلزم

(١) وسببه عاهة عضوية أو زكام يصيب الإنسان أو ضغط اللسان إلى الداخل أو انكماشه فيكون عائقاً أمام خروج الصوت كله من الفم فيخرج من الأنف، وهو أقرب إلى أن يقال عنه: إنه صوت أخف، لتسريه من الأنف. (فن الإلقاء ص ١٠٨ : ١١٠ بتصرف).

(٢) فن الإلقاء ص ٣٩.

سلامة الجهاز النطقي من أي خلل يعترضه عارضاً كان كإجهاد الصوت بالتمرينات العشوائية وما يتسبب عنه من عدم صفاء الصوت، أو ملازماً لعيب خلقي ما أو لمرض عضوي يؤدي إلى حدوث بعض مشاكل الصوت مثل: التهابات الجهاز التنفسي العلوي، والالتهابات الناجمة عن حمض الجزر (بسبب الارتداد المعدي)، وإساءة استخدام الصوت، العقيدات الصوتية أو سرطان الحنجرة، والأمراض العصبية والعضلية مثل خلل التصويت التشنجي أو شلل الحبال الصوتية.... إلخ.

ويندرج تحت هذا العامل عامل آخر هو (نصاعة الصوت في الأداء القرآني)؛ ونريد بالنصاعة إخراج الصوت واضحاً لا يلتبس به غيره من أصوات العربية، وإعطاء الحرف حقه من النطق المحقق غير مشتبّه بسواه، وهذا جوهر الأداء، وقد سماه القدامى بعلم التجويد، ولعل تسمية علم الأداء القرآني بـ (التجويد) نازرة إلى قول الإمام علي: "الترتيل معرفة الوقوف، وتجويد الحروف". فأخذ عنه هذا المصطلح بإعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف. وهذه القاعدة تبنى على مخارج الحروف صوتياً.^(١)

فالعربي فصيح إذا أدى الكلام أداءً حسناً وأفهم الآخرين، ولم يكن في لسانه عيب يمنعه من الطلاقة وإخراج الحروف من مخارجها بصورة صحيحة. أي يكون نطقه للحروف سليماً وإخراجه للكلمات سلساً. وكذلك القارئ لأي الذكر الحكيم.

(١) الصوت اللغوي في القرآن الكريم - د / محمد حسين علي الصغير ص ١١٢ - دار المؤرخ العربي / بيروت - ط / أولى .

هـ:- القدرة على التحكم في النفس وتنظيمه :

لا تتوقف أهمية الجهاز التنفسي عند الإنسان عند الوظيفة الإحيائية بل هو محور العملية الصوتية لدى الإنسان، فعن طريق التحكم في تيار النفس يُشكّل الصوت ويمكن توصيفه، وكذا يكون الصوت سليماً أو خالياً من العيوب، ومعرفة مدى جماله أو قبحه، فلمقدار خروج النفس والتحكم فيه دور في جمال الصوت وقيمته، ويدرك ذلك الذين يصابون بنوبات البرد ويشعرون أثر ذلك على الكلام. كما أن لمعدل التنفس دوراً واضحاً في وصف الصوت بل وصف الحالة النفسية التي يكون عليها المتكلم، وعليه أيضاً يتوقف طول النفس أو قصره لاسيما عند قراء القرآن الكريم، كما أن الصوت يقوى بقوة النفس أو ضعفه، ويضعف بضعفه.

فالإنسان خلال التنفس العادي يتنفس حوالي نصف لتر من الهواء على حين تصل أقصى كمية لهواء الشهيق إلى ما بين ٤ إلى ٥ لترات، وتسمى كمية الهواء التي يقوم الإنسان بطردها بعد الشهيق العميق الكامل (السعة الحيوية للرئتين)، يتضح ذلك جلياً في أثناء الزفير حيث تنتج الأصوات اللغوية فيحدث النطق والكلام^(١) إلا أن سعة الجهاز التنفسي تختلف من شخص إلى آخر تبعاً لحجم الجسم المنتج للصوت. " فالأجسام الكبيرة الرئات الطويلة الحلاقيم الواسعة المناخير والأشداق تكون جهيرة الأصوات - وغليلة أيضاً - ؛ لأنها تستنشق هواءً كثيراً وترسله بشدة " .^(٢) لكنها في الوقت نفسه ترتبط بدفع الهواء إلى أعلى ارتباطاً عكسياً إذ يلاحظ أنه كلما قل حجم الجسم زادت قوة دفع الهواء إلى أعلى عبر الرئتين والقناة الصوتية هذا من ناحية. وهذا

(١) علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام - د / محمد محمود عبد العزيز النحاس ص ٢١ .

(٢) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ٩٢ .

يدل على أن بين الجسم ووزنه وبين الصوت الصادر عنه علاقة عكسية وذلك على النحو الذي بيناه من قبل. فضغط الهواء في التجويف الصدري - إذن - يتغير تبعاً لحجمه الذي يرجع في حقيقته إلى النشاط العضلي الذي تقوم به العضلات بين الضلعية الخارجية والداخلية وعضلة الحجاب الحاجز وعضلات البطن.^(١)

وقد وضع د / إبراهيم أنيس دور هذا العامل في جمال الأداء فقال: "من الحقائق العلمية التي تدعو إلى الدهشة والعجب أن علماء التشريح لم يلحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني. فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الأبواب والعقول لا تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية.... وإنما الفرق في الموهبة التي اختص بها وهي سيطرته على عملية التنفس، فهو أقدر من غيره على تنظيم تنفسه والسيطرة على الهواء المندفَع من الرئتين، والقدرة على تكييفه، وإخضاعه لنظام خاص في جريانه من الرئتين حتى يصدر من الفم أو الأنف. هذا هو كل شيء في الغناء أو ما يسمى جمال الصوت. وقليل من الناس يستطيعون السيطرة على تنفسهم وإخضاعه لإرادتهم كما يفعل المغنون. فالمغني يستطيع بعد شيء من المران طبعاً أن يملك زمام تنفسه وأن يحدد عدد ذبذبات الوترين الصوتيين كما يشاء، وبذلك ينوع في درجات صوته كما يوحي إليه فنه. ومن تلك الدرجات الصوتية المتباينة يكون مجموعة منسجمة من الأصوات هي التي اصطلاحنا على تسميتها الغناء الجميل. وعنصر المران ضرورة للمغني ولكن الاستعداد الشخصي هو العنصر الأساس في جمال الصوت - (وهو ما نسميه في الأداء القرآني باسم المهارة بقراءة القرآن. ولا تتأتى هذه المهارة إلا عن طريق المشافهة والتلقي، والتدريب، لذا جعلناها أحد العوامل المؤثرة في

(١) دراسة السمع والكلام ص ٨٣ .

جمال الأداء لآي الذكر الحكيم وسيأتي الحديث عن هذا العامل تفصيلاً في موضعه إن شاء الله تعالى) – وتسرف الكثرة الغالبة من الناس في عملية التنفس أو لا تحسن استغلالها فيضيع النفس سدى ولا تنتظم له حال. ولا غرابة في هذا فليس كل الناس مغنين أو أصحاب أصوات جميلة منسجمة^(١).

فعملية التحكم في تيار النفس وتنظيمه وضبطه من العمليات المهمة لتحسين الأداء وتناغمه في صورة أخاذة تشد السامعين إلى التأثير بجماله، كما يعد غيابها في ذات الوقت مدعاة للانصراف عن القارئ وذهاب جمال الأداء كلية عنه؛ لأنه يكون حينئذ مدعاة إلى التلعثم، أو إلى الوقف في غير موضعه الأمر الذي يضيع معه الغرض الأسمى من التلاوة وهو التدبر والتأمل وفقه المعنى القرآني، فالتنظيم والتكامل بين التنفس والنطق يساعد على التحكم في معدل الكلام اللازم.

وعن طريق تنظيم التنفس – أيضاً – يمكن للإنسان أن يتحكم في حدة صوته ونغمته أي شدته ودرجته، ويمكن لنا ملاحظة ذلك عند بعض قراء القرآن الكريم عندما يحاولون قراءة سورة من السور القصار دفعة واحدة دون توقف^(٢) وقد وضع ذلك الشيخ ابن سينا في قوله: "لما كانت قصبة الرئة مخلوقة لأجل التنفس، ولأجل الصوت وكان الصوت يختلف في ثقله وحدته باختلاف منفذ الهواء الفاعل له في سعته وضيقه وجب أن يكون بهذه القصبة تمكن من التضييق، وذلك إذا أريد تحديد الصوت كما قد يستعمل لذلك حينئذ في الآلات الصناعية واليراع المعروف بالزير، ومن الاتساع وذلك إذا أريد تثقيل الصوت أو تعظيمه جداً كما قد يستعمل لذلك حينئذ في الآلات الصناعية

(١) الأصوات اللغوية ص ٩ ، ١٠ .

(٢) أصوات حروف القلقة بين المتقدمين والمتأخرين – فرغلي سيد عرباوي ص ١٥ – زوائد : النسخة المكية المعدلة .

اليراع المعروف بالهم. وإنما يمكن ذلك كما قلنا مراراً بأن يكون هناك عضل تحركها هذه الحركات لكنها قد خلقت على السعة التي قلما يحتاج الإنسان لذلك إذا أزيد منها؛ فلهذا خلق لها عضل التضيق فقط، وهي عضلات أربع...^(١).

وعلى هذا تكون السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتحديد نسبة ما يندفع منهما من النفس، وتنظيم هذا حسب الإرادة أحد العوامل المهمة في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم، ولا أدل على صحة ذلك من أن الخطأ في طريقة التنفس والفوضى فيها يؤدي إلي وجود التأتأة^(٢) في الكلام.

ويمكن التحكم في معدل وعمق النفس عن طريق التحكم في عضلات التنفس في مركز التنفس الموجود في ساق المخ. حيث يحتوي مركز التنفس على ثلاث مناطق وظيفية... ومع أن نمط التنفس يتحكم فيه عن طريق مركز التنفس إلا أن هذا النمط يمكن تعديله وفقاً للاحتياجات عن طريق: قشرة المخ؛ حيث يوجد اتصال بين قشرة المخ ومركز التنفس، بمعنى أن الإنسان يستطيع إرادياً أن يغير معدل التنفس حيث يستطيع الإنسان أن يتوقف تماماً عن التنفس لفترة محدودة... فالإشارات العصبية تنبه مركز التنفس، لذلك فإن الانفعالات العاطفية تغير نمط التنفس مثل البكاء على سبيل المثال.^(٣)

(١) شرح تشريح القانون لابن النفيس ص ٦٦ .

(٢) التأتأة هي : نوع من التردد والاضطراب وانقطاع في سلاسة الكلام ، حيث يردد الفرد المصاب صوتاً لغوياً أو مقطوعاً ترديداً لا إرادياً مع عدم القدرة على تجاوز ذلك إلى المقطع التالي . ويلاحظ على المصاب بالتأتأة اضطراب في حركتي الشهيق والزفير أثناء النطق مثل انحباس النفس ثم انطلاقه بطريقة تشنجه . (علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام ص ٤٥ . ٤٦ بتصرف) .

(٣) ينظر تفصيل ذلك في : الجهاز التنفسي وأمراضه بحث النت .

ثانياً: العوامل الفيزيائية (الطيفية)

للعوامل الفيزيائية دور بارز ومهم في جمال الأداء والتمييز بين أداء قارئ وآخر بل والحكم على كليهما جمالاً أو قبحاً أو غير ذلك وأبرز هذه العوامل يعود إلى عاملين هما:

أ: القدرة على التحكم في درجة الصوت ونبراته :

درجة الصوت هي: الخاصية التي تميز بها الأذن الأصوات من حيث كونها أصوات حادة أو غليظة. (١) أو هي: علو الصوت وانخفاضه. فكل صوت بشري حدود معينة في نزوله وصعوده وكل نوع يختلف عن الآخر من ناحية القوة والضعف، ومن ناحية تأثيره في السامع بالمقام المناسب. كما أن الأصوات تختلف بعضها عن بعض، فمنها ما هو شديد كقصف الرعد، ومنها ما هو غليظ كصوت الرجل أو حاد كالصفير أو رنين الأجراس. والقارئ الجيد هو الذي يستطيع التحكم في نبرات صوته ويتنقل بين طبقاته - حسب المقام وحسب طبيعة صوته - بطريقة سلسلة ومهارة متقنة يستطيع من خلالها جذب انتباه السامع والتفاعل معه. وذلك عن طريق :

١. السيطرة على الهواء المندفَع من الرئتين وتحديد نسبة ما يندفع منهما من

التنفس، وتنظيم هذا حسب الإرادة

٢. مرونة عضلات الحنجرة ؛ فعلى قدر هذه المرونة تتوقف درجة الصوت، فكلما

ازدادت مرونتها كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة. (٢)

(١) علم الصوتيات ص ١٢٨ .

(٢) الأصوات اللغوية ص ٨ ، ١٠ بتصرف .

٣. التغيير في درجة انقباض الحبال الصوتية، والتغيير المناسب في الطول والتوتر

يؤدي إلى حدوث اختلاف في نبرات الصوت. (١)

طبقة الصوت هي أحد عناصر الإلقاء الصوتي المتمثلة في (معدل السرعة، التوقفات،

حجم الصوت، طبقة الصوت وتغييراتها، نوعية الصوت، النطق واللفظ). (٢) وهي في

الأصل: مصطلح موسيقي يدل على مدى ارتفاع وانخفاض نبرة الصوت. وعرفوها بأنها:

خاصية يتميز بها الصوت ويحددها تردد ذبذبة موجات الصوت. (٣)

فالأصوات ذات الطبقات العالية لها ترددات أعلى من الأصوات ذات الطبقات الدنيا.

والقارئ الجيد يستطيع أن يغير من صوته وطريقة أدائه من وقت لآخر، وفي هذا تنشيط

لنفسه ولسامعيه؛ لأن عدم وجود التغيير الملائم في الطبقة أثناء الإلقاء الصوتي أو عدم

حدوث تغييرات في طبقة الصوت يؤدي إلى جمل رتيبة ذات نغمة واحدة، كما أن تغييرات

طبقة الصوت هي أداة رئيسة لإعطاء المعنى الدقيق للجملة. إذ من الممكن أن تعطي

جملة من أربعة كلمات أربعة معانٍ مختلفة عندما نقوم برفع الطبقة - النبرة -

والحجم لكل كلمة في كل مرة نقول فيها الجملة.

أما الأداء على نبرة واحدة طوال الوقت فيحمل المستمعين على الملل والكسل.

ويسمى هذا الصوت الذي يخرج على وتيرة واحدة باسم الصوت الرتيب وعرفوه بأنه: "

ذلك الصوت الذي يخرج على وتيرة واحدة وإيقاع واحد، دون القدرة على التغيير في

الارتفاع، والشدة، أو النغمة واللحن، مما يجعل هذا الصوت يبدو شاذاً وغريباً، ويفقد

القدرة على التعبير والتواصل الفعال مع الآخرين". ومثل هذه الحالات يمكن أن تحدث

(١) الحنجرة ووظائف الصوت - مقال في النت على موقع طبيب دوت كوم .

(٢) عناصر الإلقاء الصوتي - د / محمد بدره ، مقال في النت بتاريخ : الأحد ٢٢ مارس ٢٠٠٩ م .

(٣) السابق نفسه .

نتيجة الإصابة بحالة من الشلل تصيب المراكز المخية، وخاصة منطقة الجسم المخطط من الدماغ، مما يؤدي الي تصلب الأوتار الصوتية وجعل الصوت إما أجشاً خشناً، أو رتيباً .^(١) يقول جوبو: " من الأسباب التي تجعل الأذن تضيق بالصوت الرتيب هو أن الصوت الرتيب يُعْمَلُ الأذن على نحو واحد، فيضني الأعصاب السمعية، ولا كذلك التنوع في الشدة والنغمة، فإنه يريح الأذن حتى في عملها ".^(٢)

فالصوت رسالة، وقوته وضعفه وسرعته وبطؤه والتلون في حدثه بين فترة وأخرى هي عوامل جاذبة ومؤثرة بلا أدنى شك. ونبرة الصوت هي عامل أساس في جذب الجمهور، والمتحدث الذي يعتمد نبرة صوت واحدة يزرع في الحضور الملل والكآبة، حتى ولو تحدث بأفضل الكلام وأجوده، والمتحدث الذي يعتمد رفع الصوت وخفضه ويلون لهجة خطابه له حظ وافر في التأثير في السامعين وجذبهم إلى مربع التفاعل معه.^(٣)

فعلى القارئ - إذن - أن ينوع من نبرات صوته حسب المعاني والجمل ونوعها، وذلك بالانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة أخرى بطريقة طبيعية ومنضبطة. فالصوت الطبيعي يكون (من الناحية الفيزيائية) على درجة كافية من الارتفاع أو الشدة من أجل تحقيق التواصل المطلوب، ولكن الارتفاع الشديد للصوت يؤدي إلى صوت غير واضح، والصوت المرتفع أكثر من اللازم هو صوت شديد ومزعج للآخرين ؛ لذا يجب أن تكون " درجة الصوت معتدلة لا منخفضة غير مسموعة فتضايق، ولا مرتفعة صارخة فتزعج وكلا

(١) اضطرابات الصوت - د / إيهاب الببلاوي .

(٢) جماليات المفردة القرآنية - د / أحمد ياسوف ص ٢١٢ - دار المكتبي / سوريا - دمشق - ط / أولى ١٩٩٩ / ٥١٤١٩م.

(٣) الصوت ونبراته في الإلقاء - د / نزار نبيل أبو منشار - (نقلا عن شبكة اللوكة) .

الأمرين منفر".^(١) فالانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى ينبغي أن يكون ضمن الدرجة المعتدلة وليس زائدا عنها ارتفاعاً أو انخفاضاً.

أما التغيرات الغير طبيعية في طبقة الصوت، والانتقال السريع الغير مضبوط من طبقة لأخرى مثل الانتقال من الصوت الخشن إلى الصوت الرفيع أو العكس - (من دون سبب يدعو إلى ذلك) - فإنه يؤدي إلى عدم وضوح اللحن والصوت كما ذكر أحد الباحثين في اضطرابات الصوت.^(٢) يقول الكاتب حسن شكري: "إن صوت المقرئ قادر بطبقاته المتعددة علي عكس الحالة التي يريد القرآن أن يوصلها إلي قرائه أو مستمعيه.. ولهذا يشعر الجالسون في سرادق أو مسجد يستمعون إلي القرآن الكريم أن القارئ يعيد رسم الحياة من حولهم.. حيث تختفي الماديات ويشعر هؤلاء أنهم يسافرون في رحلة حقيقية إلي العالم الآخر.. وهي الرحلة التي يمكن تلخيصها في أنها رحلة النعيم والجحيم".^(٣)

ومن هنا يمكننا القول: إن القارئ الجيد كعازف العود يستطيع إعطاء نغمات رفيعة وحادة أو غليظة وخشنة، ومنخفضة أو متوسطة أو مرتفعة الشدة تبعاً للمقام أو الغرض بشرط أن ينظم طبقات صوته، ويحسن الانتقال من طبقة إلى أخرى تبعاً لما يملكه من مرونة صوتية تمكنه من التنقل بين الطبقات بسلاسة من ناحية، والتدريب الجيد على إتقان القراءة بالطبقات الصوتية المناسبة؛ لأن عدم الإتقان أو الاستخدام السليم للصوت من حيث أدائه بالطبقة المناسبة يؤدي إلى وجود الصوت المرتعش أو

(١) اللغة العربية أداءً ونطقاً وإملاء وكتابة ص ٩٢ .

(٢) اضطرابات الصوت - الزراد ص ٢٣٥ وما بعدها - ١٩٩٧م .

(٣) شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول إلي المقامات الصوتية ص ٢ - منتديات الشيخ / محمد صديق المنشاوي بالنت

المهتز وهو: " الصوت الذي يتسم بالاضطراب الصوتي لظهور الصوت بشكل غير متناسق من حيث الارتفاع أو الانخفاض أو الطبقة الصوتية، ويكون سريعاً، ومتوتراً"^(١) وهذا مما يخل بجمال الأداء.

وعلى هذا تكون معرفة طرق التحكم بطبقة الصوت بما يتناسب مع المساحة الصوتية للقارئ من الأساليب المهمة في الأداء القرآني، فلكل صوت قدرات معينة، وبعد في وضوح أصوات الحروف والكلمات والاهتزازات الوترية، فالقارئ حينما يقرأ بالطبقة المنخفضة من الصوت لا تتجلى قوة صوته وتعبيراته ونبراته الجميلة حتى يرتقي تدريجياً إلى الطبقات العالية التي تبرز الإمكانات والجماليات الترنيمة وتقوى فيها أصوات الحروف والاهتزازات الوترية لقوة الاعتماد على مخارج الحروف ويعتمد ذلك على قوة الصوت وجماله، وكلما عرف القارئ مساحة صوته استطاع التحكم بصوته تحكماً صحيحاً، ويجنبه ذلك التعب والإجهاد الوتري، فالصعود المفاجئ من غير تدرج وإحماء للصوت يؤدي إلى حدوث شرخ في الصوت تظهر أعراضه بتكون حبيبة على الوتر الصوتي نتيجة الضغط المفاجئ والزائد على الحبال الصوتية، وبالعكس من ذلك النزول المفاجئ ومن غير تدرج من الطبقة العالية إلى الطبقة المنخفضة يؤدي إلى نشاز الأداء وهذا ما لا يليق عند أهل الأداء، والقارئ المجيد هو الذي يترجم أحاسيسه ويتفاعل مع الآيات القرآنية ويصورها تصويراً نغمياً تعبيرياً، فالقراءة التصويرية هي أعلى مراتب القراءة، وقد أبدع فيها القراء الأوائل مثل الشيخ / محمد صديق المنشاوي - رحمه الله - فقد قال

(١) اضطرابات الصوت - د / إيهاب الببلاوي .

عنه العلماء؛ إنه فسر القرآن بصوته، لما يمتلك من قوة في التعبير والتحزين وصوت خشوع تتجلى بنبراته الحزينة الخشبية وتعظيم الخالق.^(١)

فلطبقات الصوت البشري حدود وتعين وكيفية خاصة، إذ لكل صوت من الأصوات أربع طبقات متدرجة ودقيقة، وبما أنها متدرجة أي لا بد أن يبتدئ من الطبقة الأولى والتي تسمى (قرار) وهي حد لدى الصوت وغالباً ما تتسم هذه الطبقة بالهدوء ووسطية المسار وقد تؤدي بالصوت التخين مع بقاء الفارق، ثم الطبقة الثانية والتي تسمى (جواب) وهي حد الحد لدى الصوت وتتسم هذه الطبقة كونها الصوت العادي للمؤدي أي الحد الوسط بين النزول والصعود، ثم الطبقة الثالثة والتي تسمى (جواب جواب) وهي حد الحد لدى الصوت والتي تتسم بالخروج عن الطبقة الوسطى بما يقارن الجهد لدى المؤدي بالضغط على الحنجرة... ثم الطبقة الرابعة والتي تسمى (جواب جواب جواب) والتي تتسم بأقصى حد لدى الصوت أي آخر طبقات المؤدي وأصعب ما لديه وأقوى ما عنده. وهذه الطبقات مختلفة من شخص إلى آخر فلكل شخص طبقة الأولى والثانية والثالثة والرابعة الخاصة به فلا يوجد مستوى يُقاس به جميع أصوات البشر وبسبب اختلاف الأصوات تولدت صعوبة تشابه طبقاتها.

ولا يستطيع القارئ اكتساب طبقات صوتية جديدة أعلى وأنزل من الصوت العادي والتنقل بينها بيسر وسلاسة إلا بعد تدريب طويل للصوت على كيفية القراءة بكل طبقة على حدها حتي يتقنها إتقاناً تاماً فتصبح ضمن مجال صوته، ثم ينتقل إلى الطبقة الثانية فيتدرب عليها ويتقنها وهكذا يفعل مع جميع الطبقات.... ومن المهم جداً قبل تدريب الصوت معرفة مدى ومساحة الصوت (كم أو كتاف)... وأن لا تؤدي الطبقة

(١) طرق التحكم بطبقة الصوت - مقال في النت لـ عبدالرازق عبطان الدليمي - منتديات مزامير آل داود.

الجديدة بالصوت المصطنع بل بالصوت الطبيعي ؛ لأن الصوت المصطنع ليس من ضمن مجال الصوت الطبيعي. ^(١)

فنبرة الصوت إذن من الأمور التي تساعد على قوة الأداء وجماله ؛ وذلك لما يترتب عليها من وضوح موضوع الآيات الكريمة وبيان مدلولاتها المختلفة لاسيما إذا قرئت بأكثر من طريقة من خلال تغاير الصوت حين النطق بالآية بطريقة معينة مخالفة لما سبقها من الآيات، أو حين النطق بكلمات الآية علواً لإحداها تارة وانخفاضاً لما عداها تارة ثانية حسب المقام أو الغرض والمعنى المراد. فعلى القارئ مراعاة الاعتدال في صوته علواً وانخفاضاً تبعاً للغرض من الآية، أو من كلمة معينة فيها. ولنا في رسول الله ﷺ - القدوة الحسنة فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ - إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: "صبحكم ومساكم" ويقول: "بعثت أنا والساعة كهاتين". ^(٢)

كما أن لنبرة الصوت دوراً أساسياً في بناء أو هدم أية علاقة - (كثيراً ما نواجه أناساً من أول حديث لنا معهم يتركون أثراً بالغاً في أنفسنا من الطريقة التي يتحدثون بها وهذا سر من أسرار نبرة الصوت) - وذلك لما للصوت من أثر كبير في نفس المتلقي سواء أكان إيجابياً أو سلبياً بغض النظر عن نوع الكلام (حسن أو قبيح)، فالإنسان لا يختار صوته ولكن يستطيع أن يتحكم في حدة صوته وشدة، وللأصوات مسميات كثيرة تختلف حسب طبقة ونبرته ومنها الرخيم والأبج والجهوري والنشاز وغيره، فبعض الأشخاص يتميز بصوت هادئ ودافئ ومريح يلامس شغاف القلب، والبعض لديه صوت

(١) كيفية تقوية الحبال الصوتية - مقال في النت لـ باسم المنصوري نقلاً عن الموسيقيين السعوديين .

(٢) المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) - (باب تخفيف الصلاة والخطبة) حديث رقم (٤٣) / ٢ / ٥٩٢ .

مُنْفَر ومُسْتَفْزَج يجعل المستمع يتفادى الإنصات إليه.... وشتان ما بين صوت يخرج بنبرة مريحة ولطيفة فتجذبك وما بين صوت يخرج بشدة وفظاظة فينفرك ليشعرك بتلوث ضوضائي.^(١) وسيأتي تطبيق ذلك على قراءة بعض القراء عند حديثنا عن التلوين الصوتي كأحد العوامل المهمة في جمال الأداء.

ب) قوة الصوت وجهارته :

قوة الصوت هي: صفة تعكس مدى تحمل الصوت، فكلما زادت قوة الصوت زادت قوته على تحمل الأداء الطويل. وقد كان بعض القراء القدامى يقرءون لساعات دون أن يظهر الضعف على أصواتهم. وهذه الصفة تختلف من الناحية الخلقية، ولكن يمكن تطويرها عن طريق العناية بالصوت، وكذلك عن طريق الاستخدام الصحيح للصوت أثناء التلاوة. ولقوة الصوت بعدان :

١. قوة الصوت على المدى القصير: وهي قابلية التحمل أثناء أداء تلاوة واحدة. أي متى يبدأ الصوت بالضعف خلال التلاوة. فبعض الأصوات لا تستطيع التلاوة لأكثر من ربيع ساعة، بينما بعضها يواصل لساعات عدة دون تعب.

٢. قوة الصوت على المدى الطويل: وهي قابلية التحمل مع تقادم العمر. فبعض القراء توقفوا عن القراءة في سن مبكرة، بينما بعضهم استمر في التلاوة حتى سن متقدمة مع المحافظة على جمال صوته. ومن الفئة الثانية الشيخ / عبد الباسط عبد الصمد، والشيخ / مصطفى إسماعيل، والشيخ / أحمد عامر.^(٢)

(١) نبرة صوتك ما بين الجاذبية والنفور – ناهد أحمد البوعينين – مقال في النت .

(٢) الصوت البشري وخصائصه – درس في النت لـ السيد لؤي .

ولا بد لقوة الصوت من توافر الطاقة – (وهي كمية الهواء المخزون بالرئتين) – مع سلامة حبلتي الصوت والغشاء المخاطي المبطن لهما، وكذلك الالتقاء الناعم بين حبلتي الصوت. ومع استمرار الكلام ونفاذ تلك الطاقة يخفت الصوت شيئاً فشيئاً. ولكي تتمكن من استمرار الكلام في نفس واحد، فإننا نعوض هذا الخفوت بالحركة العنيفة للحبال الصوتية. ولكي نستعيد القدرة على الكلام لابد أن نكف عنه لكي نتمكن من أخذ شهيق.^(١)

والمقصود بـ الجهارة لغة: كشف الشيء وعلوه. يقال: جهرت بالكلام: أعلنت به. ورجل جهير الصوت إذا كان عاليه.^(٢) واصطلاحاً: إحساس يشعر به السمع، ويتم من خلاله الحكم على الصوت الصادر عن المتكلم بالقوة أو الضعف. أو هو الأثر السمعي الناتج عن اتساع ذبذباته زيادة أو نقصاً.^(٣)

جهارة الصوت ودورها في جمال الأداء:

لقوة الصوت وجهارته أهمية كبيرة في جمال الأداء عند قراء القرآن الكريم خاصة؛ وذلك لما لها من أثر سمعي محبب في أذن السامع. وقد سبق أن أوردنا في المبحث الأول من هذا الفصل الأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم وتزيينه والتغني به. وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الجهر بالقراءة على طريقة مخصوصة وكيفيات محددة، وقد أشار الجاحظ إلى أهمية الجهارة في الصوت أو المنطق وعدها من وسائل البيان وجمال الأداء، وذلك لما يترتب عليها من الحلاوة والطلاوة في الأداء حيث قال: "إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب وريضة وإلى تمام الآلة

(١) كل شيء عن الحنجرة والحبال الصوتية (نقلا عن منتدى مزامير آل داوود).

(٢) مقاييس اللغة – أحمد بن فارس – تح / عبد السلام هارون – (ج ١) – دار الجيل / بيروت .

(٣) أصوات اللغة – د / عبد الرحمن أيوب ص ١٠٧.

وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن وإن حاجة المنطق إلى الطلاوة والحلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتنثني إليه الأعناق وتزين به المعاني^(١). بل كانت جهرارة الصوت صفة مدح في الإنسان حيث هي عندهم من مقومات الصوت الجميل وهذا ما أكدّه الجاحظ كما سبق ؛ ولذا فقد كانت هذه الصفة من الصفات التي نعت بها النبي - ﷺ - وآخرون. فقد جاء في الإحياء: كان - ﷺ - أفصح الناس منطقاً وأحلاهم... إلى أن قال: كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة^(٢). وكان يعقوب - رحمه الله - شيخاً كبيراً حليماً حسن الوجه والحية جهير الصوت^(٣).

إلا أنه يجب أن تكون هذه الصفة بعيدة عن التكلف والتزيد أو التصنع ؛ لأن الأصوات في السمع تنقسم إلى أنواع حسب أسس مختلفة وتبعاً لمقاماتها المتنوعة. فمثلاً الصوت الجهوري قسموه إلى صوت مقبول وهو ما لا يسبب ضرراً للأذن، وصوت مرفوض وهو ما يسبب الضرر للأذن. كما قسموه إلى صوت عال الذبذبة وصوت أقل ذبذبة. كما قسموه لصوت موسيقى وصوت ضوضائي وصوت عادي. وهناك تقسيمات أخرى والمستفاد منها هو منع الأضرار بإعلام الناس بأحكام الصوت المحرمة للصوت العالي المزعج ؛ وذلك تطبيقاً لمنع الحرج أي الأذى في قوله - ﷺ - ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) وكثيراً ما كان بعضهم

(١) البيان والتبيين ص ٢٣ .

(٢) إحياء علوم الدين - محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ٢ / ٢٦٧ - دار المعرفة / بيروت .

(٣) فتوح مصر وأخبارها - أبو القاسم القرشي - تح / محمد الحجيري ٢١ - دار الفكر / بيروت - ط / أولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

(٤) سورة الحج من الآية (٧٨)

يتزيدون في جهازة الصوت وينتحلون سعة الأشدق وهذل الشفاه. (١) ومن أجل ذلك نهى الرسول - ﷺ - عن التشدق أي: التصنع في تحريك الشدقين بتكلف أثناء الكلام رغبة في التفصح. (٢) فقال: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ اللَّهُ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ اللَّهُ وَأَبْغَدَكُمْ مِنِّي الثَّرَثَارُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ". (٣) وعاب الفداين والمتزدين في جهازة الصوت وانتحال سعة الأشدق ورحب الغلاصم وهذل الشفاه وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر وفي أهل المدر أقل.... (٤).

ومن هنا ندرك أن الصوت الجهير قد يكون مقبولاً في السمع بحيث لا يكون فيه تكلف في استعمال الأشدق ولا يسبب ضرراً لأذن المستمع وهو ما حض عليه القرآن الكريم عند تلاوته في الصلاة في قوله - ﷺ - : ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (٥) وقد يكون غير مقبول وذلك عن طريق التزيد في سعة الشدقين عند المتكلم فيخرج الصوت عن حده أو مجاله السمعي الطبيعي فيسبب ضرراً لأذن المستمع مما يجعله مرفوضاً عنده أو غير مستساغ لديه لنفور الحس عنه، ولعل ذلك هو ما حض القرآن الكريم على تجنبه في حضرة النبي - ﷺ - في قوله - ﷺ - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي - د / شوقي ضيف ص ١٧ - دار المعارف / مصر .

(٢) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية / القاهرة (ش د ق) بتصرف .

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان التميمي أبو حاتم - تح / شعيب الأرنؤوط - باب (ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ مِنْ أَحَبِّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ مَنْ كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا) حديث رقم (٤٨٢) ٢/٢٣١ - مؤسسة الرسالة / بيروت - ط / ثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

(٤) البيان والتبيين ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) سورة الإسراء الآية : (١١٠) .

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ^(١)

وإنما عدت جهازة الصوت أو قوته من سمات الأداء الجميل ؛ لأنها كما ذكر الرافعي: " تترك للصوت أثراً في النفس هنيهة يتمكن فيها الإنسان من استيفاء صنعة التقليد الصوتي على أتم وجوهاها ".^(٢)

فجهازة الصوت وحسنه من الصفات الضرورية التي تمكن المرتل لآي الذكر الحكيم من الاستيلاء على نفوس السامعين وجلب إصغائهم إليه. وهذه الصفة وإن كانت فطرية إلا أنه يمكن اكتسابها وذلك بتدريب الحنجرة وترويضها على الصوت المرتفع. ولا نعني بجهازة الصوت الصراخ الذي يسبب نفور المستمعين. ولما كان لهذه الصفة هذا الدور البارز في جمال الأداء جعل أحد الباحثين المحدثين لجهازة الصوت ميزاناً يسمى بـ (ميزان جهازة الصوت) يقاس عن طريقه جمال ارتفاع الصوت أو انخفاضه تبعاً للموقف الكلامي وعرفه بأنه: " الميزان الذي تتحدد به درجة ارتفاع الصوت، أو انخفاضه عند نطق معين. فكل موقف كلامي درجة محددة من ارتفاع الصوت، أو انخفاضه متعارف عليها بين الناطقين باللغة المتحدث بها. فإذا ما تغيرت هذه الدرجة ارتفاعاً أو انخفاضاً عما ينبغي أن تكون عليه في موقف معين، أدرك المستمع أن شيئاً ما قد تغير، وقد يفهم من ذلك معنى مغايراً للمعنى اللغوي. ويختلف من بيئة إلى أخرى، ومن شخص إلى آخر، فيجب مراعاة ذلك".^(٣)

(١) سورة الحجرات الآية : (٢) .

(٢) تاريخ الأدب العربي - مصطفى صادق الرافعي ص ١١ - دار الكتاب العربي .

(٣) الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى - حمدان رضوان أبو عاصي - مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد (١٧) العدد (الثاني) ٢٠٠٩م - ص ٥٩ .

وتتوقف هذه الجهارة في الصوت الإنساني عامة وفي أداء وتلاوة القرآن الكريم خاصة على عوامل عدة يرتبط وجودها بها وأهمها ما يلي :

١. سلامة أعضاء النطق وقوتها: وقد سبق الحديث عنه.
٢. ضخامة الجسم وعمقه: وقد سبق الحديث عن ذلك عند حديثنا عن الاختلاف الفسيولوجي بين القراء.
٣. قوة دفع الهواء من الرئة عند إنتاج الصوت.^(١) فالطاقة الكبرى تنتج سعةذبذب أكبر وصوتاً أعلى وأقوى، والحركة القوية تؤدي إلى اضطراب قوي في الهواء كما ذكرنا.
٤. اتساع الممرات الهوائية: وقد سبق الحديث عنه عند حديثنا عن القدرة على التحكم في المرينات الصوتية.
٥. سعة الفم: فهي تعين على قوة الصوت، وقد سبق أنهم كانوا يمدحون الجهير الصوت، ويذمون الضئيل الصوت.
٦. الوسط الناقل: ينتقل الصوت من فم المتكلم إلى أذن السامع في صورة ذبذبات صوتية تحملها موجات صوتية مركبة عبر وسط صلب أو مائي أو غازي (هوائي)، ولهذا لوسط الناقل للصوت أو الذبذبات الصوتية دور رئيس في سرعة الصوت وقوته ووضوحه في السمع. يقول د / عبد الرحمن أيوب: " يمكن أن نتعرف على السر في قوة انتقال صوت من الأصوات وضعف انتقال صوت آخر. وسنجد ذلك متمثلاً في عوامل كثيرة منها: ما إذا كان الصوت ينتقل بوسيلة صناعية كالمكبر

(١) أصوات اللغة - د / عبد الرحمن أيوب ص ١٣٤، و ص ١٥٠.

الصوتي أو التليفون أو بواسطة الهواء إلى غير ذلك^(١) وإننا لنذكر ذلك الآن بوضوح حين نستمع إلى أداء أو ترتيل القرآن الكريم وتجويده عبر مكبرات الصوت، حيث تعمل هذه المكبرات الصوتية على تقوية صوت القارئ عامة خلافاً لما هو عليه في أي وسط آخر.

ولقوة الصوت وجهارته عوامل أخرى كثيرة غير ذلك تناولناها بالتفصيل في بحث

سابق.^(٢)

ثالثاً: العوامل الأخرى التي ترتبط بالقارئ

هناك عوامل أخرى غير ما سبق بيانه وتوضيحه تبرز جمال الأداء لأي الذكر الحكيم وتثير في السامع إحساساً مماثلاً بل وتناغماً وانسجاماً بعذوبة الأداء وسلاسته وهذه العوامل يتفاوت فيها القراء تفاوتاً كبيراً؛ لارتباطها بالقارئ نفسه وطريقة أدائه. وأهم هذه العوامل :

(أ) : أحكام التجويد ودورها في جمال الأداء وكمال الإقراء لأي الذكر الحكيم؛
تجعل قواعد التلاوة والتجويد لأسلوب القرآن الكريم انسجاماً وإيقاعاً عذباً جميلاً. وهذه القواعد ليست شيئاً طارئاً على القرآن، وليست خارجة عنه بل هي من ذات القرآن؛ لأنها أصول تتعلق بصحة تلاوته....، وذلك لما فيه من الإيقاع العذب المعبر الذي لا تجده أبداً في كلام البشر فإنه الإيقاع الناشئ عن الأداء القرآني الملتزم بقواعد التجويد، إنه الأداء الذي يملأ السمع عذوبة والقلب خشوعاً والنفس إعجاباً والكيان إجلالاً ومهابة، فضلاً عن دوره في الإشعار بالمعنى.^(٣)

(١) السابق ص ١٣٤.

(٢) العوامل المؤثرة في الصوت الإنساني .

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم - د /محمد إبراهيم شادي ص ٦٨، ٦٧ بتصرف - مطبعة الرسالة - ط /أولى ١٩٨٨ / ١٤٠٩ هـ

فالتجويد من خصائص أداء القرآن الكريم ومتى عريت التلاوة منه لم تكن موافقة للصفة المتلقاة عن الرسول - ﷺ - ومن ثم فإن ملامح الإعجاز تتواري، فهو يبرز جمال القرآن الصوتي، وهو أساس تقويم اللسان، وهو كما يقول ابن الجزري: "حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صفته، وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، وإلى ذلك أشار النبي - ﷺ - بقوله: من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد" (١)، يعني عبد الله بن مسعود، وكان - ﷺ - قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى... (٢).

وقد بين عبد الله بن ذكوان الكيفية الصحيحة لتجويد القرآن فقال: "يجب على قارئ القرآن أن يقرأ بترتيل وترسل وتدبر وتفهم وخشوع وبكاء ودعاء وتحفظ وثبت، وأن يزين قراءته بلسانه ويحسنها بصوته، ويعرف مخارج الحروف في مواضعها، ويستعمل إظهار التنوين عند حروف الحلق إظهاراً وسطاً بلا تشديد، وإخراج الهمزة إخراجاً وسطاً حسناً، وتشديد المضاعف تشديداً وسطاً من غير إسراف ولا تعد، وتفخيم الكاف والراء والزاي والخاء والحاء والطاء بلا إفحاش ولا إسراف، وتصفية السين، وإظهار طنين النون عند الخاء، وإظهار الهاء وإخراجها من الصدر، وإدغام ما يحسن فيه الإدغام، وإظهار ما

(١) سنن ابن ماجه - ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - تح / محمد فؤاد عبد الباقي (فضل عبد الله بن مسعود) حديث رقم (١٣٨) / ٤٩ - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته - حديث رقم (٥٩٦١) / ٢ / ١٠٣٤.
(٢) النشر في القراءات العشر ١ / ٢١٢، ٢١٤ بتصرف.

يحسن فيه الإظهار".^(١) وقال ابن الجزري: "ليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقغير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشّدّ، ولا بتقطيع المد، ولا بتطين الغنّات، ولا بحصرمة الرّاءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتَمَجُّها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء".^(٢)

وللتلاوة الصحيحة ضوابط لا بد منها وأهمها:

١. إخراج كل حرف من مخرجه وتوفيته حقه: فأول ما يجب على مُريد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يُعْمَل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إِعْمَالاً يُصَيِّرُ ذلك له طبعاً وسليقة".^(٣)

٢. التمهّل والتؤدة في القراءة وألا يقرأ القرآن هذرمة أو بسرعة وأن يأتي به الإنسان معرباً فالواجب على الإنسان إذا قرأ القرآن أن يعربه بمعنى أن يفصح في ألفاظه ويبين حروفه ويخرجها إخراجاً صحيحاً، وألا يقرأ قراءة سريعة تلتبس فيها الحروف وتختلط فيها الكلمات فإن هذا لا ينبغي من الإنسان ولذلك جاء رجل إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - فقال: إني قرأت المفصل البارحة في ركعة قال: هزاً كهز الشعر أو نثراً كنثر الدقل؟ ثم أمره أن يقرأ القرآن بتؤدة وتمهّل وهكذا ورد ذلك عن ابن عباس وعن غيره من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبينوا أن قراءة آيات من القرآن ولو كانت قليلة مع التمهّل والتؤدة

(١) جمال القراء وكمال الإقراء ٥٢٦/٢ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢١٤ .

(٣) النشر في القراءات العشر ٢١٤ / ١ .

أفضل من قراءة القرآن كله بسرعة وهزيمة ويكفي في ذلك قول الله - ﷻ -: ﴿ وَقُرْآنًا
فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾^(١) فعلى القارئ أن يقرأ القرآن بتمهل
وتؤدة وأن يجتهد في ذلك، ليكون أوقع في قلب السامع.

٣. معرفة المدود بأنواعها المختلفة والغن والإدغام بنوعيه، والمراد بمد الصوت
هنا: رفع الصوت وإطالة المد بنداوة.^(٢) إذ كثيرا ما يستخدم المد في القرآن الكريم ليلئم
الجو العام ولينسجم مع الترنم والتطريب بقراءة القرآن لما يحدثه من إيقاع عذب مؤثر
في نفوس المستمعين.

٤. حسن الوقف ومعرفة أنواعه المختلفة: فعلم " الوقف والابتداء " علم عظيم
الأهمية لكل من يقرأ القرآن الكريم تعبدًا أو تعلمًا أو تعليمًا، ولذلك تنازع البحث فيه
علماء التفسير والقراءات والنحاة والبلاغيون، وظهرت فيه مؤلفات كثيرة. فموضوع
الوقف والابتداء من الموضوعات المهمة في علم تجويد القرآن الكريم؛ لأنه لا يتحقق
فهم كلام الله تعالى وإدراك معانيه إلا بذلك، فقد يقف القارئ قبل تمام المعنى ويبتدئ
بما بعد الموقوف عليه، فلا يفهم حينئذ ما يقرأ ولا يفهم السامع شيئًا، بل ربما يؤدي
وقفه إلى فهم غير المعنى المراد من الآية، وهذا أمر خطير لا تصح به القراءة؛ لذا حث
علمائنا على تعلم الوقف والابتداء، فقد سئل علي - ﷻ - عن قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ﴾ فقال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.^(٣) وقد عده الداني من الأمور التي لا
يتحصل التجويد لقراء القرآن الكريم إلا بمعرفته.^(٤)

(١) سورة الإسراء الآية : (١٠٦) .

(٢) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٣٤ .

(٣) النشر ١ / ٢٢٥ .

(٤) التحديد في الاتقان ص ١٧٦ .

ولأدل على أهمية معرفة الوقف والابتداء من أن في معرفته تبين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده، وبه يتهياً الغوص على درره وفرائده. ^(١) فالخطأ في الوقف يؤدي إلى فوات المعنى المراد من الآية وإن حقق جمالاً أدائياً، لأن كمال الإقراء يفوق جمال الأداء. ولأخطاء القراء في الوقف والابتداء أسباب كثيرة يمكننا إجمالها في نقاط هي :

١. الرغبة في الظهور بمظهر القارئ الطويل النفس فتجد القارئ حين وجود آية طويلة ينقطع نفسه فيضطر للوقوف في موضع لا يصح الوقوف عليه.

٢. أن كتب الوقف والابتداء وكتب القراءات عموماً لم تذكر لنا على سبيل الحصر مواضع الوقف في القرآن الكريم كله. ولم ينقل ذلك عن رسول الله - ﷺ - وصحابته إلا النزر اليسير.

٣. أن مواضع الوقف خاصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم النحو، لأن القراء الأوائل جميعاً كانوا من النحاة كأبي الأسود الدؤلي، وابن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي وغيرهم. وقد اجتهد هؤلاء في محاولة وضع قواعد عامة للوقف فقالوا مثلاً: " كل كلمة تعلقت بما بعدها - بحيث أصبح ما بعدها متمماً لمعناها - لا يوقف عليها " كالمضاف والمضاف إليه، والمنعوت دون نعته، والشرط دون جوابه، والمؤكد دون توكيده... إلخ. ومعلوم أن احتراف القراء في عصرنا الحاضر يعتمد على جمال الصوت وإتقان المقامات، ولا ينظر القارئون ولا من يختارونهم إلى علوم النحو ولا يولونها اهتماماً يذكر.

(١) جمال القراء وكمال الإقراء ٢ / ٥٥٣ .

٤. أن بعض القراء يحتال للوقوف متوهماً أن في هذا الموضع الذي يقف عليه إبداعاً وإعجازاً تبعاً لهوى نفسه، بلا نظر إلى الحكم الإعرابي النحوي.

ومن الأمثلة على الوقف الخطأ: قرأ قارئ معروف بجمال صوته آيات من سورة البقرة أعجبت جمهوره فصاح الجمهور وناح، فكررها وأعادها، ونقلها عنه مقلدوه حتى صارت من "تراث القراءة المعاصرة"!! وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ووصلها بما بعدها ووقف على قوله تعالى: (أياماً معدودات). وهذا وقف قبيح جداً، لأنه جعل الظرف الزماني (أياماً معدودات) متعلقاً بالفعل السابق له (تتقون) فيصبح المعنى أن الهدف من فرض الصوم هو اتقاء الله أياماً معدودات لا غير هي أيام رمضان.^(٢)

فهذا مثال للوقف الشنيع الذي يخرج بكتاب الله وآياته عن الفهم الصحيح الواجب لها. ولو اكتفى القارئ بالوقوف على رأس الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣) لكفى وشفى، لكنها الرغبة الزميمة في إظهار طول النفس، وفتنة الخنوع بما يظهره الغوغاء من الإعجاب والتصايح والتواجد. وصدق الله تعالى حين وصف جهلاء مكة وعبادتهم الزائفة فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٤)

(١) سورة البقرة آية: (١٨٣).

(٢) مآخذ على مواضع في الوقف عند بعض القراء - د / مصطفى رجب نقلاً عن: أرشيف ملتقى أهل الحديث ص ١٠٣ وما بعدها

(٣) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٣٤.

(٤) سورة الأنفال آية: (٣٥).

فعلى القارئ أن يتذوق تمام المعنى حين يتلو كتاب الله تعالى، فلا يقف إلا حين يجد المعنى قد تم. وتمام المعنى إنما يكون باستغناء الكلام بعضه عن بعض. وما لم يتحرر القارئ ذلك، فقد يقع في إثم عظيم، كما لو قرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١) فوقف بعد قوله تعالى: (وما أرسلناك) فيكون هذا الوقف نافياً لنبوة النبي - ﷺ - كذلك لو وقف على كلمة المصلين من قوله تعالى: ﴿قَوِّلْ لِلْمُصَلِّينَ﴾^(٢) مع أنها رأس آية، إلا أن ما بعدها مكمل لمعناها، والأصل أن الصلاة صفة مدح، وإنما خرجت هنا عن المدح لما ورد من أوصاف بعدها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. وكذلك لو رغب قارئ في إظهار طول نفسه قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣) فوقف هكذا (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا) فإنه بذلك يكون قد ساوى في المغفرة بين من انتهى عن المعصية ومن عاد إلى ارتكابها وهذا يخرج بالنظم القرآني عن أصل معناه وإنما الواجب عليه أن يقف على كلمة (سلف)، ثم يبدأ تلاوته.

فالواجب الشرعي في التجويد هو ما أجمع عليه القراء كالإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وترك المد فيما أجمع على قصره وترك القصر فيما أجمع على مده وغير ذلك، مع أن الواجب من المد هو القدر المجمع عليه مما ليس فيه خلاف، وتزيين القراءة بحيث تختلف عن سجية معتاد الكلام حال التلاوة، فهذا هو الواجب الشرعي؛ إذ يمثل الترتيل المأمور به.^(٤) ولا بد في ذلك من التلقي والمشافهة، والقراء هم المعتمد الأول في نطق

(١) سورة الإسراء آية: (١٠٥).

(٢) سورة الماعون آية: (٤).

(٣) سورة الأنفال الآية: (٣٨).

(٤) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٤١.

القرآن الكريم، وهذا ما عليه اعتقاد المسلمين قاطبة قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(١).

إن الأداء الصحيح للقرآن الكريم من أبلغ وسائل الدلالة الصوتية تعبيراً عن جو المراد، فضلاً عما يحدثه الأداء التجويدي من إيقاع عذب وتركيب منسجم. "فكثيراً ما تجد اتساع مساحة المد في جملة واحدة فيشعرك هذا بمعنى سائد في السياق، وكثيراً ما تجد تكثيف الإدغام والغن مما يشعرك هذا بمعنى آخر في سياق آخر. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٢) فعند قراءة الآية الكريمة قراءة تجويدية صحيحة ينبغي أن يستوفي المد حقه حيث تشتمل الآية الكريمة على أربع كلمات يشيع فيها المد الناشئ عن وجود الهمزة بعده في صلب الكلمة وينبغي مد الصوت بحرف المد قبل الهمزة مداً يتسع ويزيد مع حرف اللين في (هؤلاء) وفي (عطاء) ويترتب على انتشار هذا المد وتواليه باتساع عطاء الله وأنه لا ينفد على الرغم من اتساع الخلق وكثرتهم مؤمنين وكافرين^(٣).

والقراء في مجموعهم وعلى مدى تاريخهم يلتزمون قواعد الأداء والتجويد حين يتنغمون بأي القرآن. ومن يترخص منهم في هذا الالتزام ولو قليلاً يسقط قدره بين القراء والمستمعين على السواء. لذا فهم "يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم من يعلمه رواية وقياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً فذلك

(١) سورة النمل الآية (٦).

(٢) سورة الإسراء الآية رقم (٢٠).

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ص ٦٧ ، ٦٨ بتصرف .

الوهن الضعيف، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف إذ لم يكن على أصل ولا

نقل عن فهم^(١). يقول ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا وهكذا إلينا منه وصلا

وهو أيضا حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة^(٢)

ب) - المهارة بقراءة القرآن الكريم :

الماهر: الحاذق، وأصل المهارة الحذق بالسباحة ونحوها. والمراد بالمهارة بالقرآن: جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة. فالماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به، والجهر به بصوت مطرب بحيث يلتذ سامعه^(٣). وقيل هو: "الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه"^(٤). فالماهر - إذن - من اجتمع فيه شرطان هما: جودة الحفظ، وإتقان الأداء؛ لذا قيل: الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعز من الكبريت الأحمر.

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد - د / غانم قدوري الحمد ص ٦٢ .

(٢) طيبة النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - تح / محمد تميم الزغبى ص ٣٦ - دار الهدى / جدة - ط / أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥١٩ / ١٣ .

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - النووي ٨٤ / ٦ .

وثواب الماهر أن يكون مع الملائكة أو الرسل فعن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ -: " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقّ وفي لفظ: والذي يقرأ وهو يشتدّ عليه له أجران " (١). يقول الشيخ علي السويسي: ' إن القارئ الماهر يجعل المستمع أقرب إلى القرآن ". وكذا أكد الشيخ الحصري - رحمه الله - علي أن: ' القارئ يحتاج الي موهبة وصوت، ليأتي بألوان مختلفة للمعاني المختلفة، وليس بوسع كل إنسان أن يفعل هذا ' (٢).

فقارئ القرآن بالإضافة إلى الصوت الحسن يحتاج إلى مجموعة من المهارات الصوتية التي تساعد على إظهار التلاوة بصورة أجمل وأرقى. كما أن بعض هذه المهارات تساعد على تبين المعاني بشكل أفضل وأجمل. ومن هذه المهارات الصوتية ما يلي:

١. القراءة بتمهل وتدبر وفهم للمعنى المراد من الآية فالله - تبارك وتعالى - يقول: " وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً " أي: اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه: قالت عائشة - رضي الله عنها -: كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها... (٣)

٢. إطالة النفس: لابد من مراعاة طول نفس القارئ مع تحديد مواضع الوقف لالتقاط النفس في راحة دون معاناة. (٤) فالإنسان عندما يبدأ يتنفس، يجد الخفة والسرور والنشاط ثم ينقطع النفس شيئاً فشيئاً حتى ينقطع كلياً، ويضطر الإنسان إلى أخذ

(١) السابق نفسه، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - حافظ بن أحمد بن علي الحكمي - نج / عمر بن محمود أبو عمر ٢٩٢/١ - دار ابن القيم / الدمام - ط / أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(٢) شرح كتاب العلوم الجليلة في الوصول إلى المقامات الصوتية ص ٤ ، ٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ٢٦١/٨ .

(٤) اللغة العربية أداء ونطقاً وإملاء وكتابة ص ٩١ .

النفس الجديد. إن هذا الامتداد الخاص للنفس الإنساني لا يمكن أن يحد بحد معين معلوم، بل هو محدد بحد مبهم، ومقدر بمقدار مضطرب بين أفراد البشر... وعلى كل فإن الله - ﷻ - قد اعتبر هذا الامتداد للنفس (في حده المشترك الوسط) هو الوزن في كتابه الكريم، وقسمه ثلاثة أقسام: الطويل، والمتوسط، والقصير.^(١) وترتبط هذه الإطالة بعوامل عدة تساعد على وجودها ومن أهمها:

- العطية الإلهية: فلا شك أن القراء يختلفون من حيث حناجرهم وتركيبية أجسامهم، فبعض القراء من الله عليهم بنفس طويل، والبعض بنفس متوسط، أو قصير. وهذا الأمر ليس للقارئ فيه من خيار، ولكن عليه التدريب الجيد على إطالة النفس بالقراءة.

- صحة الجهاز التنفسي: لصحة الجهاز التنفسي دور كبير في طول النفس، لذلك على القارئ أن يهتم بالجانب الصحي، وأن يتجنب ما يضر الجهاز التنفسي كاستنشاق الغبار والتدخين. وإذا لاحظ القارئ أنه يعاني من كثرة البلغم أو الكحة أو الزكام الدائم أو غيرها فيجب عليه ألا يستهين بها؛ لأنها عوامل تؤثر على الصوت وطول النفس كثيراً.

- إتقان التجويد: لابد للقارئ الجيد المهار في تلاوة القرآن الكريم تلاوة جيدة أن يلم بقواعد التجويد حتى يمتلك مهارات التلاوة. وخاصة إتقان مخارج الحروف وصفاتها. فمثلاً حروف الجهر لا يجري فيها النفس، ولذلك يمكن توفير النفس عند النطق بها. وكذلك الغنة، فأغلب الناس يغنون كل الحروف نتيجة لارتخاء الجيوب الأنفية، والغنة

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير - الإمام / أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ "ولي الله الدهلوي" - عَرَبَهُ من الفارسية / سلمان الحسيني الندوي ص ١٥٢ - دار الصحوة / القاهرة - ط / ثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.

تستهلك الكثير من النفس، والتخلص منها يحتاج إلى تدريب كثير ولكنه يؤثر كثيراً على طول النفس.

• التنفس بطريقة صحيحة: ويتحقق ذلك بأخذ النفس عن طريق الأنف وإخراجه عن طريق الفم. ولكن أغلب الناس يستخدم فمه للشهيق والزفير معاً نتيجة التعود الخاطئ، ولذلك يجب أن يعود القارئ نفسه على التنفس السليم. وذلك بتعويد القارئ نفسه على أخذ النفس بطريقة سليمة أثناء التلاوة أي عن طريق الأنف، مع المحافظة على استقامة الظهر، أي عدم القراءة بظهر منحني؛ لأن ذلك يضغط على الرئة ولا يسمح بسحب كمية كبيرة من الهواء يساعد على طول النفس. ويفضل تعويد النفس على أخذ كمية كبيرة من الهواء حتى حين تلاوة المقاطع القصيرة لكي تصبح عادة دائمة ولعدم الوقوع في أي مأزق أثناء التلاوة. ومن الخطأ الشائع الذي يقع فيه أكثر القراء بل أغلب الناس الذين يقرؤون القرآن عامة هو التنفس والقراءة من الرئتين، وهذا مما يؤدي إلى انقطاع النفس أو الغصة أحياناً أو الخنقة التي تحدث لبعضهم. وبالتأكيد هذا الفعل سيرهق الحنجرة ويتعبها، والأصح هو القراءة وإخراج الهواء من المعدة وليس من الرئتين؛ لأن إخراج الهواء من المعدة أيسر للحنجرة على تأدية وظيفتها؛ وأطول للنفس أيضاً، فلا يكون فيه انقطاع أو خنقة أو غيرها.

• ممارسة الرياضة: تساعد الرياضة وخاصة رياضة الجري والسباحة كثيراً في تحسين التنفس وزيادة اتساع الرئة. ومن المهم التنفس بشكل صحيح أثناء ممارسة الرياضة للحصول على الفوائد المرجوة.

• الاقتصاد حين صرف النفس: يتوجب على القارئ أن يقتصد قدر الإمكان حين التلاوة، فيحاول أن يعطي الحرف حقه دون زيادة أو نقصان... ويمكن للقارئ المتمكن أن

يتكلم دون أن يتنفس. وبهذا يستهلك أغلب الهواء في النطق لا في التنفس فيتحدث لفترة أطول.

• النوم الجيد والكافي قبل التلاوة: يعتبر النوم من أهم العوامل في إطالة النفس، فإن النوم له أثر كبير على الصوت بشكل عام وعلى أغلب المهارات الصوتية بشكل خاص.

• التلاوة بطبقة مناسبة: لطبقة الصوت دور كبير في طول النفس، فإن التلاوة بطبقة مرتفعة جداً - (غير متناسبة مع مقدرة القارئ) - تساهم بشكل كبير في تقصير النفس واستهلاكه، والأمر نفسه ينطبق على التلاوة بطبقة منخفضة جداً.

• التدريب المتدرج على الآيات الطويلة: محاولة التدرج في التلاوة تساهم في تنمية النفس والاستفادة من كل ما سبق، بحيث يحدد القارئ لنفسه كلمة يتوقف عندها وبعد ذلك يزيد المقطع كلمة أخرى وهكذا^(١).

وعلى هذا يكون طول نفس القارئ أحد العوامل الرئيسة في جمال الأداء؛ لما يحققه من ترنم وتفاعل بين القارئ والمستمع. وقد ذكرنا من قبل أن للعوامل الفسيولوجية دوراً رئيساً في طول النفس وأن كبر حجم الرئة يكون سبباً في قصر النفس، لكن ذكرنا أيضاً أن إطالة النفس قد يكون صفة مكتسبة، وهذا لا يتحقق إلا بفعل العوامل السابقة مع التدريب والتمرين على قراءة مثل هذه الآيات.

(١) انظر: مقال في النت عن طول النفس .

ج :- التلوين الصوتي ودوره في جمال الأداء القرآني :

يساعد التلوين الصوتي الذي يحدثه القارئ في تلاوته لآي الذكر الحكيم على تنويع النغمات الأدائية، الأمر الذي يجعل المستمع مشدوهاً ومنتبهاً لجمال الأداء ومتأملاً لما يتضمنه من فكر وما يحويه من معانٍ لا تبين إلا بها، ومن أهم هذه التلويينات الصوتية:

١. القراءات القرآنية ودورها في جمال الأداء :

اشتهرت القراءة في الأمصار اشتهاً عظيماً، وصار كل إمام يقرأ بما سمع، وكل يقرأ بما سمع، على أساس أنه مشتمل بالإذن النبوي الكريم في الإلقاء بالأحرف السبعة... وقد بدأ الأئمة في مطلع القرن الثالث بتحديد القراءة المقبولة من القراءة المردودة، ولا تحسب أن الأمر قبل ذلك كان على عواهنه، بل كانت الأئمة تميز بسلاقتها المقبول من المردود من القراءات، وتعتمد لذلك اعتبارات كثيرة، منها منزلة الإمام المقرئ، والتزامه بالعربية فيما يقرأ فيه، وموافقته للرسم، وغير ذلك. ثم اتفقت الأمة على شروط ثلاثة أصبحت ضابطاً دقيقاً في قبول القراءات وردّها. ^(١) وليس للأئمة القراء أدنى اجتهاد أو تحكم في نص القراءة المقبولة، بل إن مهمتهم تنحصر في ضبط الرواية وتوثيق النقل، وكان غاية ما فعله هؤلاء الأئمة أن تخصص كل واحد منهم بنوع من أنواع القراءة التي سمعها عن أصحاب النبي - ﷺ - كما نقلوها عنه - ﷺ - وخدمها، وتفرغ لإقراءها وتلقيها، فنسبت إليه لا على سبيل أنه أنشأها وابتكرها؛ بل على سبيل أنه قرأ بها وأقرأ عليها، وإلا فالمنشأ واحد وهو المصطفى - ﷺ - عن الروح الأمين عن رب العالمين، وهذه القضية محل إجماع من علماء الأمة قاطبة.

(١) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية - محمد حبش ص ٦١ - دار

الفكر / دمشق - ط ١ / أول ١٤١٩ / ١٩٩٩

وهذه القراءات نجد الاختلاف فيها - مع أنها تنتهي جميعها إلى المورد العذب، والمنهل السائغ وهو تلاوة النبي - ﷺ - التي تلقّاها عن ربه - ليس اختلاف تضاد في المعاني، أو اختلاف تباين في الألفاظ. (١)

وقد نصّ ابن الطحان الأندلسي الإشبيلي (ت ٥٦١ هـ) على أن الأصول الدائرة في القراءة على اختلاف القراءات عشرون أصلاً يحققها الإقراء ويحكمها الأداء وهي: "البسمة، والتسمية، والمد، واللين، والمط، والقصر، والاعتبار، والتمكين، والإشباع، والإدغام، والإظهار، والبيان، والإخفاء، والقلب، والتسهيل، والتخفيف، والتثقيل، والتميم، والتشديد، والنقل، والتحقيق، والفتح، والفُغْرُ، والإرسال، والإمالة، والبطح، والإضجاع، والتغليظ، والتفخيم والترقيق، والروم، والإشمام، والاختلاس". والمتأمل في كلام ابن الطحان يجد أصول أبحاث علم التجويد داخلية في أصول علم القراءات مثل: المد، واللين، والإخفاء، والقلب، والإظهار والإدغام، والتفخيم والترقيق.... والخ. (٢)

إن هذه القراءات تنتهي إلى أنها من ترتيل القرآن الذي رتلّه الله - ﷻ - وتفضّل بنسبته إلى ذاته الكريمة العلية، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ فهي الأصوات القرآنية التي أثرت واتبعتها عن النبي - ﷺ - فهي في مدّها وغلّها، وإهمال همزاتها، وإمالتها وإقامتها، أصوات القرآن المأثورة؛ إذ إن القراءة سُنّة متبعة، وإن اختلاف القراءات الصحيحة وكلها متواترة عن الصحابة الذين أقرأهم النبي - ﷺ - وأعلمهم طرق الأداء التي تعلمها عن ربه، كما يشير إلى ذلك ما تلونا من قبل، وهو قوله

(١) المعجزة الكبرى القرآن - محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ص ٣٧ - دار الفكر العربي .

(٢) أرشيف ملتقى أهل التفسير ٢ ص ٣٥٧٩ .

تعالى: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. (١)

وقد عرفوا القراءات بأنها: "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد، وغيرها". (٢) وقيل هي: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً إلى ناقله". (٣)

أما عن أثر القراءات القرآنية في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم، فالقراءات القرآنية المتواترة بكل ما تحويه من ثراء لغوي وبلاغي، وما ترتب عليها من أحكام فقهية وتشريعية لها دور بالغ ومؤثر في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم، يدرك ذلك من يستمع إلى قراءة الآيات بالاعتماد على قراءة واحدة تارة، وقراءتها من القارئ الواحد بالقراءات المتعددة الوجوه تارة ثانية. فتأمل ولاحظ الفرق بين قراءة الشيخ عبدالباسط لسورة الضحى بالإمالة الصغرى، وقراءته لها من غير إمالة فيبرز لك هذا الأثر واضحاً جلياً. كما تأمل جيداً لجمال أداء الشيخ مصطفى إسماعيل - رحمه الله - في آخر سورة الفجر وكيف كانت القراءات القرآنية بتنوعاتها المختلفة التي قرأ بها الآيات عاملاً مؤثراً في جمال الأداء ؛ لذا طالب محمد بن جرير الطبري القراء "أن يتحرروا أفصح القراءات وأعذبها وأثبتها، وإن كانت الأخرى جائزة غير مردودة". (٤)

(١) سورة القيامة الآيات : (١٦ - ١٩)، والمعجزة الكبرى القرآن ص ٣٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٨.

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - أحمد بن محمد شهاب الدين الشهير بالبناء - تح / أنس مهرة ٦ / ١ - دار الكتب العلمية / لبنان - ط / الثالثة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن - الطبري - تح / أحمد محمد شاكر ٥٥٢ / ٢٢ - مؤسسة الرسالة - ط / أولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

فالقراءات القرآنية هي في مجملها تلوين صوتي مناسب وملائم وهذا ما وضحه أحد الباحثين المحدثين في قوله: "إن مثل القراءات والقرآن الكريم كمثل التنويعات على لحن عبقرى خالد، منها ما تلقى القبول فشاع وذاع وأقبل عليها أهل الأمصار، ومنها ما لم يحظ بالقبول فلقبه الناس بالشاذ وهجروه وانصرفوا عنه. ولم يكن الهوى هو المقياس الذي شاع عند الناس لقبول قراءة والإعراض عن أخرى، ولكن جاء مقياسهم توليفة عبقرية من الأركان والشروط عبرت بصدق عن المنهج الإسلامي الخالص..... واللحن الأساسي في القراءات كان رسم الكلمات في المصحف العثماني الإمام خالياً من الضبط والنقط والإعجام. أما التنويعات على هذا اللحن الأساس فكانت القراءات، فما وافق منها رسم المصحف كان قراءة قرآنية وإلا فهو شاذ، وما وافق العربية الفصيحة السائغة كان قراءة قرآنية، وما أتى بلهجة هابطة فهو شاذ، وما جاء منها رواية صحيحة فهو قراءة قرآنية، وما لم يأت بالرواية فهو ليس بقراءة ولا بقرآن... فجاءت عبقرية القرآن شاهداً على عبقرية القراءات والقراء معاً"^(١)

فمن تعدد القراءة الواحدة تنشأ ألوان أو صيغ من التلوينات الصوتية المتناسقة مع كل طريقة فيها ضمن القراءة الواحدة. ومن تعدد القراءات يأخذ التلوين الأدائي طرائق متعددة يختلف حسب اختصاص كل قراءة وأدائها على الوجه المحفوظ الثابت. ويصح علمياً أن تؤدي آية واحدة بالألوان من الأداء المشروع الملتزم، ثم الآية الثانية، فالثالثة، وهكذا إلى نهاية النص أو السورة حتى تكتمل لدينا جمل صوتية وافرة بمقاديرها وحدودها تعبر عن تناسق في هذه الألوان والصيغ في عدد ضخم من الهيئات الأدائية الرائعة... فالتكوين الجرسى الذي ينشأ من تعدد القراءات المتواترة بين خطف المد، ومد

(١) إعجاز القراءات القرآنية - د / صبري الأشوح - مكتبة وهبة / القاهرة - ط / أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

المخطوف، وتغيير في بنية اللفظة من المفرد إلى الجمع، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن إيراد اللفظة على وجوه صحيحة أخرى، يزيد في غنى هذه الأشكال والأساليب الصوتية إلى المستويات الشاملة لجرس إيقاعي لا يعرف له نظير في الشعر والنثر معاً.^(١)

فالقارئ بالقراءات القرآنية المتواترة يضيف على القرآن الكريم جماليات صوتية يصعب تحديدها. ^(٢) كما أن للقراءات القرآنية في ترتيل القرآن فوائد جمالية أخرى غير ما سبق أهمها: "أن القراءات هي ترتيل القرآن الذي علمنا الله إياه على لسان نبيه - ﷺ - إذ علمه ربه، ونسب الترتيل إلى ذاته العلية، فقال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، وأمر نبيه بهذا الترتيل هو ومن اتبعه، فقال تعالت كلماته: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ فكانت القراءات التي نزل بها القرآن هي تصريف ذلك الترتيل وتنويعه، وكما أن المعاني القرآنية صرفها الله - تعالى - من الاستفهام إلى التقرير، ومن الاستنكار والتوبيخ إلى التهذيب والتأديب، وكما صرف الله آياته كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. ^(٣) فقد صرف تلاوته وترتيله، فكان الترتيل في التأليف الصوتي، والتناسق في النطق، وتنوع ذلك التناسق من ارتفاع ومد طويل إلى خفض ومد قصير - ونحوه - ما يجعل القارئ في ذلك التنوع - (وذلك التلوين الصوتي) - يترنم بالقرآن في إجلاله وروعة بيانه ودقة معانيه.

وأمر ثانٍ يبدو في تنويع القراءات مع ثبوت تواترها، وأنها عن الله العلي القدير، نجد أن اختيار قراءة من القراءات في المقام الذي تناسبه يكون توضيحاً للمعنى، ومناسباً

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم - نذير حمدان ٢٠٢، ٢٠٣ - دار المنيرة - جدة / السعودية -

ط / أولى ١٤١٢ / ١٩٩١م.

(٢) السابق ص ٤٣٤.

(٣) سورة الأنعام الآية : (١٠٥) .

للمؤدّي، فمثلاً قراءة الإمالة تكون في الوضع اللين والخطاب الرقيق، ويتركها القارئ الفاهم في موضع التهديد والإنذار إلى قراءة أخرى تناسب التهديد والإنذار الشديد. فمثلاً في سورة الحاقة لا يعتمد المرتل المدرك إلى اللين في الوقوف على التاء؛ لأنه لا يتناسب مع موضوع التهديد الذي اشتملت عليه السورة كلها، وقد نبّهنا بعض القراء الذي كان يختار اللين، فتنبّه، وما عاود أمامنا ما كان يفعل.

وأمر ثالث في تعدد القراءات فوق ما فيها من مراعاة مقتضى المعاني، وفوق ما فيها من ترتيب... ذلك الأمر أن تنوع القراءات فيه تسهيل على القارئ العربي، فقد تصعب عليه قراءة؛ إذ لا تطاوعها طبيعته أو سليقته اللغوية.^(١)

٢- الإيقاع في الأداء القرآني ودوره في جمال الأداء :

للإيقاع في الأداء القرآني جمال مؤثر في نفس المستمع، فلا تخلو آية من آياته منه، فكلما قرأت آياته ازدادت عذوبة في فمك، وحلاوة في ذهنك، وليس الأمر قاصراً على آية دون أخرى بل إنه يشمل أدق التفاصيل في الآية الواحدة .

فالقرآن الكريم يمتاز في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد فيه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام بأسلوب إيقاعي مؤثر.^(٢) وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه؛ يبرز بروزاً واضحاً في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة؛ ويتوارى قليلاً أو

(١) المعجزة الكبرى القرآن ص ٤٢.

(٢) مباحث في علوم القرآن - د / صبحي الصالح ص ٣٣٤ - دار العلم للملايين - الطبعة (٢٤)، ٢٠٠٠م.

كثيراً في السور الطوال، حتى تنفرد الدقة في آيات التشريع. ولكنه - على كل حال - ملحوظ دائماً في بناء النظم القرآني.^(١)

وهذا الإيقاع لا يمكن أن تجده في غيره من الكلام يقول أحد الباحثين المحدثين: "من الأدلة القوية القريبة الباهرة القاهرة على أن القرآن الكريم إيقاعه الذي لا يمكن أن تجده في غيره من الكلام، وإن كان كلام نبيٍّ مرسل أن تعمد إلى أي بيان غير القرآن الكريم، وتطلب ممن تراه الإمام في أصول التغمي - (أي في حسن الأداء) - بالبيان القرآني أن يتغمي بذلك البيان غير القرآني على أصول التغمي بالبيان القرآني، وإن كان حديثاً نبوياً بل وإن كان حديثاً قدسياً، فإنه لا محالة عاجز عن أن يفعل، وإن حمل على نفسه وقسرهما على أن تتكلف بان عواره وشناره، وبدا منه ما يضحك".^(٢)

وقد أبان عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) عن أن الطلاوة والظرف والحسن والحلاوة والأريحية والنشوة إنما يأتيك من مواقع الألفاظ واختيارها واختيار هيأتها، وما الطلاوة والحلاوة إلا من حسن إيقاع الكلام، ودلل على ذلك بذكر نماذج عدة من القرآن الكريم.^(٣)

والقرآن الكريم وإن كان يسير على سنن العربية وأساليبها في التعبير، إلا أن أدائه عن طريق القارئ المجود المتقن يتميز بالإيقاع المعجز، والجرس اللافت للنظر. وهذا الإيقاع يحدث بالإفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات لإحداث التوافق الصوتي بين مجموعة من الحركات والسكنات لتأدية وظيفة سمعية والتأثير في المستمع. ويأتي

(١) التصوير الفني في القرآن - الشيخ / سيد قطب ص ١٠٣ - دار الشروق / مصر - ط / رابعة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

(٢) العزف على أنوار الذكر ص ٢١٦.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٩٩ وما بعدها.

هذا الإيقاع من اختيار الكلمات من حيث كونها تعبر عن قيمة التأثير الذي تحدثه وظيفة الكلمة في مدلولها الإيقاعي، فهو إحداث استجابة ذوقية تمتع الحواس وتثير الانفعالات. (١)

والإيقاع في الأداء القرآني صورة للتناسق الصوتي، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه، وآية من آيات الإعجاز الذي يتجلى في أسلوبه المتميز. إذ يحوي الأداء القرآني إيقاعاً صوتياً متعدد الأنواع مؤثراً ومتناغماً مع المضمون إذا استطاع القارئ تأديته كما ينبغي، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق التلقي والمشاهدة والتدريب على طريق الأداء المناسبة لمضمون الآية فيشعر المستمع بعذوبة وجمال الأداء وما أفاده من دلالة لا تستفاد إلا من خلال هذه الطرق الأدائية المتميزة كما في الاستفهام الوارد في القرآن الكريم من دون أداة، أو الاستفهام التقريري أو الإنكاري ولكليهما طريقة أدائية مختلفة لا يتحقق الغرض من دونها. فالجملة التقريرية: الإثبات، والنفي، والشرط، والدعاء تنتهي بنغمة هابطة. كذلك الأمر بالنسبة للجملة الاستفهامية بغير الأدوات (هل والهمزة). أما الاستفهام بهاتين الأدوات فإن الجملة الاستفهامية تنتهي بنغمة صاعدة. لكن إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى وقف على نغمة مسطحة (ـ) لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة (٢).

بل إن ألفاظ الاستفهام في القرآن الكريم تستعمل كثيراً في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام. فيقع الاستفهام بمعنى: الإنكار، والتمني، والتقرير، والتعظيم، والتحقيق، والاستبطاء، والاستبعاد، والاستخفاف، والتبكي، والتهكم... وغيرها من المعاني التي جاوزت اثنين وثلاثين مقصداً عند بعض البلاغيين.

(١) أثر التلوين الصوتي في البلاغة القرآنية - د / أسامة عبد العزيز جاب الله ص ٢٥ بتصرف.

(٢) السابق ص ٢٠.

وكل هذه المعاني تحمل شحنات نفسية مختلفة في نوعها وفي مستوى حدتها ورد الفعل تجاهها، وذلك حسب ما يقتضيه المقام.^(١) ولكل غرض من هذه الأغراض طريقة أدائية ذات تنغيم خاص وإيقاع معين يؤديه القارئ ويفهمه المستمع، فالتنغيم هو الذي يلون الكلام من خبر إلى استفهام أو تأكيد أو انفعال أو تعجب أو تهكم أو إنكار، وعدم انتظام إيقاع الكلام وكثرة تغير نبرات الصوت يعد عيباً مخللاً بجمال الأداء.

وكذا يظهر دور الإيقاع وأهميته في الآيات التي يمكن أن تؤدي دلالات متعددة تبعاً لطريقة الأداء على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ * ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾^(٢)، فالتنغيم في الجزء الثاني من الآية يُعَدُّ محورياً رئيساً في تحديد التركيب؛ وذلك لما يمكن أن يفيد من دلالات عدة في الكلام. حيث يمكن للقارئ أن يقرأ: جملة (قالوا جزاؤه) بنغمة الاستفهام، أي: ما جزاؤه؟، وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) على التقرير جملة واحدة. ويقرأ على التعجب والاستهجان (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه). ويقرأ على التبرم والانزعاج (من وجد في رحله فهو جزاؤه). وهكذا في تقلبيات تنغيمية في سياق الآية دون المساس بالأصل الدلالي، بل يتم التنويع في إطار هذا الأصل ودون العدول عنه.^(٣) فهو

(١) السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام (دراسة لغوية تحليلية نفسية) – علي محمد نور المدني – مجلة جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية مجلد (١٧) العدد (١) ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

(٢) سورة يوسف : الآيتان رقم (٧٤ ، ٧٥) .

(٣) أثر التلوين الصوتي في البلاغة القرآنية ص ٢٤ .

كامن في نسيج اللفظة المفردة، وتركيب الجملة الواحدة، وهويدرك بحاسة خفية، وهبة لinnie".^(١)

وبذلك يكون عنصر التنعيم ركناً أساساً في الأداء يتحكم على نحو واضح في تحديد المعنى وتوجيهه اعتماداً على كيفية أداء الجملة وتنعيمها، إذ إن (تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات) إذ هو يضي على التراكيب المنطوقة معاني إضافية لا يمكن الوصول إليها بمجرد معرفة معاني مفردات هذا التركيب أو ذاك، ولا تفهم غالباً من تركيب الجملة المكتوبة.^(٢)

كما يتسم السجع القرآني عند القائلين به وهم البلاغيون بكونه بنية بديعية إيقاعية، يركز إيقاعها على التكرار الصوتي المنتظم.^(٣)

كما يساعد الجناس على جمال الإيقاع فهو من الحلى اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة فتجد من النفس القبول وتتأثر به أي تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع... فالنقاد يرون في الجناس - كأى محسن بديعي - جمالاً موسيقياً يطرب الأذن، إلا أنهم يرون أن يكون كالحلي، يروق منه القليل الذي يأتي في الكلام إذا استدعاه المعنى. ففي كثرته تكلف غير محمود".^(٤) وقد ورد هذا الجناس في

(١) التصوير الفني في القرآن ص ١٠٦.

(٢) أثر التنعيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام نموذجاً) - د / مزاحم مطر حسين - مجلة القادسية في الآداب والعلوم التريوية - العددان (٣، ٤) - المجلد (٦) ٤٠٠ - ٢٠٠٧ م.

(٣) السجع القرآني دراسة أسلوبية - ماجستير بكلية الآداب عين شمس - الباحثة / هدى عطية عبد الغفار ص ٩٢ سنة ٢٠٠١ م.

(٤) البديع في ضوء أساليب القرآن - د / عبد الفتاح لاشين ١٥٨ : ١٦١ بتصرف - دار الفكر العربي / القاهرة ١٩٩٩ / ٥١٤١٩ م.

القرآن الكريم فكان له إيقاع جميل ومؤثر في نفس المستمع ومنه على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾.^(١) فما أروع أداء الشيخ عبدالباسط لهذه الآيات في قراءته المجودة، حيث تصور حالة احتضار الكفار ذوي الوجوه الباسرة خير تصوير، وتجعل المستمع مشدوهاً بجمال الأداء وكأنه يشاهد هذه الحالة. وكذا أدائه للآيات التالية لها والتي توضح الأسباب التي تجعل وجوه الكافرين يوم لقاء ربهم على هذه الهيئة الباسرة، خلافاً لوجوه المؤمنين النضرة بنظرتها إلى ربها ﷻ.

وللفاصلة القرآنية دور رئيس وبارز ومؤثر في جمال الأداء وفي حسن الإيقاع إذ هي عنصر أساس من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى، وتتمام التوافق الصوتي في آن واحد. لكن فضلنا أن ندرس أثرها في جمال الأداء بعيداً عن الإيقاع؛ لارتباطها من حيث تكوينها الصوتي بلغة القرآن الكريم أكثر من ارتباطها بأداء القارئ.

وبعد الوقف – أيضاً – دعامة أساسية تسهم في إبراز الجمالية الإيقاعية للسجع؛ ذلك أنه يكفل لخاصية التوازن والتعادل الظهور من خلال ما يحدثه من جرس موحد ناتج عن مجئ التماثل الصوتي بين أحرف الروي مصحوباً بتماثل في الحركات النطقية.^(٢)

كما يعد التزمين – وهو السرعة التي يقرأ بها القرآن الكريم وهي ما بين التحقيق والترتيل والتدوير والحد – لوناً مهماً من ألوان الإيقاع ورافداً من روافده المتعددة؛ لما له من أثر في إيصال إحساس المتكلم وانفعالاته أو الحالة النفسية المصاحبة للنص

(١) سورة القيامة الآيات من (٢٦) إلى (٣٠).

(٢) السجع القرآني دراسة أسلوبية ص ١٣٩.

المستمع، وإفهامه المعنى المطلوب. كما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَيِّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(١) فقد صورت لنا الآية الكريمة الحالة النفسية التي كن عليها نبي الله يعقوب - ~~عليه السلام~~ - بعد ما فقد ابنه يوسف أحب أبنائه إليه، كما صورت شدة حزنه وحسرتة على فقدة فلذة كبده، وقد تم التعبير عن ذلك كله بتزمين طويل، فكلمة (تولى) فيها مد طبيعي يستغرق زمناً مقداره حركتان كما يسميه علماء التجويد، وكذلك الفعل (قال)، ثم (يا أسفى) هذا المد المنفصل الذي يؤديه التالي للآية بنبرة طويلة توحى بهذه الحالة النفسية الأليمة، ثم كلمة (عيناه) بالمد الطبيعي، وأخيراً كلمة (كظيم) بالمد العارض للسكون، فنلاحظ أن سرعة المقطع كانت بطيئة لتعبر عن المعنى المراد بخلاف قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ* وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾^(٢) فإن تلاحق الآيات بسرعة يوحي بخطورة الموقف وهو اقتراب الساعة وبإله من هول يستلزم السرعة.^(٣)

فالقارئ الجيد الفاهم لما يقرئ أو العارف بمضمون الآي يستخدم في تلاوته لآي الذكر الحكيم الإيقاع المناسب لأجواء كل سورة من سورهِ سرعة أو بطئاً، وهذا التنويع يتناسب مع معاني الآيات ومضامينها، فالإيقاع الذي يطلق في جواد الدعاء والضراعة والخشوع والحزن كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٤) إيقاع بطيء متموج رخي مناسب

(١) سورة يوسف الآية : (٨٤) .

(٢) سورة القمر الآيات : (٣٠، ٢٠، ١) .

(٣) الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى ص ٧٥، ٧٦ .

(٤) سورة إبراهيم الآية : (٣٨) .

لمضمون الآيات. أما قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾^(١) فينبغي أن يكون الإيقاع فيها طويلاً وعميقاً يساعد على تصوير مشهد الطوفان وما فيه من هلع وفزع. وتساعد الممدات المتوالية على إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق. فالإيقاع بما له من دور مهم في رسم الجو الخاص الذي تهدف إليه كل آية مما يزيد وضوحاً وجلالاً يحقق جمال الأداء والإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وبخاصة في قصار السور فكأنها أحجام متساوية في كل شيء.^(٢)

وبالتأمل لسماع قراءة الشيخ / عبد الباسط عبد الصمد - رحمه الله - لبيدات سور التكويد والانفطار والانشقاق على الرغم من أنها تحدث عن مشاهد الانقلابات الكونية يوم القيامة ندرك أنه قد قرأ هذه السور بثلاث إيقاعات ترمينية مختلفة ففي سورة التكويد: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ* وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ* وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ* وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ* وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾.^(٣) كان الإيقاع أو التزمين سريعاً متلاحقاً ومرتفعاً في درجته ويهز النفس البشرية هزاً عنيفاً؛ لما فيه من تصوير مشهد الانقلابات الكونية يوم القيامة بسرعة فائقة دالة على القدرة الإلهية.

(١) سورة هود الآيتان : (٤٢ ، ٤٣) .

(٢) التصوير الفني في القرآن ص ١١٣ ، والأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى ص ٧٧ ، ٧٨ بتصرف .

(٣) سورة التكويد الآيات من (١ : ١٤) .

فسبحان من يقول للشيء كن فيكون، وقد ساعد على صنع هذا الإيقاع أن الشيخ قد قرأ الآيات التسع سريعاً وفي نفس واحد مما يدل على فهمه للمعنى المتصور. وفي سورة الانفطار: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾^(١) جاء الإيقاع متوسطاً بين بين، على حين جاء التزمين في سورة الانشقاق: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(٢) بطيئاً هادئاً رخيماً وعميقاً ينساب في دعة وخفوت واستسلام حتى إننا نجد الشيخ قد قرأ آيات هذه السورة منفردة غير متصلة وبصوت أخفت كثيراً من سابقتها. وقد كان أداء الشيخ متوافقاً تماماً في السور الثلاث مع أداء كل من الشيخين / مصطفى إسماعيل، ومحمود خليل الحصري - رحمهما الله - خلافاً للشيخ / أبي بكر الشاطري الذي كان أدائه واحداً في السور الثلاث وبنبهة سريعة.

وقد تلونت الإيقاعات الثلاثة بلون الإطار أو الجو العام لكل سورة، فجو سورة التكويد التفرع الشديد والتهديد، ومما يناسب هذا الجو أن يكون الإيقاع قوياً عنيفاً وسريعاً متلاحقاً. أما جو سورة الانفطار فكان العتاب واللوم المبطن بالوعيد ويتفق مع هذا الجو أن يكون الإيقاع أهدأ وأرفق، وأما جو سورة الانشقاق فقد كان الخشوع والخضوع لله ويتناغم مع هذا الجو أن يكون الإيقاع خاشعاً يسير في طواعة ويسر وإشفاق.^(٣)

(١) سورة الانفطار الآيات من (١ : ٥) .

(٢) سورة الانشقاق الآيات من (١ : ٥) .

(٣) قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن الكريم - مقال في النت .

فالإيقاع في الأداء القرآني طبقاً لفهم القارئ وفقهه بالمعنى والسياق القرآني يتنوع تبعاً لموضوع الآيات القرآنية والجو العام للسورة وإن اتحد الغرض كما في الآيات السابقة. وكما في آيات الدعاء: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(١) وهو دعاء عذب سلس الإيقاع بما فيه من نداوة ولين ودعة يناسبه الأداء الناعم في صوت منخفض يتسم بالحنان والرقّة على نحو ما نجده في القراءة المجودة للشيخ / المنشاوي حيث ظهرت في صوته العاطفة والرقّة أكثر من غيره كعبد الباسط مثلاً، أما الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلُومًا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٢) وهو دعاء ممن يمتلكه الغيظ من عناد قومه وكفره فكانت الكلمات الثائرة الغضبي وجاء الإيقاع العنيف الذي يصور هذه الصرخات أصدق تصوير على نحو ما نجده في القراءة المجودة للشيخ / عبد الباسط، على حين اختلف الأداء في الدعاء الوارد في قوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾^(٣) فهو دعاء ينطلق من الحناجر المكبوتة حناجر الكافرين النادمين يوم الحساب العسير ولنا أن نتخيل هؤلاء المعذبين تلفح وجوههم النار فيتحسرون ويحاولون التنفيس عن كربهم ببعض الأصوات المتقطعة

(١) سورة مريم الآيات (٣، ٤، ٥).

(٢) سورة نوح الآيات (٢٦، ٢٧).

(٣) سورة الأحزاب الآيات : (٦٧، ٦٨).

المتهدجة كأنه يتخففون من أثقال تنقض ظهورهم ويفرغون عن طريقها ما يعانون من عذاب أليم.^(١)

ولا يستطيع أن يفعل ذلك إلا قارئ متقن مجود عارف بالأغراض القرآنية وطريقة أدائها، خلافا لأسلوب الأداء الرتيب الممل الذي نسمعه من مرتلين محترفين يكررون السورة من أولها إلى آخرها بنبرة واحدة لا يختلف فيها موقف الحزن من موقف الفرح من موقف الوعيد من موقف البشرى من موقف العبرة. نبرة واحدة رتيبة تموت فيها المعاني، وتتسطح العبارات.

ولأدل على أهمية الإيقاع في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم من أن عدم انتظام الإيقاع في التلاوة وكثرة تغير نبرات الصوت يذهب كلياً بجمال الأداء، ونفور المستمع وانصرافه عن السماع أو التأثير بما يسمع.

والقراء يتفاوتون ويتفاضلون في أداء هذه الطرق الإيقاعية، وعلى قدر تفاوتهم يكون الإحساس بجمال الأداء أو العكس. فليس كل قارئ يستطيع تأديتها كما ينبغي، إلا قارئ متقن مجود عارف بدلالات القرآن الكريم ومناسبة الآيات التي قيلت فيها، والجو الذي تصوره الآيات أو تحيط به، فعلى قدر علمه بذلك، وقدرته على أدائها بالطريقة التي ينبغي أن يؤديها بها يتحقق له جمال الأداء والقدرة على التأثير في المستمعين له بإيصال المعنى المقصود، وإشاعة الجو النفسي المحيط بالآيات المقروءة في نفوسهم، والعكس صحيح.

ويرى الرافعي أن هذا الإيقاع الفريد هو مناط الإعجاز والتحدي لقريش لما قرأه عليهم رسول الله - ﷺ - في بدء الدعوة. حيث يقول: "لما قرئ عليهم [يعني قريشاً]

(١) قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن الكريم.

القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، أحياناً لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفهم هذا المعنى وأنه أمر لا قبل لهم به، وكأن ذلك أبين في عجزهم.... وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الصوتي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفي على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجر، والشدّة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير، وغير ذلك... ولولا القرآن وهذا الأثر من نظمه العجيب، لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة، ولم يبق بعدهم للفصحاء إلا كما بقي من بعد هؤلاء في العامة، بل لما بقيت اللغة نفسها^(١).

أما مقوّمات الإيقاع فكثيرة ومنها: إقامة الإعراب على وجهه، فبإقامة أحكام العربية بنية وتركيباً يتحقق الإيقاع الجيد في الأداء، وبه - (النحو) - يرتل القرآن، إلى جانب إتقان أحكام التجويد خاصّة ما يتعلق بالغنة، والمدّ بأنواعه المختلفة وقدر حرّكاتها، ومعرفة الأحكام الخاصة لبعض الحروف، مع تحقيق الحروف بأدائها من مخارجها وعلى صفاتها، وهي أمور إذا لاقت موهبة فطرية، وطبيعة طيّعة، مع درجة وممارسة، وتثقيف، وحسن تأتّ، مع جمال فطري للصوت، وسلامة لأعضاء النطق، وتأثر القارئ بما يقرأ، كان منها تلاوة هي الغاية في الإيقاع والسلاسة، من دون نكير أو نشاز، وهذا من مقاصد القراءة "ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن" و"ما أذن الله لشيء كأذنيه لنبيّ حسن الصوت أن يتغنّى بالقرآن"^(٢).

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - الرافعي ص ١٤٨، ١٤٩ دار الكتاب العربي / بيروت - ط / ثمانية ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.

(٢) عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم - سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد ص ٤١، ٤٢. الناشر / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

يقول أحد الباحثين المحدثين: "لن يتحقق لبيان أن يرتل وأن يتغنى به إلا إذا كان نسقه ونظمه، وجرس كلماته، وموقع معانيه غنياً بمقومات الإيقاع وأنواعه وألوانه المتعددة وهذا ما تحقق للقرآن الكريم، فلا يشاركه فيه بيان آخر".^(١)

(١) العزفُ على أنوار الذِّكر - ص ٢١٣

المبحث الثالث

عوامل جمال الأداء التي ترتبط بلغة القرآن الكريم

لكل لغة سماتها ومميزاتها الخاصة بها، ويستوي في ذلك أن تكون هذه الخواص صوتية أو صرفية أو نحوية أو أسلوبية أو على مستوى الألفاظ ودلالاتها. ومن البديهي أن تكون هذه السمات هي جملة الفروق بين لغة وأخرى، وأن تكون الأساس الذي ينبنى عليه تحديد اللغات والحكم على هوية كل واحدة منها، وإعطاؤها اسماً خاصاً بها تنفرد به ويتعرف إليها في كل الحالات. وليست العربية بدعاً في ذلك، فلها ملامحها وظواهرها التي مازتها عن غيرها من اللغات، وجعلتها لغة ذات ضوابط وحدود معينة أهلتها للتسمية المعروفة بها منذ أزمان بعيدة، وهي اللغة العربية. وسمات عربيتنا هذه كثيرة كثرة فائقة هي - في الحق - جملة القواعد والقوانين الضابطة لها ولاستعمالاتها. ومن هذه القواعد ما يرتبط بالنظام الصوتي للغة العرب؛ وأول ذلك أن اللغة العربية استخدمت جهاز النطق عند الإنسان خير استخدام وأعدله. فقد جاءت أصوات هذه اللغة موزعة على مدارج النطق توزيعاً واسعاً شاملاً لكل نقاطه ومواقعه. فمن بداية هذا الجهاز - ونعني بذلك الحنجرة - جاءت الهمزة والهاء، ومن نهايته - وتتمثل في الشفتين - جاءت الباء والميم. ومن بين هاتين المدرجتين خرجت بقية الأصوات العربية مندرجة في شبه سلسلة متصلة الحلقات، بحيث لا يقع ازدحام في منطقة أو مناطق، ولا يحدث إهمال لبعضها. (١)

كما تتميز لغة العرب عن غيرها من اللغات بأنها لغة موسيقية، بحيث تجد التشكيل اللغوي عند أصحاب الفطرة والموهبة متناغماً منسجماً، وهذا لا يختص

(١) دراسات في علم اللغة - د / كمال بشر ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

بالشعر الذي يكتسب من أوزانه وقوافيه موسيقية بارزة، بل نجد هذه الموسيقية في النثر أيضاً بحيث تجد سهولة في التركيب وانسياباً في التأليف حتى تجري العبارة من سمعك مجرى النسيم في أصل الربيع.^(١) يقول الرافعي مبيناً طريقة العرب في منطقتهم: "الأصوات تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها من ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعضاً، ويتألف منها شيء مع شيء، فتتداخل خواصها، وتجتمع صفاتها، ويكون منها اللحن الموسيقي، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضاً على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده، فكان العرب يترسلون ويحذمون في منطقتهم كيفما اتفق لهم، لا يراعون أكثر من تكييف الصوت؛ دون تكييف الحروف التي هي مادة الصوت، إلى أن يتفق من هذه قطع في كلامهم تجيء بطبيعة الغرض الذي تكون فيه، أو بما تعمل لها المتكلم، على نمط من النظم الموسيقي، إن لم يكن في الغاية ففيه ما عرفوه من هذه الغاية.....".^(٢)

وبعد أن بينا في المبحثين السابقين العوامل التي على أساسها يتم الحكم على جمال الأداء لآي الذكر الحكيم أو العكس، وتفاوت جمال الأداء بين القراء تبعاً لهذه العوامل التي يتميز بها قارئ عن آخر لا ارتباطها بالقارئ نفسه، نبين هنا العوامل التي ترتبط بالقرآن نفسه من حيث رصف حروفه، وأصوات كلماته، وجرس ألفاظه، ومقاماته، وفواصله، ومدوده. وتفصيل ذلك على النحو التالي :

(١) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ص ٧.

(٢) تاريخ آداب العرب ١٤٢/٢، ١٤٣.

أولاً: للقرآن الكريم لغة خاصة تساعد على جمال أدائه وتجويده :

إذا كان للغة العربية مميزات التي تميزها عن غيرها من اللغات الأخرى فللقرآن الكريم - وهو بلغة العرب - لغته الخاصة التي تميزه عن لغة أي نص آخر كتب بهذه اللغة. فقد نزل القرآن الكريم بأحلى لغة العرب لفظاً، وأجملها صوتاً وأوفاهها تركيباً، وبأوضحها دلالة في المعنى. وتتمثل خواص لغة القرآن - أيضاً - في جودة مفرداته، وجمال تصويره، وعذوبة إيقاعه، ودقة معانيه. (١)

وقد أكد ذلك الرافعي في قوله: "وأنت تتبين ذلك إذا أنشأت ترتل قطعة من نثر فصحاء العرب أو غيرهم على طريقة التلاوة في القرآن، مما تراعى فيه أحكام القراءة وطرق الأداء، فإنك لا بد ظاهر بنفسك على النقص في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن، بلى ترى كأنك بهذا التحسين قد نكرت الكلام وغيّرتَه فأخرجته من صفة الفصاحة، وجردته من زينة الأسلوب، وأطفأت رواءه، وأنضبت مائه؛ لأنك وزنته على أوزان لم يتسق عليها في كل جهاته. فلا تعد أن تظهر من عيبه ما لم يكن يعيبه إذا أنت أرسلته في نهجه وأخذته على جملة". (٢)

وقد جعل الشيخ / محمد أبوزهرة ذلك وجهاً من وجوه الإعجاز فقال: "الإعجاز أبعد مما سبق، ذلك أنك إذا قرأت القرآن مرتلاً، أو كاشفاً بالصوت مع الترتيل تحسّ بأنه ليس من الكلام الذي سمعته وتسمعه وتقرؤه، وأنك تميّز بذوقك القرآن عند سماعه من غيره، فله نظم يعلو عن كلام البشر، وله نغم أعلى من أن تسميه موسيقى، يذوقه كل فاهم، وإن كان لا يستطيع وصفه ولا تعريفه، ولا بيان سره، كما يذوق الذائق طعاماً

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن - عبدالسلام الراغب ص ٣٨٦ - فصلت للدراسات والترجمة / حلب -

ط / أولي ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٤٨، ١٤٩.

طبيّاً، ولا يعرف اسمه ولا أرضه ولا سرّ طبيه، ولكنه يحكم بطبيّه وإن كان تفصيل السبب لا يعرف... لقد وجدنا للقرآن حلاوة في الألفاظ والأسلوب والفواصل، وغير الفواصل، ليست في غيره، وهذا ما سميناه النظم تقريباً للفهم، ولكلام الله تعالى المثل الأعلى... إن نظم القرآن ليس من أي نوع من أنواع من النظم الذي عند أهل البيان، فليس نثراً مرسلاً، وليس نثراً مصنوعاً، وليس نثراً فيه ازدواج، كما أنه ليس نثراً مسجوعاً، وليس فيه فواصل تشبه السجع، ولكنه شيء غير هذا، وغير ذلك".^(١)

إن المتأمل في حروف القرآن الكريم وكلماته لا يجد فيها شيئاً خارجاً عن المألوف المتداول في لغة العرب قديماً وحديثاً، ولكن عندما نتلو آيات الله نشعر أن للعبارة القرآنية كياناً خاصاً بني عليه تراكيبه، ورسم معالم صورة نظمه الفريد على هذا الكيان الفريد... إن النظم القرآن البديع بهر العرب بحسن مبادئ الآي والمقاطع وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب، وقد تأملوه آية آيةً وعُشراً عُشراً وسورةً سورة فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة يُنكر شأنها أو يرى غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أخرى، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز أهل الحكم والبلاغات، ونظاماً والتئماً وإتقاناً وإحكاماً بهر العقول وأعجز أهل الحكم والبلاغات، ونظاماً والتئماً وإتقاناً وإحكاماً لم يدع في نفس واحد منهم موضع طمع حتى خرس الألسن أن تدّعي وتقول. وأقروا في قرارة أنفسهم أن هذا ليس من قول البشر وإن أنكروا ذلك بأسنتهم. ومجيء النظم القرآني على هذا الشكل من الإتقان والإحكام إنما يعود - كما يقول ابن عطية - إلى أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً إذا تربت اللفظة من القرآن علم بإحاطة أي لفظة تصلح أن تبين المعنى بعد المعنى

(١) المعجزة الكبرى القرآن ص ٢٠٥.

ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً. فلهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة. (١)

كما بين الشيخ / الزرقاني الأسباب التي تجعل للغة القرآن الكريم طبيعة أدائية خاصة فقال: "إن من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء مجردة من هيكل الحروف والكلمات كأن يكون السامع بعيداً عن القارئ المجود بحيث لا تبلغ إلى سمعه الحروف والكلمات متميزاً بعضها عن بعض بل يبلغه مجرد الأصوات الساذجة المؤلفة من المدات والغنات والحركات والسكنات والاتصالات والسكتات نقول: إن من ألقى سمعه إلى هذه المجموعة الصوتية الساذجة يشعر من نفسه ولو كان أعجمياً لا يعرف العربية بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر؛ لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها والطبع أن يمجها. ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالباً وإن طالت على نمط يورث سامعه السأم والملل، بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل؛ لأنه يتنقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفتدة. وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسسته الأذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منشور الكلام سواء أكان مرسلأ أم مسجوعاً حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر؛ لأنهم

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن ص ٢٧٩ نقلاً عن: كتاب مباحث في إعجاز القرآن - د / مصطفى مسلم ص ١٣٣ : ١٤٢ طبعة / دار القلم .

أدركوا في إيقاعه وترجييعه لذة، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجييع هزة لم يعرفوا شيئاً قريباً منها إلا في الشعر، ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا...^(١).

كما تتميز لغة القرآن بالمعاني الخاصة للألفاظ، والأنماط النحوية، وإيقاع الصوت، وتماثل البنى التركيبية، وهذا السجع الموزون بميزان دقيق غاية في الدقة عند من يقول بوجوده في لغة القرآن، وهذا الذي يبدو للبعض تكراراً، وما هو بتكرار بل ترسيخ للمعنى وتأمين للسياق "فتكرار الأصوات في لغة القرآن الكريم مما يحدث أثراً قوياً في النفس وخشوعاً في القلب مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا ذَا دَكْتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ وجاء ربك والملك صفًا صفًا^(٢)﴾".

وقد وصف الزركشي جمال لغة القرآن الكريم بقوله: "فهو من تناسب ألفاظه وتناسق أغراضه قِلَادَةٌ ذات اتساق، ومن تَبَسُّمِ زَهْرِهِ وَتَنَسُّمِ نَشْرِهِ حَذِيقَةٌ مُبْهِجَةٌ للنفوس والأسماع والأحداق، كل كلمة منه لها من نفسها طَرَبٌ، ومن ذاتها عَجَبٌ، ومن طلعتها غُرَّةٌ، ومن بهجتها دُرَّةٌ، لَاحَتْ عليه بهجة القُدْرَةِ، ونزل ممن له الأمر، فله على كل كلامٍ سلطان وإمْرَةٌ، بهر تَمَكُّنٌ فواصله، وحسن ارتباط أوأخره وأوائله، وبديع إشاراتِه، وعجيب انتقالاتِه من قصص باهرة إلى مواضع زاجرة، وأمثال سائرة، وحِكَمٌ زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيل واستغفار"^(٣).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٢٢٢.

(٢) سورة الفجر الآيتان: (٢١-٢٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤١.

ويقول أحد الباحثين المحدثين: "إن اللغة في القرآن تؤدي دوراً كبيراً في العطاء الموسيقي؛ ذلك أن الموسيقى فيه لا تنبع من وزن شعري كالذي عرفناه في تفعيلات الشعر العربي ولكنها تنبع من اللغة نفسها، وما في ائتلاف الأصوات في اللفظة الواحدة وفي سياق الألفاظ وتناسقها وتناغمها وأدائها للمعنى ودلالاتها عليه".^(١)

ويتخير القرآن الألفاظ تخيراً يقوم على أساس الجرس المتسق مع جو الآية وجو السياق بل جو السورة كلها في كثير من الأحيان، وبخاصة تلك السور القصار التي حفل بها العهد المكي لتأكيد أصول العقيدة... فالقرآن يستعمل الألفاظ ذات الجرس الناعم الرخي والسلس الموحى في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهادئة الجميلة.^(٢) وليست الموسيقى في القرآن على غرار موسيقى الشعر الخارجية من تفعيلات متزنة متكافئة، وقواف مطردة متناظرة، وإنما هو نثر له خصائص النثر جملة، إلا أنه من نوع فريد، نثر لم تعرف له العربية نظيراً في تراثها الأدبي وفنها القول.^(٣)

إن لغة القرآن الكريم بكلماتها واستعمالاتها المختلفة قائمة على أصول ومبادئ، وكل لفظة منها أخذت سمناً معيناً حسب قواعد خاصة روعيت فيها من حيث تناسق الأصوات وتآلفها مع بعضها في الكلمة القرآنية، وإمكان اجتماعها أو عدم اجتماعها في أصل واحد في كلمات القرآن الكريم. فلغة القرآن خاصة لغة جميلة يتوافق فيها النظام الصوتي مع جمالها، والأصوات الحادثة من التقاء الحروف ببعضها وأدائها على وجهها الصحيح من الصفات والمخارج توافقاً يأسر الأسماع والقلوب معاً، ومجمل القول: إن جمال اللغة في القرآن الكريم قرين النظام الصوتي وهما يشكلان وحدة واحدة تصب

(١) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن - د / كاسد ياسر حسين ص ٣٤٢، ٣٤٣ بتصرف .

(٢) السابق ص ٣٣٥ .

(٣) السابق ص ٣٢٩ .

في جمال التأثير وقوته".^(١) وقد أشار إلى ذلك الرافعي في قوله: "إن طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها، ثم الافتنان فيه بوضعها من الكلام وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات لا يتفاوت ذلك ولا يختل".^(٢)

وقد بين د / دراز أن جمال البيان القرآني أول ما يتجلى لك حين تصغي إليه يتجلى في: " تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم. وبيان ذلك: أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات هذا ينقر وذاك يصفّر، وهذا يخفى وذاك يظهر، وهذا يهمس وذاك يجهر إلى غير ذلك مما هو مقرر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد، ومن هنا يتجلى لك جمال لغة القرآن حين خرج إلى الناس في هذه المجموعة المختلفة المؤلفة الجامعة بين اللين والشدّة والخشونة والرقّة والجهر والخفية على وجه دقيق محكم، وضع كلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان حتى تألف من المجموع قالب لفظي مدهش وقشرة سطحية أخاذة امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غير ميوعة، وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة. ولقد وصل هذا الجمال اللغوي إلى قمة الإعجاز بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه واختل نظامه في آذان سامعيه.

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - جمع وإعداد / علي بن نايف الشحود ٨٣/١١ بالمكتبة الشاملة.

(٢) تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعي ١٥٩/٢، ١٦٠ - دار الكتاب العربي .

ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائداً على السنة الخلق، وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم، فلا يجروء أحد على تغييره، وتبديله مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فقد أتى القرآن الكريم بما يُعجز الجميع حيث انماز بنظامه الصوتي الذي لا يقترب منه في خصائصه نظام أبداً. ذلك أن النظام الصوتي في لغة القرآن متميز وبراغى فيه الجمال الصوتي الذي يبدو في أدائه، وفي استعمال حروفه وحركاته، ومداته وغناته، ووقفه وسكاته، وفي نظمه وتآلف الحرف مع غيره في الكلمة القرآنية، وفي حذف الحرف أو إثباته، وفي زيادته وإبداله، وفي فواصله، وفي رسمه... إلخ.^(١)

وقد تحدث د / دراز عن خاصية تأليفه الصوتي مبيناً أنها سر من أسرار جماله اللغوي في أساليبه المتنوعة فقال: "أول ما يستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره".^(٢) ويقول أيضاً: "هديت إلى السر الذي فطنت له العرب ولم يفطن له المستعربون إن أول شيء أحسسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيح فيجد عندها راحته العظمى، وهذا النحو من التنظيم الصوتي إن

(١) النبأ العظيم - د / محمد عبد الله دراز ص ١٠٥ بتصرف - دار الثقافة / الدوحة ١٩٨٥م .

(٢) السابق ص ١٢٧ ، ١٢٨ بتصرف .

كانت العرب قد عمدت إلى شيء منه في أشعارها فذهبت فيها إلى حد الإسراف في الاستهواء ثم إلى حد الإملال في التكرير فإنها ما كانت تعهده قط ولا كان يتهياً لها بتلك السهولة في منثور كلامها سواء منه المرسل والمسجوع، بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه ولا يمكن معها إجادة ترتيله إلا بإدخال شيء عليه أو حذف شيء منه.... فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة لا كركرة ولا ثرثرة ولا رخاوة ولا معازلة ولا تناكر ولا تنافر وهكذا ترى كلاماً ليس بالحضري الفاتر ولا بالبدوي الخشن بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها برقة الحاضرة وسلاستها وقدر فيه الأمر تقديرًا، لا يبغي بعضهما على بعض فإذا مزيج منهما كأنما هو عصارة اللغتين وسلالتهما، أو كأنما هو نقطة الاتصال بين القبائل عندها تلتقي أذواقهم وعليها تأتلف قلوبهم^(١).

وكان لكل هذه المميزات التي تميزت بها لغة القرآن الكريم وغيرها دور بارز ساعد على جمال الأداء لأي الذكر الحكيم والترنم به، فنظامه الصوتي البديع بما يحتويه هو الذي استهوى النفوس واسترعى الأسماع كما سبق أن ذكرت، وكان داعية إلى الإقبال عليه وتأمله وتدبر كلماته الأمر الذي جعل الوليد بن المغيرة يقر بذلك ويقول لبني مخزوم قولته المشهورة قد سبق ذكرها.

ويقول د / عبد الفتاح لاشين: " النص الكريم حينما يختار منظومته الأدائية المؤلفة من حروف كلماته فإنها تأتي خفيفة على السمع، رقيقة في الكلام، أنيقة في الكلمة، لا يصيبها في التأليف القرآني ما يصيبها في التأليف البشري، فكل حرف يصيب موقعه في

(١) السابق ص ١٣١. ١٣٣ بتصرف .

الكلمة، ويقع موضعه في اللفظ، ويكون من الذوق بمكان، ولا عجب فهو وضع الحكيم
الخبير، وتنزيل من الرحمن الرحيم^(١).

ومن هذا كله يمكننا أن نقول: إن حقيقة الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم إنما تبدو
فيما تبدو في تآلف حروفه وترتيبها، وتناغم أصواته، وجمال أدائه وتوقيعه بما لا يدع مجالاً
للشك في أنه خارج عن نطاق البشر، وأنه ليس بإمكانهم مهما أوتوا من الفصاحة أو
البلاغة الإتيان بشي من مثله نظراً لترتيب أصواته وتآلف حروفه في كلماته، وكلماته في
جمله، وجمله في أساليبه وغير ذلك مما بلغ به حد الإعجاز الصوتي.

كما تتميز لغة القرآن الكريم بقوة الإقناع والتأثير، فالناظر في لغة الوحي يجد أنها
تجمع بين جودة المعنى، ودقة التعبير، وجمال الإيقاع، وإمكان التغمي به. حيث انفردت
لغة الوحي بالإيقاع الجميل المؤثر والذي لا يمكن أن يتحقق في غيره من النصوص
النثرية، ولا الشعرية، ومن هنا جاء التجويد وأحكامه. يقول الرافعي: "لما قرئ عليهم
القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، ألحاناً لغوية رائعة كأنها إلتافها
وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفهم هذا المعنى وأنه أمر لا قبل لهم
به".^(٢) كما أن للقرآن الكريم حال تلاوته تأثير في النفوس؛ لما فيه من طلاوة وروعة
ومهابة، فتستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، وتقشعر منه الجلود وتنزعج له
القلوب.

فلغة القرآن - إذن - تختلف عن لغة البشر الطبيعية في طريقة أدائها؛ إذ يظهر هذا
من خلال أحكام التجويد الخاصة بنص الوحي (اللفظي) القرآن ما بين تلاوة وحدر، وما فيه

(١) من أسرار التعبير في القرآن - د/ عبد الفتاح لاشين ص ٣١ - دار عكاظ / الرياض ١٩٨٣م .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٤٨ .

من تحزين وتغنٍّ، وحثٍّ عليه، وترغيب فيه، وإقرار رسول الله - ﷺ - لهذا التجويد في التلاوة، وترغيبه في التحبير "لو كنت أعلم مقامك لحبّرتك لك تحبيراً" ^(١). ويظهر في اصطباج كل سورة من سوره بإيقاع عذب مؤثر تنفرد به عن غيرها من السور. وبهذه اللغة التي تميزت بها لغة القرآن الكريم عن غيرها صار للقرآن الكريم - بلغته الجميلة بمفرداتها وتآلف حروفها وبتركيبتها المعبرة ونهايتها الجميلة وما فيه من مد أو غنة أو وقف بطريقة معينة موحية بالغرض - أداءً صوتياً متميزاً وتأثيراً صوتياً عجباً، ويتجلى ذلك في تنقله بين مقاطع مختلفة وأساليب متعددة من الأداء الصوتي، مما يثير الشجن أو الأمل أو الفرح لدى سامعه ولو لم يكن يعرف العربية. وقد تنبه العلماء من قبل إلى هذه الميزة الصوتية للقرآن الكريم، وعدوها من وجوه إعجازه كما سبق أن ذكرنا.

ثانياً: معاني التنزيل ودورها في جمال الأداء :

بالنظر والتأمل في القرآن الكريم نجد أنه يشتمل على كثير من المقامات والأغراض منها: التشويق إلى الجنة ونعيمها وبيان صفاتها وصفات أهلها، والتخويف من النار وعذابها وبيان صفاتها وصفات أهلها، والدعوة إلى الحق، والترغيب في الجهاد، والدعاء، والحث على التوبة، والخشوع والتواضع، والدعوة إلى توحيد الله وتمجيده، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على النوائب، والرضا بقضاء الله، والحديث عن البعث، ويوم القيامة وما فيه، وصفات كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين والمكذبيين، ومدح المؤمنين الأبرار، وذم الكافرين الفجار، وبيان التكاليف والعبادات وما فيها من أمر أو نهى أو زجر وعقاب، والترهيب، والإنذار والتخويف، والوعد، والوعيد، والتحسر والندم... إلخ. وليس طبعياً ولا سديداً أن تقرأ

(١) سبق تخريجه .

موضوعات هذه الأغراض كلها بأسلوب واحد، فاللين غير الشدة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والإقرار غير التعجب، والوعد والوعيد وهكذا. فلكل مقام من هذه المقامات طريقة أدائية خاصة تناسبه ولا تناسب غيره من المقامات الأخرى، والقارئ الجيد هو الذي يعرف هذه المقامات وكيفية تأديتها بنبرة صوتية معينة منخفضة أو مرتفعة، أو حزينة باكية تثير في المستمع إحساساً مماثلاً، أو فرحة طروبة تثير في السامع تشويقاً وتفاؤلاً أو شجناً مماثلاً.

وهذه الأغراض القرآنية ذات طرائق أدائية خاصة يتفاوت فيها القراء ويتفاضلون، فليس كل قارئ قادر على تأديتها بحققها، ففي كثير من الأحيان يكون لكل قارئ طريقة أدائية خاصة يشتهر بها تميز صوته وأدائه عن غيره من القراء، أو طابع أدائي يتميز به ويتقنه ويلتزم به حين التلاوة فيشتهر بالقراءة في هذا الغرض أو المقام أكثر من غيره من الأغراض أو المقامات الأخرى ويبرز فيه عن غيره من بقية القراء. ومن هؤلاء الشيخ / محمد صديق المنشاوي - رحمه الله - الذي وصف بأنه أكثر القراء قراءة بالتحزين. فتأمل نبرات صوته حين يرتل الآيات التي تحمل طابع الحزن والخوف والخشوع تجد أنه في أدائه يجسد وتر الحزن والمشاعر أفضل من أي قارئ آخر.. ودليل ذلك استمع إلي الشيخ في خواتيم البقرة والفجر والبلد. ومن القراء الذين أتقنوا هذا المقام أيضاً وتفننوا فيه هم في التلاوة المرتلة القارئ خالد القحطاني، والشيخ / علي عبد الرحمن الحذيفي. أما التلاوة المحققة فأكثر من يجيدونه هم الشيخ / محمد رفعت وتلمذ علي يديه الشيخ / محمد صديق المنشاوي، والشيخ / كامل يوسف البهتيمي... مع أنهم لم يدرسوا علوم الصوت أو المقامات لكنها الموهبة الفطرية التي منحهم الله - ﷻ - إياها. ويصف كاتب آخر قراءة الشيخ رفعت بقوله: "سمعت ذات يوم يستحضر الحزن والرغبة في قراءته، وسمعت نغمة الحزن في صوته آتية من حنجرتة

كما لو كانت غارقة في دموعه".^(١) وقرأ به أيضاً الشيخ / مصطفى إسماعيل - رحمه الله - في ختام المصحف المرتل ؛ لحزنه الشديد لختام المصحف لأول مره في الإذاعة، فكان هؤلاء القراء من الرعيل الاول يحزنون حزناً شديداً عندما يقتربون من ختام المصحف المرتل سواء أو المجود ؛ ولذلك كانوا يقرأون دائماً جزء عم بهذا الأداء المشعر بالحزن.^(٢)

وهذا الأداء لبعض الآيات القرآنية يتناسب مع الفطرة الإسلامية لمن رزقهم الله الخشوع ورقة القلب وحسن التدبر مرتلين كانوا أو مستمعين، فكثير من المسلمين يستحبون البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن وفي دينهم أن الأنبياء كانوا يكونون إذ تتلى عليهم آيات الله: ﴿وَلِئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.^(٣)

ومن القراء من يبدع في الآيات التي تتصف بالعاطفة أكثر من غيرها وذلك على نحو ما نجده في القراءة المجودة من الشيخ / مصطفى إسماعيل في قراءته لآيات الأخيرة من سورة الفجر وأول سورة البلد، وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وَثْقَاهُ أَحَدًا * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي

(١) شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول الي المقامات الصوتية - منتديات الشيخ / محمد صديق المنشاوي .

(٢) السابق نفسه .

(٣) سورة مريم الآية : (٥٨) .

جَنَّتِي﴾. (١) وكما في قراءته لقوله تعالى من سورة التحريم: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (٢) وقد كان للقراءات القرآنية في أدائه دور بارز في جمال الأداء وعذوبته وروحانيته التي لا تخفى على مستمع، وهذا يعد أفضل أداء صوتي يستطيع المقرئ أن يعبر من خلاله عن تفاعله مع الآيات عن طريق الازدياد النسبي في عدد اهتزاز النبرات الصوتية تارة وانخفاضها تارة ثانية، لذلك يحبذ للقارئ أن يقرأ مثل هذه الآيات، وكذا الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة بهذه الطريقة الأدائية .. وكذا آيات أهل النار والعذاب للكفار في نار جهنم، وذلك لإعطاء السامع انطباعاً مؤلماً في النفس ومن ذلك قراءة الشيخ / المنشاوي في الآية القرآنية التالية: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣)

ومن القراء من يجيد الأداء في الآيات التي يبدو فيها الفرح والسرور أكثر من غيرها وذلك في آيات التبشير بدخول الجنة وصفاتها وبيان نعيمها ومن فيها على نحو ما نجده في قراءة الشيخ / المنشاوي لقوله تعالى: ﴿مُتَكئينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ﴾ (٤)

ومن القراء من يحسن القراءة في أغراض أو سياقات متنوعة دون التقيد بسياق أو غرض معين فيلون في نبرات صوته ودرجاته ارتفاعاً تارة وانخفاضاً تارة ثانية بشكل

(١) سورة الفجر الآيات من (٢٢ إلى ٣٠) .

(٢) سورة التحريم الآيتان : (٤ ، ٥) .

(٣) سورة الحاقة الآية (٣٢) .

(٤) سورة الرحمن الآية (٥٤) .

منسق متدرج منتظم، حزيناً باكياً تارة وفرحاً مستبشراً تارة ثانية، خاشعاً خاضعاً تارة ومبكتاً تارة أخرى تبعاً للمقام وما يتطلبه من ضرورة أدائه بطريقة مناسبة تثير إحساس السامع وتصور له المشهد المتحدث عنه بدقة كأنه مجسم ومشاهد وحاضر للعيان، وذلك لا يتحقق له إلا عن طريق التنغيم، والعلم بمعاني التنزيل وبطريقة أدائها، والتحكم الجيد في طبقة الصوت ونبراته، والقدرة على ضبط النفس وتنظيمه، والسيطرة على حركة اللسان داخل الفم، وعلى حركة الفك الأسفل في الاتجاهات المختلفة، وكذا الاستماع المتكرر إلى مقاطع من آيات الذكر الحكيم مقروءة بطرائق عدة، وعن طريق التدريب الجيد على قراءة مثل هذه الآيات بطريقة معينة تناسب صوته، فكل صوت قدرات معينة، وبعد في وضوح أصوات الحروف والكلمات والاهتزازات الوترية، فكلما استطاع القارئ التحكم في طبقات صوته تحكماً صحيحاً كلما خرجت نبرات صوته جميلة معبرة وموحية وكان أدائه مؤثراً وبلغياً. أما إذا ما تم القفز عن درجة ما فإنه يصبح صوتاً نشازاً. والنشاز: يعني الخروج من مقام إلى آخر غير متناسق مع المقام الأصلي وهو غير مريح للأذن المستمعة. ويعد الشيخ / عبد الباسط عبد الصمد من القراء الذين يجيدون التنقل بين السياقات أو الأغراض القرآنية المتنوعة بسلاسة إذ تبدو على صوته نغمة الحزن في قراءته لقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾^(١)، وتشعر في قراءته بالرقّة والعاطفة حين تسمع أدائه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَحْشَى﴾^(٢)، وتشعر معه بالخشوع حين تسمع

(١) سورة القيامة الآيات (١، ٢، ٣).

(٢) سورة طه الآية (٧٧).

قراءته لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾^(٢)، وتدرک معنى الفرح والبشرى ونعيم الجنة حين تسمع قراءته لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُمَّ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾^(٣)، وتسمع لنبرة الحسرة والندم حين تسمع قراءته لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرَمَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴾^(٤).

من هنا ندرك أن أساس استخدام القارئ لطريقة معينة من الأداء تختلف عن غيرها تبعاً للغرض من الآية وليس العرف أو الذوق. إنه يستخرج المعنى للناس حسب فهمه. وقد أكد الشيخ الحصري – رحمه الله – علي أن: ' القارئ يحتاج الي موهبة وصوت، ليأتي بألوان مختلفة للمعاني المختلفة. وليس بوسع كل إنسان أن يفعل هذا " ^(٥) .

وقد بين الزركشي – رحمه الله – أن جمال الأداء لأي الذكر الحكيم يكمن في معرفة القارئ لهذه السياقات أو المقامات والأغراض المعنوية وكيفية تأديتها بطريقة أدائية تستطيع تصوير المشهد بدقة وإحساس بحيث تثير في نفس المستمع التأثير

(١) سورة مريم الآية (١٠) .

(٢) سورة الإسراء الآية (٩) .

(٣) سورة الحاقة الآيات من (١٩) إلى (٢٤) .

(٤) سورة الحاقة الآيات من (٢٥) إلى (٢٩) .

(٥) شرح كتاب العلوم الجليلة في الوصول الي المقامات الصوتية ص ٤ ، ٥ .

والانفعال بالمشهد ثم التدبر والاتعاظ فقال: "إذا كان سياق الكلام ترجية بسط، وإن كان تخويفاً قبض، وإذا كان وعداً أبهج، وأن كان وعيداً أزعج، وإن كان دعوة حذب، وإن كان زجرة أربع، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان ترغيباً شوق" (١).

ووافقه في ذلك الشيخ / محمد أبوزهرة حيث قال: "إن التلاؤم في ألفاظ القرآن الكريم وجمله وآياته ومواضع الوقف فيه ليس في المخارج فقط، بل هو فيما هو أعلى من ذلك، إنما هو في النغم، وجرس القول وموسيقاه، فلا تجد حرفاً ينشز في موسيقاه عن أخيه، ولا الكلمة عن أختها، ولا الجملة عن لاحقها، والآية كلها تكون مؤتلفة النغم في الغرض الذي سيقت له، فإن كان إنذاراً كان النغم إرعاداً، وإن كان تبشيراً كان نسيماً، وإن كان عظة كان تنبيهاً، وإن كان تفكيراً كان توجيهاً لافتاً عما سواه، وهكذا" (٢). وكذا وصف الشيخ / إبراهيم الشعشاعي قراءة والده بقوله: 'الآية التي لها معني التهيب تأخذ نغمة خاصة، والآية التي تبشر بالخير تكون لها نغمة أخرى'. ووصف الشيخ رشاد كيف تأخذ الإشارة إلي جهنم صوتاً غليظاً ضخماً، ويكون الصوت عند الإشارة إلي الجنة مشرقاً وأكثر حدة وأخف. وقد اتفق القراء بوجه عام في تحديد حالة نفسية معينة لكل مقام معين، وقد بين الشيخ / أحمد الرزقي - (رحمه الله) - دور القارئ في إبراز الحالة النفسية مع آية معينة، حين قرأ الآيتين الكريميتين: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٣).

(١) البرهان في علوم القرآن ٤/١ .

(٢) المعجزة الكبرى القرآن ص ٢١٣ .

(٣) سورة الفجر الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

بمقامين مختلفين: الأول بمقام يبرز الألم والحزن، والثاني يعكس اللوم الذاتي والندم. (١)

فالقارئ الجيد من إذا سمعته يترنم بالقرآن حتى إنه تارة (بيكيك) وتارة (يطربك).. وذلك بطريقة ترتيله وباستغلال طبقات صوته المتعددة ونبراته المتنوعة إذا أحسن توظيفها واستغلالها والتنقل بينها، والقارئ المتقن لأحكام التلاوة والعارف بالسياقات القرآنية أو الغرض من الآية وسبب نزولها يعرف كيف يختار الأداء المناسب لتلاوته وطبقات صوته من دون إخلال بالأحكام التجويدية المطلوبة، ومن دون تعلم فن المقامات الموسيقية - (لأنها عدول بالقرآن عن نهجه القويم إذ تنافي جلال القرآن وتخرج عن قواعد أدائه) - وإنما يستغل صوته الحسن الرخيم في تصوير المشهد الذي يقرأه بدقة كأنك تعايشه فيريك المعقول محسوساً، والمعنوي مجسداً. فنقف مثلاً خاشعين مبهورين بهذا الأداء الذي يبعث في النفس المؤمنة المطمئنة ارتياحاً وسروراً حين نسمع للأداء الذي يشيع في النفس المؤمنة تفاؤلاً بالبشرى وتحققاً من النتيجة التي وعدت بها فيصور القارئ المتقن هذا الأثر النفسي للبشرى أروع تصوير من خلال الأداء كأنك تعيش المشهد وذلك في قراءته لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، وعلى العكس من ذلك ينتقل القارئ عن طريق التغيير في طبقات صوته ونبراته والانتقال إلى الأداء الحزين لبيان الصورة العكسية التي تبرز حالة اليأس والشقاء الذي يعانيه الكافرون وهم يعذبون في جهنم ويقول أحدهم عندما يؤتي صحائفه في حسرة وندم على ما فات ووقع منه في دنياه: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ

(١) شرح كتاب العلوم الجليلة في الوصول الي المقامات الصوتية ص ٤ ، ٥ .

أَدْرِمَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ * مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيهِ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ. ولا يستطيع أن يفعل هذا إلا القارئ المتقن لطرائق الأداء والعالم بالسياقات والأغراض القرآنية وطرق أدائها.

ولعل هذا هو المقصود بالتغني بالقرآن في الأحاديث النبوية الشريفة، وليس القراءة بالألحان كألحان الموسيقى، وإن أجاز القراءة بها السادة الحنفية والشافعية بشرط التقيد والالتزام بأحكام التلاوة والتجويد، وعدم إسقاط شيء من الحروف، أو الإفراط في الغنن والمدود، وألا يقرأ على صفة المغنين، وألا يطغى المقام على صحة الأداء وإلا صار حراماً يَأْتُمُّ فاعله باتفاق الفقهاء، لأنه عدل به عن نهجه القويم. وكره القراءة بها المالكية وبعض الحنابلة وإن لم يخل القارئ بقواعد التجويد وأحكام التلاوة. فمن المبتدعات الصوتية التي تنافي جلال القرآن وتخرج عن قواعد أدائه وتناله بشيء من التحريف وتعوق حسن فهمه والتأثر به:

- القراءة بالترعيد: وهو أن يرعد القارئ صوته كأنه يرعد من برد أو ألم أصابه.
- القراءة بالتطريب المفسد للمعنى: وهو أن يترنم القارئ بالقرآن ويتنغم به على نحو من شأنه أن يمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد على ما لا ينبغي.
- القراءة بالتحزين المصطنع: وهو أن يأتي القارئ بتلاوته على وجه فيه حزن وتباك متكلفان مظنة الرياء.
- القراءة بالترقيص: ومعناه أن يرقص القارئ صوته بالقرآن فيزيد في حروف المد حركات بحيث يصير كالمتكسر الذي يفعل الرقص.
- القراءة بالتحريف: وهو ما أحدثه الذين يجتمعون ويقرأون بصوت واحد فيقطعون القراءة، ويأتي بعضهم ببعض الكلمة، والآخر ببعضها الآخر، ويحافظون على مراعاة الأصوات.

- ترك التجويد مطلقا. وأمور أخرى أوصلها لبيب السعيد إلى خمسة وعشرين.^(١)

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن ص ٣٤٥ وما بعدها ، وإبراز المعاني بالأداء القرآني - د / إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري ص ٤٦ - دار الحضارة للنشر / السعودية - ط / أولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

ثالثاً: الفاصلة القرآنية ودورها في جمال الأداء :

يستصغي سمعك ويسترعي انتباهك في أواخر الآيات القرآنية طابع خاص مميز يسميه علماء القرآن الفاصلة القرآنية، إذ تحس وتشعر عندما تستمع للقارئ المجود للقرآن الكريم أو تتلوّه أن لهذه الفواصل وقعاً صوتياً محبباً ومؤثراً يبعث في الفؤاد طمأنينة وارتياحاً ينبع من اختيار أصوات معينة ذات جرس وصدى أو ذاتقة سمعية محببة لنفس السامع تكون نهاية للآية، وكذا من اتحاد الفواصل أو تقاربها في الصوت والأثر السمعي المنبعث عنها.

فالفواصل القرآنية ذات جرس رائع تجعل الأذن تتشرف لسماعها، والفكر يثور عند ذكرها، والقلب يصحولدى ترددها، والخيال ينبعث مع وقعها وحسن أدائها، فهي من أساليبه البلاغية الجميلة، وتراكيبه الرصينة المبدعة، وهي رؤوس آياته، لذا جعلناها ركناً مهماً في لغة القرآن الكريم. إذ تعد الفواصل القرآنية مظهرًا من مظاهر إعجازه، وأثرًا من آثار نظمته ووصفه. وأبرز ما يكون هذا التجلي في ذلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذلك الإيقاع اللغوي الأسر، الذي بزّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارى لا مرام لهم ولا مطمع في أن يقاربوا أو يدانوا ببيان القرآن الكريم ونظمه ولغته. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الفواصل القرآنية استخدمت كثيراً في السور المكية، ولعل مرد ذلك أن الخطاب في هذه المرحلة المبكرة إنما كان لأهل مكة أهل الفصاحة واللسن، ولذا كانت هذه الفواصل البديعة إمتاعاً للشعور والعاطفة، وخطاباً للعقل، وإثراء وتفناً فيما لم يألفه العرب في خطابهم. ومن هنا تميزت الفاصلة القرآنية من قافية الشعر. فقافية الشعر كان يؤتى بها غالباً محسناً لفظياً لإتمام الكلام حتى وإن أقحمت إقحاماً، وخرجت عن سياق الكلام، وكثيراً ما يضطر الشاعر إلى ذلك. أما الفاصلة القرآنية فهي مرتبطة بسياق الكلام ارتباطاً محكماً، بل هي مفصحة عن معان

زائدة مرادة، يفتر السياق إليها ويتطلبها. ومن ثمّ لم تكن حلية لفظية فحسب كما هو الحال في الشعر في كثير من الأحيان.^(١)

ومما لا شك فيه أن من أهم مقاصد الفواصل القرآنية أن تؤدي دورها في قوة التركيب وتتمام المعني ووضوحه ثم أن تكون شجية النغم، حلوة الجرس، عذبة الرنين، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها؛ ليتم لها الحسن من جميع جهاته، ومن هنا كانت تلاوة القرآن؛ لأن الأداء الدقيق الجميل يستطيع أن يبرز هذا الانسجام الساري في الفواصل على أكمل صورة أريدت له، وإذا كانت الفاصلة القرآنية يتم بها عذوبة الأداء في الآية، أو العبارة القرآنية فإنه يتم بها أيضاً إكمال معنى الآية، فليس النغم الصوتي هو الذي يحكم هذه الفاصلة أو تلك، إذ لا يصح للنغم أن يطغى على المعنى المراد في الآية فيعكس هذا المعنى أو يغيره؛ لأن علو الفواصل القرآنية وسموها في البلاغة كان بسبب أنها واقعة في موقعها، وأن المعاني هي المقصد الأول، والألفاظ بحسن أدائها، وورنة أنغامها تابعة لذلك.^(٢)

يقول د / محمد أبو موسى: "والذي نعتقه أن القرآن حين يراعي الفاصلة، ويبقى على تنعيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير؛ لأن رنين الكلمات وجرسها، وتوافق إيقاعاتها لغة تغلغل في النفس والضمير.... يحسها من يرتل هذه الآيات...".^(٣)

-
- (١) معجم علوم القرآن - إبراهيم محمد الجرمي ص ٢٠٩ - دار القلم / دمشق - ط / أولى ٢٢/٥/٢٠٠١م.
- (٢) دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم (دراسة تحليلية) - د / محمد رمضان البع - مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد (١٣) - العدد (الثاني) ٢٠٠٩م - ص ٥٧ .
- (٣) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني - د / محمد محمد أبو موسى ص ٣٢٤ مكتبة وهبة - ط / سابعة.

لذا عرفها أحد الباحثين المحدثين موضحاً دورها في الإيقاع وحسن وقعها في السمع بقوله: "هي لفظ آخر الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر، ولكن الفاصلة تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة".^(١)

فقد أشار هذا التعريف إلى كون الفاصلة القرآنية في خاتمة الآية، وإلى أنها تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة، وأن الحرف الأخير منها يتكرر فيحدث إيقاعاً صوتياً مؤثراً، وهذا الإيقاع له دوره الواضح في تحسين الأداء لاسيما عند قراءة القرآن الكريم مرتلاً أو مجوداً. وهذا ما أكده كثير من علماء العربية يقول الرماني: "تقوم الفاصلة بتحقيق فوائد جمّة منها ما يتصل بجانب الإيقاع، ومنها ما يتصل بجانب الاستدلال على تمام المعنى. فأما الجانب الإيقاعي الذي تؤديه الفاصلة فهو دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر".^(٢)

وقد وضّح د/ تمام حسان دور الفاصلة في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم فقال: "تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقيق للنص جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم؛ لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم للسّياق النصُّ بها إلى وحدات أدائية تعدّ معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهما أثر جمالي لا يبعد كثيراً عما نحسه من وزن الشعر وقافيته، ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحرية من كل قيد مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية. ولأمر ما كان الوقف على رؤوس الآي سنة إلا أن يفسد به المعنى. ذلك أن الوصول بالقراءة إلى فاصلة

(١) الفواصل القرآنية دراسة بلاغية - د/ السيد خضر ص ١ - مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٢) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ٩٩ .

الآية يتفوق في الأغلب الأعم مع طاقة النفس الواحد لدى القارئ فيقف القارئ عند الفاصلة ليتزود بزداد نفسي جديد، وليحس عند الفاصلة بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل تحف به روائق الإيقاع وروائعه من كل جانب".^(١)

وعلى هذا تكون الفاصلة القرآنية من المظاهر الصوتية التي تشكل لوحة جمالية تعطي النص القرآني ميزة الإعجاز في الأداء... وقد ساهمت في اختيار الكلمات القرآنية التي تثري السياق وتقوي بنية القراءة القرآنية؛ لإبراز جمال النص القرآني من منابعه اللغوية التي تكسبنا القدرة على التذوق، وتوصلنا إلى صورة مثالية مقنعة لإدراك عظمة كتاب الله - ﷻ -.... وقد اهتم القرآن الكريم باختيار كلمات مناسبة ذات نغمة تؤدي وظيفتها في تشكيل الفاصلة؛ لتولد إيقاعاً يبعث في النفس تصوراً للمعنى.^(٢)

فاستعمال القرآن الكريم للفاصلة مظهر من مظاهر الإعجاز اللغوي عامة والصوتي خاصة وذلك بموقعها من الآية واتصالها بها، وباختيارها دون غيرها، فليست معجزة بمفردها. إذ الفاصلة القرآنية هي كلمة في آخر الآية، هذه الكلمة كغيرها من كلمات القرآن تختار اختياراً دقيقاً لتؤدي الرسالة التي جاءت من أجلها، ويظهر فيها إعجاز القرآن. وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن الكريم بها سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه يفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها.^(٣)

(١) البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص للقرآني) - د / تمام حسان ١٩٥/١، ١٩٦ - عالم الكتب.

(٥) جمال الفاصلة في القرآن - د / عبدالقادر بن فطة . بحث في مجلة عود الند الثقافية الشهرية بالجزائر ص ١٦، ١٧، بتصرف

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٤٤.

ولعل من أهم ما يبرز جمال الأداء في الفاصلة القرآنية :

أ. كثرة استعمال القرآن الكريم في فواصله لوحات صوتية معينة، وذلك مراعاة للبعد الصوتي في الفاصلة القرآنية المتمثل في حسن جرس هذه الوحدات التي كثر استعمالها فيها، وطيب وقعها في السمع ولذاذة مستمعها، وجمال إيقاعها، ورقة نغمتها تارة، أو لإثارة انتباه السامع ودعوته إلى التأمل في مبان كلمات القرآن الكريم تارة ثانية، أو مراعاة للمعنى وإيصاله على نحو بديع معجز تارة ثالثة. كما أن هذه الوحدات التي كثر استعمالها في الفواصل القرآنية تتميز بأن أكثرها يتبعها عند الوقف عليها صوت ذو نغمة محببة تلذ الأذن سماعها كحروف المد واللين لما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام، والنون والميم والراء واللام والباء وغيرها مما يتميز بصفة انفرادية ذات وقع سمعي متميز. وقد ذكر أحد الباحثين المحدثين إحصائية للحروف المستعملة في الفواصل القرآنية ونسب استعمال كل منها في الفاصلة، وقد توصل من خلالها إلى أن حرف النون هو أكثر الحروف وروداً في الفاصلة بنسبة (٥٠,٩٣ %) يليه حرف الميم بنسبة (١٢,٤٠ %)، ثم الراء بنسبة (١١,٠٤ %)، ثم الدال بنسبة (٤,٦٢ %)، ثم الألف المقصورة (٣,٩٢ %) وهكذا إلى أن انتهى من ذكر جميع حروف العربية مرتبة من الأعلى إلى الأدنى حسب نسبة ورود كل منها في الفاصلة وعدد مرات ورودها فيها، وكان آخرها حرف الخاء وذكر أنه لم يرد فاصلة قط ؛ لصعوبتها وصعوبة الوقف عليها. وقد تحدثت عن ذلك تفصيلاً في بحث سابق بما يغني عن إعادته هنا.^(١)

(١) ينظر تفصيل ذلك في : الوحدات القطعية في لغة القرآن الكريم عددها واستعمالاتها والملاحم الصوتية المميزة لها - للباحث . مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط العدد (٣٠) ج (٤) سنة ٢٠١١ م .

أما الصوائت الطويلة لاسيما الألف والياء فقد كثر ورودها فاصلة في القرآن الكريم عن معظم الصوامت، وقد تفوقت الألف على الياء في نسبة الورد ؛ لكونها أسهل الصوائت الطويلة نطقاً، وتلتها الياء ؛ لأنها أوسط الحركات من حيث سهولة النطق بها ؛ وذلك لأن الحركات الطويلة من الحروف الزمانية الصرفة، فهي باقية وممتدة مع الصوت زماناً من دون توهم تكرار، وليست آنية أي منقطعة كالتاء. ^(١) وهذا الامتداد يوجد إيقاعاً لطيفاً خفيفاً يعبر عن حركات سريعة ويقتضي مداً قصيراً له صوته الملائمة. ^(٢)

ب . كثرة ختم الفاصلة القرآنية بالحركات الطويلة – وهو ما يسمى (حروف المد واللين) – قبل الحرف الأخير من الفاصلة في الأكثر. فبتتبع الفواصل القرآنية نلاحظ أنها قد ختمت بالنون أو الميم كثيراً أو بغيرهما، وقد سبقنا بحرف من حروف المد حتى عد ذلك سرّاً صوتياً متجلياً في جزء كبير من فواصل آيات سوره. وسر ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون أو الميم في كثير من الفواصل القرآنية هو ما يتميز به هذان الصوتان الأنفيان من نغمة صوتية محببة في أذن السامع ناتجة عن صفة الغنة، فالنون والميم هما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة مما يسمح بالتنغيم والترديد. ^(٣) فقد جاء القرآن الكريم على أعذب مقطع وأسهل موقف كما ذكر الزركشي. ^(٤) ويقول أحد الباحثين المحدثين: "كثر ورود الحركات وبخاصة الطويلة –

(١) التفسير الكبير – الفخر الرازي ٤٣/١ . دار إحياء التراث العربي / بيروت – ط / ثلاثة ١٤٢٠ هـ، وكتاب المواقف – عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي – تح د / عبد الرحمن عميرة ٢١/٢، ٢٢ – دار الجيل / بيروت – ط / أولى ١٩٩٧ م.

(٢) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٤١.

(٣) لغة القرآن دراسة توثيقية – د / أحمد مختار عمر ص ١٣٢، ١٣٣ . مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .

ط / ثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

(٤) البرهان في علوم القرآن ٦٨ / ١ .

[حروف المد: الألف، والواو، والياء] – بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام، يضاف إلى هذا كثرة ورود الصوامت المتوسطة – (النون . الميم . الراء . الواو . الياء) – وهي قريبة من الناحية الفيزيائية إلى طبيعة الحركات التي تسهم في خاصية التنغيم الشجيّ بشكل واضح. يدعم هذا ظواهر صوتية خاصة بالقرآن: المد والغنة. وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد في غير القرآن من فنون الشعر والنثر^(١). ففي كل منهما خاصية التنغيم الشجيّ النابع من المد والغنة. ووجه الشبه بينهما أن في النون غنةً في الخياشيم، كما أن في حروف المد واللين مدًا، والغنة والمد كل واحد منهما فضل صوت في الحرف^(٢).

ولعل لحروف المد واللين خصوصية في هذا الموضع من الفاصلة القرآنية إذ نراها كثيراً في الموضع الذي يسبق الفاصلة وإن لم يكن بعدها نون ولا ميم، وهذه الخصوصية تبدو في وضوحها السمعي إذ هي أعلى الأصوات وضوحاً في السمع على الإطلاق. كما أن في إطالة زمن النطق بها ترنماً وتنغيماً حسناً. فالغرض في اختيار حروف المد واللين ما يتأتى فيها من مد الصوت، وإنه يمكن فيها من ذلك ما لا يمكن في غيرها كما ذكر التنوخي^(٣).

فحروف المد واللين تمتاز بميزة الوضوح السمعي وسهولة نطقها وهو ما جعلها أصواتاً موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار بجريان الصوت بها وهي بهذا تختلف عن الحروف الساكنة الصحيحة التي هي عبارة عن

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ص ٦٢ .

(٢) الممتع الكبير في التصريف – ابن عصفور ص ١٧٦ – مكتبة لبنان – ط / أولى ١٩٩٦م.

(٣) القوافي – القاضي أبو يعلي التنوخي – تح د / عوني عبد الرؤوف ص ١١٢ – الخانجي / مصر – ط / ثانية ١٩٧٨م.

ضوءاً ناتجة عن الاحتكاك".^(١) وسر ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون أو الميم هو السير على طريقة العرب في الترتمم والإنشاد، فالنون والميم هما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة مما يسمح بالتنغيم والترديد.^(٢) يقول الزركشي: "قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب - (أي جمال التوقيع بحسن الأداء) - بذلك قال سيبويه - رحمه الله - أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت".^(٣)

وأحياناً تخلو الفاصلة من حرف المد ويستعاض عنه بالقلقلة، أو التفخيم، أو الهمس، أو الحلق، أو السكت... مثل سور: الكوثر، والصمد، وأبي لهب، والفلق، والانفطار، والهمزة، ومعظم التكوير، والعصر، وهذا الإيقاع المباشر الصامت والساكن يوحى غالباً بالقوة والفخامة والجلال الجرسى.^(٤)

ج - الإيقاع الصوتي الناشئ من أصوات الحروف والحركات في الكلمة، إذ تساعد الفاصلة القرآنية على تلاوة القرآن مرتلاً أو مجوداً بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل. وهذا الجمال التوقيعي في القرآن لا يخفى على أحد. ويتحقق هذا الجمال التوقيعي في الفاصلة القرآنية في صور عدة أهمها :

(١) ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون - يحيى بن علي المبارك - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد ١٢٠ ص ٤٣٦ - السنة ٣٥ - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

(٢) لغة القرآن دراسة توثيقية ص ١٣٢، ١٣٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٦٨/١، وكتاب سيبويه - تح / عبد السلام محمد هارون ٢٠٤/٤ - الخانجي / القاهرة - ط / ثلاثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٤) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٤١.

- التماثل أو التقارب في الفاصلة: مثال التماثلة قوله ﷻ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا
النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ *
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا
الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ *
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾^(١) فقد انتهت فواصل الآيات الأربع عشرة بالتاء الساكنة. وهي
من الحروف المهموسة، وتساوت الوحدات الصوتية فصارت في دقة النظم وجمال
التركيب تلوينات وتنغيمات صوتية سريعة الحركة لاهثة الإيقاع تشترك بتصويرها
الصوتي في تجسيم المشهد وتمثيله للخيال. ومثل ذلك ما جاء في سورة الشمس التي
ختمت جميع فواصلها بالهاء الممدودة، ولا شك أن الصوت الممدود يترك أثراً عذبا في
نفس المتلقي فينساق له وينجذب إليه.

فالفواصل التماثلة تحقق رتابة في الأداء القائم على وحدة النغمة وحسن وقعها
في السمع نتيجة تكرار الحرف الواحد في عدة فواصل متوالية، ويتجلى هذا النغم
الصوتي المتميز بأبهى صوره وأروع مظاهره في سورة القمر، إذ تختتم فيها الفاصلة
بصوت (الراء) مردداً بين طرف اللسان وأول اللهاة مما يلي الأسنان. وهذا التماثل في
الفواصل القرآنية يشبع رغبة القارئ والسامع في الاستمرار على هذه الوتيرة لاسيما إذا
سبق بحرف من حروف المد أو اللين مما يمكن القارئ من المد والتنغيم الشجي الذي لا
يلبث السامع له والعارف بالبحان العرب في لغتهم إلا أن يقول: "حقاً إن له لحلاوة وإن
عليه لطلاوة وإنه حقاً يعلو ولا يعلى عليه".

(١) سورة التكويد الآيات من (١) إلى (١٤).

إن ورود هذه الآيات في نسق صوتي متجانس، يضفي على الفاصلة القرآنية جمالها وحسها الإيقاعي الهادر، دون تطلع إلى تعبير مماثل أو مغاير، فهي تمتلك النفس، وتأخذ بالإحساس.^(١) ومثل ذلك كثير في فواصل القرآن الكريم لاسيما في السور القصار.

أما الفواصل المتقاربة في الحروف: فتتمثل في الوقوف عند حرف معين للفاصلة في بعض السور، والانتقال منه للوقوف عند حرف آخر للفاصلة مقارب للأول في مخرجه في بعضها الآخر. ومثله ما جاء في سورة الحاقة قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تبصرون * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾^(٢)

فبتأمل الفواصل السابقة يمكننا أن نقول: إذا كانت الفواصل المتماثلة قد حققت رتبة في الأداء القائم على وحدة النغمة وحسن وقعها في السمع نتيجة لتكرار الحرف الواحد في عدة فواصل متوالية، فإن الفواصل المتقاربة تكسر هذه الرتبة وتخلق نوعاً من الدهشة القائمة على الانتظار والمفاجأة المؤسسة على التوقع نتيجة اختلاف الحرف فيها، ولعل في هذا التغيير من الدلالات الجمالية والفكرية ما يؤكد نسق القرآن الصوتي المعجز. وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن الكريم؛ لأن السجع ما تماثلت حروفه كما ذكر الزركشي.^(٣)

(١) الصوت اللغوي في القرآن ص ٢٠٣، ٢٣٣.

(٢) سورة الحاقة الآيات رقم (٣٣ - ٤٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن ٧٥/١.

فتنوع الفواصل ليس معياره كثرة الآيات في السورة وامتداد سياقها بل مرده اقتضاء المعنى والغرض المنصوب له الخطاب.^(١) فالقرآن الكريم يلون وينوع أواخر الفواصل ليحدث تنوعاً في الإيقاع تبعاً لنوع الموضوع والتعبير في السورة الواحدة وهذا ما عليه أكثر الفواصل القرآنية.

- زيادة وحدة صوتية في الفاصلة: عناية للبعد الصوتي، واهتماماً بنسق البيان، ليؤثر في النفس تأثيره الحساس، فتتطلع الأفتدة حين يتواصل النغم بالنغم، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع. وأبرز مظاهر هذه الظاهرة: زيادة هاء السكت في فواصل بعض الآي من سور القرآن الكريم (وهي الهاء التي تلحق أواخر بعض الكلمات عند الوقف عليها) كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيْهَ * تَارَّ حَامِيَةً﴾^(٢) فقد زيدت هاء السكت وألحقت بكلمة (هي) لتوافق الفاصلة الأولى الثانية.^(٣) ونلاحظ - أيضاً - هذا الملحظ في سورة الحاقة وما أضافته (هاء السكت) في لحوقها ببعض الفواصل في جملة من آياتها، فنقف خاشعين مبهورين بهذا الوضع الأدائي الحزين، المنبعث من أقصى الصدر وأواخر الحلق، فتتقطع الأنفاس واجمة ومتفكرة ومتطلعة، فنصادف المناخ المتفائل حيناً، والمتشائم حيناً آخر، ونحن فيما بينهما متأرجحين بين اليأس والرجاء، والأمل والفرح، والخشية والتوقع، فسبحان الله حيث يقول: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُمَّ اقْرَؤُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مَلَكٌ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَشْئِمُ لِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرَمَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا

(١) أنظر توضيح ذلك في العزف على أنوار الذكر ص ٢٦٥ وما بعدها.

(٢) سورة الفارعة : الآيتان رقم (١١٠، ١١١) .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٦٠/١ .

كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ * مَا أُغْنَى عَنِّي مَالِيهِ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ^(١). نلاحظ أن الفواصل (كتابيه، وحسابيه، وكتابيه، وحسابيه، وماليه، وسلطانيه) قد زيدت فيها هاء السكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة والتي اقتضى السياق نطقها هاءاً للتوافق^(٢). أي لتتوافق الهاء إيقاعياً مع التاء المربوطة التي تصير هاءاً بالوقف^(٣). يقول أحد الباحثين المحدثين مبينا جمال الهاء في فواصل هذه الآيات: "نشعر عند نطقنا لصوت الهاء أنه صوت يخرج من أعماقنا مما يجعله صالحاً للتعبير عن مشاعرنا وأحاسيسنا، ولذلك نتصور أنه تعبير عن آهات وحسرات الناس يوم الحشر، وهم حفاة عراة ينتظرون أدوارهم في قلق واضطراب، فمن أخذ كتابه بيمينه فقد فاز الفوز العظيم، ومن أوتي كتابه بشماله فقد خسر الخسران المبين".^(٤)

وهي من ناحية ثانية تبدو في الحالتين - من أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله - تابعة لنفسية المتكلم، وتنبئ عن حالة معينة يعيشها، ونفسية خاصة انعكست بداخلها تلك الحالة التي يعيشها والأحاسيس التي يحس بها كلاهما، فهاء السكت في هذه الآيات تسهم في تمكين الصوت وتوفيقه ليمتد ويقوى في السمع حتى يكون ذلك معبراً عن تلك الحالتين. وهي من ناحية أخرى تعد دليلاً على أن ظاهرة الوقف في القرآن الكريم ليست ناشئة عن تدخل المتلقي في إنتاج أو إظهار جمالية النص القرآني حين تلاوته كما قد يتبادر إلى الذهن وإنما الوقف خاصية أصيلة في بناء النص

(١) سورة الحاقة: الآيات رقم (١٨ - ٢٩) .

(٢) ينظر: من وحي القرآن - د / إبراهيم السامرائي ص ١٢٢ : ١٢٨ - دار الفكر / دمشق ١٩٩٩م.

(٣) الفواصل القرآنية ص ٤

(٤) نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية - د / دفة بلقاسم - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر ٢٠٠٩م.

القرآني كما أنزله رب العزة جل شأنه. وقد عزا العلماء ظهور هذه الهاء في نهاية تلك الكلمات لغرض تبين وإظهار صوت المد الذي في نهاية الكلمة. قال ابن جني: "وذلك أنك لما أردت تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى في السمع، وكان الوقف عليه يضعف الحرف ألحقت الهاء ليقع الحرف حشواً فيبين ولا يخفى".^(١)

ويمكن تعليل ظهور هذه الهاء بأنها امتداد للصوت الخارج من الرئتين الذي يكون الإنسان قد حشده للنطق، وبعد انتهاء النطق المطلوب يزفر الناطق ما تبقي من ذلك الهواء الذي احتشد في الفم فيسمع صوت الهاء الذي هو نفس.^(٢)

ومن هنا ندرك أن هناك سمات إيقاعية في سياق فواصل الآيات، ومن خلال عبارات الجمل والفقرات التي ارتبطت بنسق جمهرة من آيات القرآن المجيد، وأن للإيقاع في فن الأداء القرآني دوره المؤثر في إحداث بعض التغييرات في الفاصلة القرآنية لإحداث لون مهم من ألوان التجانس الصوتي في صياغة النص القرآني ومسيرة للعرب في الترنم والإنشاد كما سبق. كما ندرك أن لكل هذه التغيرات أو المؤثرات الصوتية دورها البارز في التشكيل الإيقاعي للنص القرآني من حيث التخفيف من حدة الإيقاع، أو تكثيفه، أو جعله بين الاثنين كما في زيادة هاء السكت على الفاصلة في الآيات السابقة من سورة الحاقة، وكل ذلك حسب المقام أو الغرض من المقطع.

فكل فاصلة ضمن أسرتها تنزع إلى تحقيق لون جمالي من الجرس الظاهر والخفي، والإيقاع القوي أو السلس الرتيب، القصير والمتوسط والطويل، وتنسجم في تركيب الآية، وتتسق في مهناها حتى يمكن أن تنغم بالصوت الحسن المشروع.^(٣)

(١) الخصائص ٣٣٠/٢.

(٢) صوت الهاء في العربية - د/ إبراهيم كايد محمود مجلة جامعة أم القرى العدد (١٩) ص ٢٥٧ سنة ١٤٣٢هـ.

(٣) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٤١، ٤٢.

رابعاً: المد ودوره في جمال الأداء :

تعتبر أحكام المد والقصر الأساس الأول لدراسة الأحكام الكمية في علم التجويد، وهو من أبرز الحلى المزيّنة لتلاوة القرآن الكريم، مع التسليم بدور هذه الحلى اللفظية في خدمة السياق الدلالي العام لأغراض الخطاب القرآني. ويتم هذا المد لأصوات المد خاصة برفع الصوت وإطالة المد بنداوة^(١).

فظاهرة المد من أغنى أصول الأداء في صيغها ومعانيها، وإنما ثبت المد في الألف والياء والواو لخفائها، فمقصد القراء بيانها وتمكينها، والأصوات اللغوية عامة والمديّة خاصة تتفاوت في مدة النطق بها، وقد ضبط علماء الأداء أوزان أزمنة نطق الحروف القرآنية ضبطاً بلغوا فيه شأواً في الإتقان فنقلوا كيفية النطق بالكلمات القرآنية بأساليب متناهية في الدقة والإحكام تناقلها خلف متبع عن سلف صالح.

فأصوات المد واللين أطول من الأصوات الساكنة، وأصوات المد الطويلة (الياء، والألف، والواو) أطول من أصوات المد القصيرة (الكسرة والفتحة والضمة) ... وتتفاوت أصوات المد في طولها أيضاً، فالفتحة أطول من الكسرة والضمة؛ لاتساع مخرج الفتحة. وأصوات المد الطويلة أطول من صوتي اللين (الياء والواو)؛ لأن طرف اللسان مع الياء اللينة أكثر ارتفاعاً منه نحو الغار مع الياء المديّة، وكذلك أقصاه يكون أكثر ارتفاعاً منه نحو الطبق مع الواو المديّة مما يجعل مجرى الهواء أقل اتساعاً مما هو عليه في المديتين. وذكر ابن جني أن: "الألف أصل المد وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه. وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها، وملحقان في الحكم بها".^(٢)

(١) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٣٤.

(٢) الخصائص ٣/ ١٢٩.

وتمتاز حروف المد واللين (الصوائت) - كما سبق - بميزة الوضوح السمعي وسهولة نطقها وهو ما جعلها أصوات موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار بجريان الصوت بها وهي بهذا تختلف عن الحروف الساكنة الصحيحة (الصوامت) التي هي عبارة عن ضوضاء ناتجة عن الاحتكاك. إلا أن أصوات المد - بحكم طبيعة تكوينها - تكون عرضة للتغيير فقد تطول إلى أكثر من ضعف مما هي عليه، وقد تقصر إلى درجة الصفر. ولم تلق هذه الظاهرة من علماء الأصوات - باستثناء علماء التجويد - اهتماماً، ولعل سر ذلك أن هذه الظاهرة ليست لازمة في كل أشكال النطق العربي، وأن بعضها غير ملزم حتى في تلاوة القرآن الكريم.

فهناك مدود قرآنية خاصة بتلاوة القرآن الكريم يقرأ بها وحده، وتختلف عن المدود المشهورة مثل المد المتصل والمنفصل والعارض للسكون واللازم والصلة الكبرى... فهذه وإن اختص بها القرآن ويمد بعضها على أوجه: القصر والتوسط والطول، فإن مدوداً أخرى تعتمد عليها قراءات ثابتة أيضاً. وهذه وتلك تجعل اللفظة أو الجملة القرآنية ذات نفس مديد صوتي وإيقاعي تزيد من طلاوتها وجمالها وأثرهما. ومن هذه المدود :

- مد الحجز: وهو مد يفصل بين همزتين فيخففهما، وذلك في نحو: (أَنْذَرْتَهُمْ)، (أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا)، (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ)، (إِذَا)^(١). فللقراء في الهمزة الثانية أربعة مناهج هي: تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وبها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (أَنْذَرْتَهُمْ)، وتحقيق الهمزتين معاً وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمره والكسائي^(٢).

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٢٠٦.

(٢) إعراب القرآن - أبو جعفر النحاس - تح / زهير غازي زاهد ١٨٤/١ عالم الكتب - ط / ثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

وتحقيقهما وزيادة ألف بينهما ونسبها الأزهرى لنافع^(١). وعزاها غيره لهشام (أنذرهم)^(٢). وتحقيق الأولى وتخفيف الثانية وزيادة ألف بينهما وعزاها الأزهرى لأبى عمرو، وعزاها غيره لأبى عمرو وقالون وهشام، والمسيبى^(٣). ونسبت أيضاً لأبى جعفر (٤). فزيادة الألف بين الهمزتين يسمى مد الحجز وله دوره المؤثر في جمال الأداء.

- مد العدل: وهو في كل حرف مشدد وقبله حرف مد لين، نحو: (الضالين)، وذلك لأنه يعدل حركة أي يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين.
- مد الروم: وهو تليين الهمزة من غير إخفاء أو تحقيق، وذلك في نحو: ها أنتم، فيشار إلى الهمزة فلا تخفى ولا تترك أصلاً. (وهو ما يسمى قراءة الهمزة بين بين).
- مد الفرق: وهو المد الذي يفرق بين الاستفهام والخبر في مثل قوله تعالى: (آلآن).^(٥)

ومن هنا كانت لبعض المدود القرآنية طبيعة صوتية وطريقة أدائية خاصة تختلف باختلاف القراء، وهذه الطرق المتنوعة تجعل للمد القرآني ترناً خاصاً ذا ذائقة سمعية محببة تختلف عن أي منطوق آخر، وجرساً إيقاعياً عذباً ومؤثراً في جمال الأداء، بل

(١) معاني القراءات - أبو منصور الأزهرى - تح د / عيد مصطفى درويش، وآخر ١٢٩/ ١٩٩١ / ط / أولى ١٩٩١/١٤١٢.

(٢) المجيد في إعراب القرآن المجيد - إبراهيم بن محمد الصفاقسى - تح / عبدالعزيز أحمد محمد إسماعيل ٦٨/١ رسالة دكتوراة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة برقم (١٢٧٨) سنة ١٩٧٨م.

(٣) التذكرة في القراءات - ابن غلبون - تح د / عبدالفتاح بحيرى ١٥٢/١ - الزهراء للإعلام العربى - ط / أولى ١٩٩٠/ ١٤١٠م.

(٤) التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة لأصحابها أبو جعفر المدنى، ويعقوب البصرى، وخلف الكوفى - د / على محمد فاخر ٥٢/١ - مكتبة وهبه - ط / أولى ١٤٢٠ / ١٩٩٩م.

(٥) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٢٠٦.

وتنغيماً جميلاً يضيف على المعنى المراد من الأداء تحديداً دقيقاً ويكسبه لوناً تركيبياً معيناً يتفق مع السياق والمقام.

وقد قدر علماء التجويد أصوات المد بتشكلاتها المختلفة بالحركات وبالألفات، ومثلوا ذلك برفع الأصبع وخفضها، وقد بين علماء الأصوات المعاصرين بالاعتماد على الأجهزة الحديثة أن طول الحركة أو زمن امتداد الحركة بالثانية هو (٠,١٦) من الثانية.^(١) والألف ضعف ذلك، وعلى هذا يكون زمن النطق بالمد الطبيعي أو الأصلي هو (٠,٣٢) من الثانية. وسمي أصلياً لأصلته بالنسبة إلى غيره من المدود، وذلك لثبوته على حالة واحدة وهي مده حركتان فقط. وسمى طبيعياً؛ لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيده ولا ينقصه عن حركتين. وحكمه الوجوب.^(٢) لكن هذه الأصوات قد تطول أكثر من زمن نطقها الطبيعي وهو إطالة الصوت بالحركة القصيرة حتى تبلغ أربعة أمثالها أو خمسة أو ستة فتصل إلى (٠,٩٦) عند بعض القراء، وهو أداء اختص به النص القرآني دون سواه ومشروط بضوابط وأسباب يتحقق بها وقد سماه علماء التجويد بالمد الفرعي. وعرفوه بأنه "زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه".^(٣) وهو ما يعنيه أهل الأداء عند استخدامهم لهذا المصطلح. وهو موضع اهتمامهم فبينوا حقيقته، وسببه، وأقسامه، ومقاديره، ومحاذيره، وأنواعه. وليس هذا مجال تفصيلها.

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية - د / محمد حسن جبل ص ١٨٧ - مكتبة الآداب / القاهرة - ط / رابعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٢) عن علم التجويد القرآني ص ٣٢٣.

(٣) الإتيان في علوم القرآن ١ / ٢٥٧.

وقد اختلف القُراء في تقدير المدّ فمنهم من رآه طويلاً، ومنهم من رآه قصيراً، ومنهم من بالغ في القَصْر، ومنهم من تزايد فحمزة وورش بمقدار سِتِ لغات وقيل خمس وقيل أربع وعن عاصم ثلاث وعن الكسائي ألفان ونصف وقالون ألفان والسوسي ألف ونصف.^(١)

واختلاف القراء في إشباع المد وتطويله أو العكس إنما هو على قدر قراءتهم وتمهلهم أو حذرهم، فليس مدّ من يتمهل ويرتل كمّد من يحذر ويسرع. ونحو من هذا قول برتيل مالمبرج: " فأول ما يجب أن نلاحظه هو أن كمية كل صوت تتوقف على سرعة الإلقاء، وأنه كلما ازدادت سرعة الكلام ازداد كل صوت في القصر، والعكس صحيح... وحكى أبو علي عن أبي الحسن قوله في المد: " والعرب تفعل هذا في حال التطريب، وإذا أراد أحدهم الرقة والترتيل ".^(٢)

فالعرب تستعمل المد عند التطريب وقد حكى أبو علي عن أبي الحسن قوله في المد: " والعرب تفعل هذا في حال التطريب، وإذا أراد أحدهم الرقة والترتيل ".^(٣)، وكذا عند تعظيم الأمور بالوعظ والتهديد وما أشبه ذلك... وللمد سمته البارزة في التغني بالقرآن الكريم التي تضي على القراءة طلاوة وحلاوة، وقد عد بعض العلماء السبب في وقوعه في ختم الآيات وجود التمكن من التغني، ذلك أن المدود تعطي القارئ مساحة أكبر للتغني؛ لما فيها من امتداد للصوت وقابلية للترنم. فتنوع المدود في القرآن الكريم

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٩ .

(٢) الصوتيات - برتيل مالمبرج - ترد / محمد حلمي هليل ص ١٠٠ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / الخرطوم ١٩٨٥م.

(٣) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات - عبد البديع النيرباني ص ٢٠٦ - دار الغوثاني / دمشق ط / أولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

يعد ظاهرة جمالية عجيبة الشأن، كما يمكن المد القارئ من تصوير المعاني وبمساعدة على إيضاح دلالاتها. (١)

أما أسبابه: فقد حصرها العلماء في سببين: أحدهما لفظي وهو ما يجاور حرف المد في السياق فيتأثر به من حيث مقداره في الأداء، وذلك إذا جاور حرف المد الهمز قبله أو بعده، أو السكون؛ لذا قسموا المد الفرعي إلى قسمين هما: مد فرعي بسبب الهمز، ومد فرعي بسبب السكون. (٢) وقسموا المد الفرعي بسبب الهمز إلى ثلاثة أقسام هي:

• المد المتصل: وهو الذي ترد فيه الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة. (٣) وحكمه وجوب المد باتفاق القراء. وإن تفاوتوا في مقداره. فأكثره بمقدار ثلاث ألفات وأقله بمقدار ألف ونصف. (٤) وذلك كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥)

• المد المنفصل: وهو ما كان فيه حرف المد آخر كلمة والهمزة أول كلمة أخرى. (٦) وحكمه الجواز أي يجوز مده وقصره، فابن كثير والسوسني يقصرانه ويمدانه، والباقون يمدونه بلا خلاف. وإن تفاوتوا في مده فأكثرهم يمدّه بمقدار ثلاث ألفات، وأقله ألف. (٧) ومنه قوله - ﷺ -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبَاعٍ﴾ (٨)

(١) إبراز المعاني بالأداء القرآني ص ٥٥ بتصرف .

(٢) النشر ١/ ٣٤٤ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) نهاية القول المفيد في علم التجويد - الشيخ / محمد مكي نصر ص ١٣٢، ١٣٣ بتصرف - مصطفى الحلبي ١٣٤٩هـ .

(٥) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

(٦) الإتيان في علوم القرآن ١/ ٢٥٧، ونهاية القول المفيد ص ١٣٤ .

(٧) نهاية القول المفيد ص ١٣٤ بتصرف .

(٨) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

• المد البذل وهو: الذي يتجاور فيه صوت الهمزة وصوت المد، شريطة أن يأتي الهمز أولاً والمد ثانياً.^(١) في كلمة أو في كلمتين. وحكمه جواز مده وقصره. فيجوز للقارئ أن يمهده على طبيعته بمقدار حركتين، ويجوز له أن يمهده بمقدار أربع حركات، كما يجوز له أن يمهده مداً مشبعاً بمقدار ست حركات.^(٢) وسمي بالبذل؛ لأن حرف المد فيه مبدل من الهمزة غالباً ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ، وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾.^(٣)

أما المد الفرعي بسبب السكون فقد قسمه علماء التجويد إلى :

• المد اللازم: وهو الذي يأتي بعد صوت المد فيه صوت ساكن مشدد في كلمة واحدة نحو: (الحاقّة) في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾.^(٤) و(حاج) بتضعيف الجيم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٥) ويسمى المد اللازم الكلمي المثلث. أو غير مشدد نحو (الآن) في قوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾.^(٦) ويسمى المد اللازم الكلمي المخفف. أو يأتي بعد صوت المد فيه صوت ساكن سكوناً أصلياً مشدداً في حرف من فواتح السور مثل: (الم): ألف لام ميم، فإن الميم الساكنة في كلمة (لام) جاءت بعد ألف المد وقد أدغمت في الميم الأولى في كلمة (ميم) ويسمى المد اللازم الحرفي المثلث. أو يأتي بعد صوت المد فيه

(١) عن علم التجويد القرآني ص ٣٥٠.

(٢) السابق ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) سورة سبأ الآيتان (٤، ٥).

(٤) سورة الحاقة الآيات (٣، ٢، ١).

(٥) سورة البقرة آية (٢٥٨).

(٦) سورة الأنفال آية (٦٦).

صوت ساكن سكوناً أصلياً غير مشدد في حرف من فواتح السور نحو: (ص) صاد، (ق) قاف، ويسمى المد اللازم الحرفي المخفف. وسمى لازماً؛ لأن السكون الموجب له لازم في الكلمة. وقدر مده بمقدار ست حركات وهو المعروف بمرتبة الإشباع. وحكمه الوجوب.^(١) لذا قسمه علماء الأداء القرآني إلى أربعة أقسام هي: المد اللازم الكلمي المثقل، والمد اللازم الكلمي المخفف، والمد اللازم الحرفي المثقل، والمد اللازم الحرفي المخفف. فيجعلون طولها. حروف المد الثلاثة. ووفاء الصوت بها عوضاً عما كان يجب لالتقاء الساكنين - حشوا - من تحريكها.^(٢)

• المد العارض: وهو أن يقع بعد حرف المد أو اللين ساكن عارض لأجل الوقف أو للإدغام عند بعض القراء كالإدغام الكبير لأبي عمرو من رواية السوسي. وحكمه الجواز. أي جواز مد وقصره؛ لذا كان للقراء فيه ثلاثة مذاهب: الإشباع كاللازم لاجتماع الساكنين اعتداداً بالعارض. التوسط لمراعاة اجتماع الساكنين مع ملاحظة كونه عارضاً فحطه عن الأصل. القصر لعروض السكون فلا يعتد به؛ لأن الوقف يجوز فيه التقاء الساكنين مطلقاً.^(٣) وسببه: هو وجود الصوت الساكن بعد أصوات المد واللين، سواء أكان هذا عارضاً نتيجة للوقف على هذا الصوت التالي لصوت المد كما في (الرحيم... وغفور) أم كان عارضاً بسبب الإدغام الكبير على مذهب أبي عمرو كما في قوله تعالى:

(١) عن علم التجويد القرآني ص ٢٧١.

(٢) الخصائص ٣ / ١٢٨.

(٣) نهاية القول المفيد ص ١٤٠ - ١٤١ بتصرف.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. (١) فالقارئ لكتاب الله - ﷻ - يطيل في زمن

صوت المد عن قدره الطبيعي ليتمكن من نطق الصوت الساكن بعده. (٢)

أما عن دور المد الفرعي أو الزائد في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم فيرى أحد الباحثين المحدثين أن إطالة أصوات المد الطويلة قبل الهمزة الصوت القوي الشديد يمنح الأداء العذب في تنوع الدرجات والوحدات الزمنية للمسموع، وهذا يعني علواً في أصوات المد يقابله هبوط في صوت الهمزة مما يحدث إيقاعاً أدائياً عذباً. (٣)

وكثيراً ما يستخدم المد في القرآن الكريم ليلائم الجو العام ولينسجم مع قواعد تشكيل الأداء الجميل المؤثر والدال. فهناك مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد وبالرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعدّ بالأصابع، فإننا نجد القرآن الكريم يستعمل أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً؛ فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدتها، لتستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتبليغ والرصد والتفكير. من تلك الألفاظ: الحاقّة، الطامة، الصاخة. وقد تأتي مجردة عن التعريف فتتهدي إلى عموميتها، مثل: دابة. كافة. هذه الصيغة صوتياً تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيراً بتفاعل الوجدان معها مترقباً؛ الأحداث، المفاجئات، النتائج المجهولة.

فمثل هذه الكلمات (الحاقّة، والطامة، والصاخة)؛ تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع، كل ذلك مما يوضح مجموعة العلاقات القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل

(١) سورة البقرة آية (٢).

(٢) عن علم التجويد القرآني ص ٣٥٦.

(٣) إطالة أصوات المد في الأداء القرآني ص ٢٧ بتصرف.

هذه العائلة الصوتية الواحدة، فإذا أضفنا إلى ذلك معناها المحدد في كتاب الله تعالى - ﷻ -
-، وهو يوم القيامة، خرجنا بحصيلة علمية تنتهي بمصابقة الشدة الصوتية للشدة الدلالية
بين الصوت والمعنى الحقيقي.^(١) وغالبا ما يكون ذلك في المد الذي يعقبه صامت مشدد أي
في المد اللازم الكلمي المثلث وهو نوع من أنواع المد الفرعي بسبب السكون كما
ذكرنا.

* * *

(١) الصوت اللغوي في القرآن ص ١٦٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد تم هذا البحث بنعمة الله وفضله، وقد خلص هذا البحث إلي نتائج كثيرة، أهمها

ما يلي:

١. يمثل الأداء الصوتي جانباً مهماً من جوانب اللغة، وأساساً من الأسس التي يبنى عليها الكلام، وتدرّك من خلالها الأفهام مراد المتكلم. وتنبع فائدته أساساً من اتصاله بالأداء الحسن لكتاب الله - ﷺ - فالأداء الصوتي للنص القرآني يزيد المعنى جمالاً ويكسب اللفظ نغماً يأسر القلب، يأخذ اللب، لذا كان تعلمه من أجل العلوم نظراً لهذا الارتباط.

٢. لتلاوة القرآن الكريم أسلوب فريد، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع، وملائمة الطبع، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته، وهذا الأسلوب الخاص الذي تفرّد به القرآن الكريم تلاوةً وأداءً - يعتمد أساساً على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، وتدبر المعنى، وتفهم المغزى، مع لطف الأداء الصوتي، وجمال النطق به، والترديد له.

٣. للأداء القرآني من ذي صوت حسن رقيم اجتمعت فيه مقومات الصوت الجميل أهمية بالغة في فقه لغة العرب وإدراك أسرارها الجمالية وقيمها التعبيرية.

٤. أن لجمال الأداء لآي الذكر الحكيم أثر كبير في نفس السامع، وسيدنا محمد - ﷺ - هو أوّل من أسّس تلاوة القرآن وقراءته بصوت حسن، وكان يؤكّد كثيراً على قراءة القرآن بالأصوات الحسنة فجاءت في هذا المجال أحاديث كثيرة تؤكّد على

حسن الأداء والقراءة الصحيحة بل دعت صراحة إلى التغني بالقرآن الكريم حال ترتيله، فالصوت الحسن مع مراعاة أحكام التجويد يزيد في جمال القرآن، وله أثر في نفس الإنسان.

٥. يشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم أو الترنم به الالتزام بأحكام التجويد وآداب التلاوة، والخروج عن نغم الألحان الموسيقية، لأنه إذا كان القارئ متحاشياً الأنغام الموسيقية وألحان أهل الفسق قارئاً على لحن العرب محسناً صوته فلا مجال للطعن فيه، كما يشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن ألا يغير التلحين والتطريب من ألفاظ القرآن، أو يخلّ بما نقل إلينا من طرق الأداء، وألا يكون تكلفاً وتصنعاً ورفعاً وخفضاً على نحو توقيعات الموسيقى، فلا كلام في أن هذا ممنوع ومحرم، كما يشترط في جمال الأداء معرفة القارئ بالسياقات والأغراض القرآنية وما تشتمل عليه من وعد ووعد، ومن إنذار وتخويف أو تبشير... إلخ وكيفية تأديتها بحيث تثير في المستمع لآي الذكر الحكيم إحساساً وتفاعلاً مع المشهد المتحدث عنه وكأنه ماثل أمام عينيه، وهذا لا يعني العلم بالمقامات الصوتية أو الموسيقية فقد كره القراءة بها المالكية وبعض الحنابلة. فالقارئ المتقن لأحكام التلاوة والعارف بالسياق القرآني أو الغرض من الآية وسبب نزولها يعرف كيف يختار الأداء المناسب لتلاوته وطبقات صوته من دون إخلال بالأحكام التجويدية المطلوبة، ومن دون تعلم فن المقامات الموسيقية؛ لأنها عدول بالقرآن عن نهجه القويم إذ تنافي جلال القرآن وتخرج عن قواعد أدائه. فالقارئ الجيد من إذا سمعته يترنم بالقرآن حتى إنه تارة (بيكيك) وتارة (يطربك).. وذلك بطريقة ترتيله وباستغلال طبقات صوته المتعددة ونبراته المتنوعة إذا أحسن توظيفها واستغلالها والتنقل بينها، والقارئ المتقن لأحكام التلاوة وللأغراض القرآنية يعرف كيف يختار المقام المناسب لتلاوته وطبقات صوته من دون إخلال بالأحكام التجويدية

المطلوبة، وإنما يستغل صوته الحسن الرخيم في تصوير المشهد الذي يقرأه بدقة كأنك تعيشه فيريك المعقول محسوساً، والمعنوي مجسداً.

٦. أن للعوامل الفسيولوجية (العضوية) دوراً رئيساً في الإحساس بجمال الأداء لأي الذكر الحكيم واختلاف الصوت الصادر عنها جمالاً وتأثيراً في نفوس المستمعين، أو قبحاً وعدم تأثر بالأداء. ونتيجة للاختلاف التكويني لأعضاء النطق بين القراء وغيرهم تفاوت القراء في حسن الأداء وجمال الصوت.

٧. يستطيع القارئ بما يمتلكه من مرونة في أعضاء نطقه التحكم في عمق الصوت وحدته وتغيير نبراته وغير ذلك مما يمنح الأداء جمالاً وحلاوة حسب مقدار هذه المرونة. وهذه المرونة يمكن اكتسابها عن طريق تدريب اللسان على النطق الصحيح وإخراج الحروف من مخارجها مع المحافظة على الجرس النغمي للكلمة والعبارة، وخاصة اللسان والفك الأسفل وعضلات الحنجرة.

٨. لمدى قدرة القارئ على التحكم في تيار النفس وتنظيمه وضبطه دور بارز في تحسين الأداء وتناغمه في صورة أخاذة تشد السامعين إلى التأثير بجماله. كما يعد غيابها في ذات الوقت مدعاة للانصراف عن القارئ وذهاب جمال الأداء كلية عنه. وعن طريق تنظيم التنفس - أيضاً - يمكن للإنسان أن يتحكم في حدة صوته ونغمته أي شدته ودرجته.

٩. القارئ الجيد هو الذي يستطيع التحكم - عن طريق السيطرة على أعضاء نطقه - في نبرات صوته ويتنقل بين طبقاته - حسب المقام وحسب طبيعة صوته - بطريقة سلسلة ومهارة متقنة يستطيع من خلالها جذب انتباه السامع والتفاعل معه. وذلك بالانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة أخرى بطريقة طبيعية ومنضبطة... إن صوت القارئ

قادر بطبقاته المتعددة علي عكس الحالة التي يريد القرآن أن يوصلها إلي قرائه أو مستمعيه

١٠. تجعل قواعد التلاوة والتجويد لأسلوب القرآن الكريم انسجاماً وإيقاعاً عذبا جميلاً، وهذه القواعد ليست شيئاً طارئاً على القرآن، وليست خارجة عنه بل هي من ذات القرآن ؛ لأنها أصول تتعلق بصحة تلاوته.. فالتجويد حلية التلاوة، وزينة القراءة.

١١. للإيقاع في الأداء القرآني دور بارز ومؤثر في جمال الأداء، والقراء يتفاوتون ويتفاضلون في أداء هذه الطرق الإيقاعية، وعلى قدر تفاوتهم يكون الإحساس بجمال الأداء أو العكس.

١٢. للقرآن الكريم – وهو بلغة العرب – لغة ذات طبيعة أدائية خاصة تميزه عن لغة أي نص آخر كتب بهذه اللغة.

* * *

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

- القرآن الكريم.
- إبراز المعاني بالأداء القرآني - د/ إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري - دار الحضارة للنشر / السعودية - ط / أولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- أحمد بن محمد شهاب الدين الشهير بالبناء - تح/ أنس مهرة - دار الكتب العلمية / لبنان - ط / ثلاثة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- الإتيان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد - دراسة تأصيلية - د/ باسم بن حمدي بن حامد السيد - دار الحضارة للنشر / الرياض - ط / أولى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- أحكام القرآن - القاضي أبو بكر بن العربي - راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه / محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / ثلاثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- إحياء علوم الدين - محمد بن محمد الغزالي أبو حامد - دار المعرفة / بيروت.
- الإدراك الآلي للنظام الأدائي في اللغة العربية في ضوء ظاهرة التزمين - د / أميرة زين رفاعي سمبس - المملكة العربية السعودية / كلية التربية للبنات مكة المكرمة.
- إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي ﷺ . أصحابه ألفاظ القرآن الكريم = المنهج النبوي في التعليم القرآني . عبد السلام مقبل اليمني . دار الإيمان / الإسكندرية، مصر . ط / أولى ٢٠٠٤م.
- أساس البلاغة - الزمخشري - تح/ محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية/بيروت - لبنان
- أسباب التعدد في التحليل النحوي - د / محمود حسن الجاسم - المكتبة الشاملة.

• أصوات العربية بين الوصف والتنظيم - د / محمد عبد الحفيظ العريان - مطبعة أبناء وهبة حسان - طنطا - ط / أولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.

• أصوات اللغة - د / عبد الرحمن - مكتبة الشباب - من دون تاريخ.

• الأصوات اللغوية - د / إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٩٥ م.

• الأصوات اللغوية - د / زين كامل الخويسكي - دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

• أصوات حروف القلقة بين المتقدمين والمتأخرين - فرغلي سيد عرباوي - زوائد النسخة المكية.

• إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء) - د / صبري الأشوح - مكتبة وهبة / القاهرة - ط / أولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

• إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي / بيروت - ط / ثامنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.

• إعراب القرآن - أبو جعفر النحاس - تح / زهير غازي زاهد - عالم الكتب - ط / ثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

• البحث اللغوي عند إخوان الصفا - د / أبو السعود الفخراي - مطبعة الأمانة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

• البحث اللغوي عند العرب - د / أحمد مختار عمر - عالم الكتب - ط / ثامنة ٢٠٠٣ م.

• البديع في ضوء أساليب القرآن - د / عبد الفتاح لاشين - دار الفكر العربي / القاهرة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

• البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي - تح / محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه - ط / أولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م.

• البلاغة الصوتية في القرآن الكريم - د / محمد إبراهيم شادي - مطبعة الرسالة - ط / أولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

• بيان إعجاز القرآن - أبو سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - سلسلة ذخائر العرب - دار المعارف / مصر.

- البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص للقرآني) - د / تمام حسان - عالم الكتب / القاهرة.
- البيان والتبيين - الجاحظ - تح / المحامي فوزي عطوي - دار صعب / بيروت - ط / أولى ١٩٦٨م.
- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي - د / شوقي ضيف - دار المعارف / مصر.
- تاريخ الأدب العربي - مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي.
- تاريخ دمشق - ابن عساكر - تح / عمرو بن غرامة العمروي - دار الفكر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- التحديد في الإتيان والتسديد في صنعة التجويد - أبو عمرو الداني - تح د / غانم قدوري الحمد - مكتبة دار الأنبار / بغداد - ط / أولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م.
- تذكرة الحفاظ - شمس الدين الذهبي - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- التذكرة في القراءات - أبو الحسن طاهر بن غلبون - تح د / عبدالفتاح بحيري إبراهيم - الزهراء للإعلام العربي - ط / أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- التصوير الفني في القرآن - الشيخ / سيد قطب - دار الشروق / مصر - ط / رابعة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- التعبير القرآني - د / فاضل صالح السامرائي - دار عمار / عمان - ط / رابعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- التغني بالقرآن - لبيب السعيد - الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) - أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي - تح / محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم - أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم - تح / أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز / المملكة العربية السعودية - ط / الثالثة ١٤١٩هـ.
- التفسير الكبير - الفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي / بيروت - ط / الثالثة ١٤٢٠هـ.
- تفسير آيات الأحكام - محمد علي سايس - تح / ناجي سويدان - المكتبة العصرية ٢٠٠٢م.

- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين - أبو الحسن النوري الصفاقسي - تح / محمد الشاذلي النيفر - مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
- تهذيب اللغة - أبو منصور الأزهري - تح / عبد السلام هارون وآخرين - الدار المصرية / مصر الجديدة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة لأصحابها أبو جعفر المدني، ويعقوب البصري، وخلف الكوفي - د / علي محمد فاخر - مكتبة وهبه - ط / أولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير أبو جعفر الطبري - تح / أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط / أولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - تح / أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - ط / ثانية ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن - د / كاصد ياسر حسين.
- جمال التلاوة في الصوت والنغم - جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد - بيروت / لبنان - ط / أولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي - تح د / علي حسين البواب - مكتبة التراث / مكة المكرمة - ط / أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- جماليات المفردة القرآنية - د / أحمد ياسوف - دار المكتبي / دمشق - ط / أولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل بواعثه ومخططاته - لبيب السعيد - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
- جمهرة اللغة أبوبكر بن دريد - تح / رمزي منير بعلبكي - دار العلم للملايين / بيروت - ط / أولى ١٩٨٧ م.

- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات عبد البديع النيرباني - دار الوثائق / دمشق - ط / أولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- الخصائص - أبو الفتح بن جني - الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة - ط / رابعة.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - د / محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - ط / سابعة
- الخطابة - د / نقولا فياض - طبعة دار الهلال / مصر ١٩٣٠م.
- الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب - الشيخ / محمد أبوزهرة - دار الفكر العربي - ط / ثانية ١٩٨٠م.
- خلق أفعال العباد - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - تح د / عبد الرحمن عميرة - دار المعارف / السعودية - الرياض.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد - د / غانم قدوري الحمد - مطبعة الخلود / بغداد - ط / أولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- دراسات في أسلوب القرآن الكريم - الشيخ / محمد عبد الخالق عزيمة.
- دراسات في علم اللغة - د / كمال محمد بشر - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة.
- دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل - دار المنار - ط / ثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك) - د / سعد عبد العزيز مطروح - عالم الكتب / القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- دراسة الصوت اللغوي - د / أحمد مختار عمر - عالم الكتب / القاهرة - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون - القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمـد نكري . تح وتعريب / حسن هاني فحص . دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني - أبوبكر عبد القاهر الجرجاني - تح / محمود محمد شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة - ط / ثلاثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ديناميكية الأداء الصوتي في القرآن الكريم - نعيم الحمصي - مؤسسة الرسالة / بيروت - ط / ثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة - مكى بن أبى طالب . تح د / أحمد حسن . دار الكتب العربية.
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام - محمد علي الصابوني - مكتبة الغزالي / دمشق، ومؤسسة مناهل العرفان / بيروت - ط / ثلاثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- روح البيان - إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي - دار الفكر / بيروت.
- سر صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جنى - تح / أحمد فريد أحمد - المكتبة التوفيقية.
- سنن ابن ماجه - أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني - تح / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية / فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث - تح / محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية / صيدا - بيروت.
- سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - تح / أحمد محمد شاكر، وآخرين - مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر - ط / ثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- السيرة النبوية - عبد الملك ابن هشام - تح / مصطفى السقا، وآخرين - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / مصر - ط / ثانية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

- شرح السنة - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - تح / شعيب الأرناؤوط، وآخر - المكتب الإسلامي / دمشق، بيروت - الطبعة / الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- شرح تشريح القانون - ابن النفيس - تح / سلمان قطاية السوري الحلبي - المكتبة الشاملة.
- شرح صحيح البخاري لابن بطلال - ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك - تح / أبو تميم ياسر بن إبراهيم - مكتبة الرشد / السعودية، الرياض - ط / ثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م
- شعب الإيمان - أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي - تح د / عبد العلي عبد الحميد حامد - مكتبة الرشد / الرياض - ط / أولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية - أبو السعد زين الدين بن محمد الطَّبَّلاوي - تح د / علي سيد أحمد جعفر - مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ط / أولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان التميمي أبو حاتم - تح / شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة / بيروت - ط / ثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي.
- الصوت اللغوي في القرآن - محمد حسين علي الصغير - دار المؤرخ العربي / بيروت - ط / أولى.
- الصوتيات العربية - د / منصور بن محمد الغامدي - مكتبة التوبة بالرياض ط / أولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- طبية النشر في القراءات العشر - شمس الدين بن الجزري - تح / محمد تميم الزغبى - دار الهدى / جدة - ط / أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم - نذير حمدان - دار المنايرة جدة / السعودية - ط / أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة - د / محمود توفيق سعد

• علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) - د/ عصام نور الدين - دار الفكر اللبناني / بيروت ط / أولى ١٩٩٢م.

• علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام - د / محمد محمود عبد العزيز النحاس - المكتبة الشاملة.

• علم الصوتيات - د/ عبد الله ربيع، ود/ عبد العزيز علام - مكتبة الطالب الجامعي / مكة المكرمة - ط / ثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

• علم اللغة - د / علي عبد الواحد وافي - نهضة مصر - الطبعة / الأولى.

• علم اللغة العام (الأصوات) - د / كمال محمد بشر - دار غريب / القاهرة ٢٠٠٠م.

• عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

• عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة - د/ عبد العزيز أحمد علام - ط / أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

• عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم - سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد . الناشر / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

• غرائب القرآن ورغائب الفرقان - نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري - تح الشيخ / زكريا عميرات - دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤١٦هـ.

• فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه / محمد فؤاد عبد الباقي - دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩هـ.

• فتوح مصر وأخبارها - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري - تح / محمد الحجيري - دار الفكر / بيروت - ط / أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

• فضائل القرآن - أبو الفداء إسماعيل بن كثير - مكتبة ابن تيمية - ط / أولى ١٤١٦هـ.

• فن الإلقاء - محمد عبد الرحيم عدس - دار الفكر / الأردن - ط / أولى.

- فن الخطابة - للشيخ / علي محفوظ - طبعة / دار الاعتصام.
- الفواصل القرآنية دراسة بلاغية - د / السيد خضر - مكتبة الإيمان بالمنصورة.
- الفوز الكبير في أصول التفسير - الإمام / أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ ولي الله الدهلوي - عَرَبَهُ من الفارسية / سلمان الحسيني الندوي - دار الصحوة / القاهرة - ط / ثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- في ظلال القرآن - الشيخ / سيد قطب - دار الشروق / بيروت، القاهرة - طبعة (١٧) ١٤١٢هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير - زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي - المكتبة التجارية الكبرى / مصر - ط / أولى ١٣٥٦هـ.
- قالوا عن القرآن - د / عماد الدين خليل - المكتبة الشاملة.
- القاموس المحيط - الفيروز أبادي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية - محمد حبش - دار الفكر / دمشق - الطبعة / الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- القوافي - القاضي أبو يعلى التنوخي - تح د / عوني عبد الرؤوف - الخانجي / مصر - ط / ثانية ١٩٧٨م.
- كتاب المواقف - عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي - تح د / عبد الرحمن عميرة - دار الجيل / بيروت - الطبعة / الأولى ١٩٩٧م.
- كتاب سيبويه - تح / عبد السلام محمد هارون - الخانجي / القاهرة - ط / ثلاثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - محمد علي التهانوي - مكتبة لبنان ناشرون / بيروت ١٩٩٦م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن - أبو إسحاق الثعلبي - تح الإمام / أبي محمد بن عاشور - دار إحياء التراث العربي بيروت / لبنان - الطبعة / الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي - تح / بكري حيان، وصفوة السقا - مؤسسة الرسالة - ط / خامسة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر / بيروت - ط / الثالثة ١٤١٤هـ.
- اللغة - فندريس - ترد / عبد الحميد الدواخلي، ود / محمد القصاص - طبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠م.
- اللغة العربية أداءً ونطقاً وإملاءً وكتابةً - فخري محمد صالح - الوفاء للطباعة النشر.
- لغة القرآن دراسة توثيقية - د / أحمد مختار عمر - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - ط / ثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- مباحث في علوم القرآن - د / صبحي الصالح - دار العلم للملايين - الطبعة (٢٤) - ٢٠٠٠م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تح / حسام الدين القدسي - مكتبة القدسي / القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- محاولة في أصل اللغات - جان جاك روسو - تعريب / محمد محجوب - دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ١٩٨٦م.
- المختصر في أصوات اللغة العربية (دراسة نظرية وتطبيقية) - د / محمد حسن جبل - مكتبة الآداب / القاهرة - الطبعة / الرابعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة - د / صلاح الدين صالح حسنين - ط / أولى ١٩٨١م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي - د / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي / القاهرة - الطبعة / الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- مدخل إلى معرفة اللسانيات - د / محمد إسماعيل بصل - دار المتنبي / دمشق.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل - تح / شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين - مؤسسة الرسالة - الطبعة / الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - مسلم بن الحجاج - تح / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - حافظ بن أحمد بن علي الحكمي - تح / عمر بن محمود أبو عمر - دار ابن القيم / الدمام - الطبعة / الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - تح / عبد الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي / بيروت - الطبعة / الأولى ١٤٢٠هـ.
- معاني القراءات - أبو منصور الأزهري - تح د / عيد مصطفى درويش، ود / عوض بن حمد القوزي - دار المعارف - ط / أولى ١٤١٢ / ١٩٩١م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن - السيوطي - دار الكتب العلمية / بيروت ط / أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المعجزة الكبرى القرآن - محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة - دار الفكر العربي.
- المعجم - أبو يعلى أحمد بن علي التميمي - تح / إرشاد الحق الأثري - إدارة العلوم الأثرية / فيصل آباد - الطبعة / الأولى ١٤٠٧هـ.
- المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى، وآخرون - أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة - دار الدعوة.
- معجم علوم القرآن - إبراهيم محمد الجرمي - دار القلم / دمشق - ط / أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - جمع وإعداد / علي بن نايف الشحود - المكتبة الشاملة.
- مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تح / عبد السلام هارون - دار الجيل / بيروت.
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن - عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب يعقوب - مركز البحوث الإسلامية ليدز / بريطانيا - ط / أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

• مقدمة في أصوات اللغة العربية - د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.

• مقدّمة لدراسة فقه اللغة - د / محمد أحمد أبو الفرج - دار النهضة العربية / بيروت - ط / أولى

١٩٦٩م

• الممتع الكبير في التصريف ابن عصفور - مكتبة لبنان - طبعة / أولى ١٩٩٦م.

• من أحكام علم التجويد (الإخفاء) - د / سيد أحمد علي الصاوي.

• من أسرار البناء الداخلي في القرآن الكريم - محمد صبحي السويركي - الطبعة / الأولى.

• من أسرار التعبير في القرآن - د / عبد الفتاح لاشين - دار عكاظ / الرياض ١٩٨٣م.

• من وحي القرآن - د / إبراهيم السامرائي - دار الفكر / دمشق ١٩٩٩م.

• مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني - دار الفكر / بيروت - ط / أولى

١٩٩٦م.

• المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - دار

إحياء التراث العربي / بيروت - ط / ثانية ١٣٩٢هـ.

• موسوعة الخطب والدروس جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف الشحود.

• النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن) - د / محمد عبد الله دراز - دار الثقافة / الدوحة ١٩٨٥م

• النشر في القراءات العشر - شمس الدين بن الجزري - تح / علي محمد الضباع - المطبعة

التجارية.

• النكت في إعجاز القرآن - علي بن عيسى الرماني - ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

• نهاية القول المفيد في علم التجويد - الشيخ / محمد مكي نصر - مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٩هـ.

• النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير - تح / طاهر أحمد الزاوي.

ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية / بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

• وظيفة الصورة الفنية في القرآن - عبدالسلام أحمد الراغب - الناشر / فصلت للدراسات والترجمة

/ حلب - ط / أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

ثانياً: الأبحاث والدوريات :

• أثر التلوين الصوتي في البلاغة القرآنية - د / أسامة عبد العزيز جاب الله - رسالة دكتوراة في كلية

الآداب بطنطا / قسم اللغة العربية.

• أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام نموذجاً) - د / مزاحم مطر

حسين - مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية - العددان (٤، ٣) - المجلد (٦) - ٢٠٠٧م

• الأداء الصوتي في اللغة العربية - د / سالم محمد سالم - مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية

والإنسانية مجلد (٢) العدد (٢) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

• الأداء الصوتي في المستوى الأسلوبى لأدونيس في أغاني مهيار الدمشقي - رسالة ماجستير في

كلية الآداب / جامعة القادسية قسم اللغة العربية وآدابها - للباحث / عادل نذير بيبري

الحساني ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م

• أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب - محمد بن علي محمد العمري - مجلة جامعة أم القرى

لعلوم اللغات وآدابها - العدد (الثالث) ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

• الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى - حمدان رضوان أبو عاصي - مجلة الجامعة

الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد (١٧) العدد (الثاني) ٢٠٠٩م.

• الإعجاز التأثري في القرآن الكريم - د / زياد عواد - مجلة جامعة دمشق - المجلد (الثامن

عشر) العدد (الأول) ٢٠٠٢م.

• الإعجاز التأثري للقرآن الكريم - د / خالد محمد القضاة - بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة

السابع (إعجاز القرآن الكريم) جامعة الزرقاء الأهلية في ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- الجاحظ والفصاحة اللغوية - د / أحمد مطلوب - مجلة المورد المجلد (١١) العدد (١) الجمهورية العراقية / بغداد - وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ للنشر.
- جمال الفاصلة في القرآن - د / عبد القادر بن فطة - بحث في مجلة عود الند الثقافية الشهرية بالجزائر.
- جماليات الإيقاع الصوتي في لغة القرآن الكريم - رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية / جامعة محمد بسكرة في الجزائر للباحث / محمد الصغير ميسة - ٢٠١١، ٢٠١٢م.
- دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم (دراسة تحليلية) - د / محمد رمضان البع - مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد (١٣) - العدد (الثاني) ٢٠٠٩م.
- السجع القرآني دراسة أسلوبية - بحث ماجستير بكلية الآداب عين شمس - قسم اللغة العربية - للباحثة / هدى عطية عبد الغفار - سنة ٢٠٠١م.
- السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام (دراسة لغوية تحليلية نفسية) - علي محمد نور المدني - مجلة جامعة الملك عبد العزيز - كلية الآداب والعلوم الإنسانية مجلد (١٧) العدد (١) سنة ٢٠٠٩ / ١٤٣٠م.
- صوت الهاء في العربية - د / ابراهيم كايد محمود مجلة جامعة أم القرى العدد (١٩) سنة ١٣٢٤هـ.
- الصوت ونبراته في الإلقاء - د / نزار نبيل أبو منشار - (نقلا عن شبكة الألوكة).
- ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون - يحيى بن علي المبارك - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد (١٢٠) السنة (٣٥) ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- العوامل المؤثرة في الصوت الإنساني - د / ممدوح إبراهيم محمود - مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط ٢٠١٣م.
- الغناء والموسيقى حتى نهاية العصر الأموي - د / شحادة علي الناطور - مجلة المورد - المجلد (١٣) العدد (٤) ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

- نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية - د / دفة بلقاسم - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر ٢٠٠٩م.
 - المجيد في إعراب القرآن المجيد - إبراهيم بن محمد الصفاقسي - تح / عبدالعزيز أحمد محمد إسماعيل رسالة دكتوراة - مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة برقم (١٢٧٨) سنة ١٩٧٨م.
 - الوحدات القطعية في لغة القرآن الكريم عددها واستعمالاتها والملاح الصوتية المميزة لها - د / ممدوح إبراهيم محمود - مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط - العدد (٣٠) الجزء / الرابع سنة ٢٠١١م.
- ثالثاً: المقالات في المواقع الإلكترونية :
- اضطرابات الصوت - د / إيهاب الببلاوي - نقلا عن منتدى أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة.
 - اضطرابات الصوت - مقال في النت لـ الزريقات - عام ٢٠٠٥.
 - تلاوة القرآن الكريم - محمد الشرقاوي.
 - الحنجرة ووظائف الصوت - مقال في النت على موقع طبيب دوت كوم.
 - خصائص الصوت - نقلا عن موقع د / إبراهيم بن عبد الله المحيسن.
 - شرح كتاب العلوم الجليلة في الوصول إلى المقامات الصوتية - منتديات الشيخ محمد صديق المنشاوي.
 - الصوت البشري وخصائصه - السيد لؤي - منتديات الشيخ محمد صديق المنشاوي.
 - طرق التحكم بطبقة الصوت - عبدالرازق عبطان الدليمي - منتديات مزامير آل داود.
 - عناصر الإلقاء الصوتي - د / محمد بدرة، مقال في النت بتاريخ: الأحد ٢٢ مارس ٢٠٠٩م.
 - قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن الكريم.
 - كل شيء عن الحنجرة والحبال الصوتية - نقلا عن منتدى مزامير آل داود.
 - كيفية تقوية الحبال الصوتية - باسم المنصوري.
 - مقومات الصوت الجميل - حوار مع الدكتور / عبد اللطيف حمدان - نقلا عن موقع مزامير آل داود.
 - نبرة صوتك ما بين الجاذبية والنفور - ناهد أحمد البوعيين.

* * *

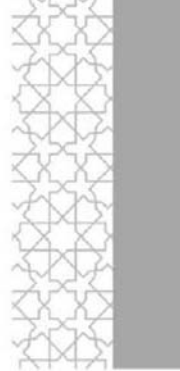
- Sayis, M. (2002). *Tafseer Aayaat al-aHkaam*. N. Suwaidan (Ed.). Al-Maktabah Al-ASriyyah.
- Shaadi, M. (1988). *Al-balaghah al-Sawtiyyah fi al-quran al-kareem*. MaTba`at Al-Risaalah.
- *SharH kitaab al-uloom al-jaliyyah fi al-wuSool ila al-maqamaat al-Sawtiyyah*. (n.d.). MuHammad Siddeeq al-Manshaawi Forum.
- Sumbus, A. (n.d.). *Al-Edraak al-aali li al-nizhaam al-adaa'ee fi al-lughah al-arabiyah fi DHaw' zhahirat al-tazmeen*. Makkah: Girls College of Education.
- Taalib, M. (n.d.). *Al-Ri`aayah li tajweed al-qira'ah wa taHqeeq lafzh al-tilaawah*. A. Hasan (Ed.). Daar Al-Kutub Al-Arabiyyah.
- UDhaimah, M. (n.d.). *Dirasaat fi usloob al-quran al-kareem*. (n.p.).
- Umar, A. (1997). *Dirasaat al-Sawt al-lughawi*. Cairo: Daar Aalam Al-Kutub.
- Umar, A. (1997). *Lughat al-quran diraasah tawtheeqiyyah* (2nd ed.). Mu'assasat Al-Kuwait li Al-Taquddum Al-Ilmi.
- Umar, A. (2003). *Al-BaHth al-lughawi ind al-Arab* (8th ed.). Daar Aalam Al-Kutub.
- Vendryes. (1950). *Al-Lughah*. A. Al-Dawaakhili & M. Al-QaSSaaS (Eds.). Lajnat Al-Bayaan Al-Arabi.
- Waafi, A. (n.d.). *Ilm Al-lughah*. NahDHat MiSr.
- YaasooF, A. (1999). *Jamaliyyat al-mufradah al-quraniah*. Damascus: Daar Al-Maktabi.

* * *



- MaSlooH, S. (2005). *Dirasaat al-sam` wa al-kalaam (Sawtiyyaat al-lughah min al-entaaj ila al-edraak*. Cairo: Daar Aalam Al-Kutub.
- MaTloob, A. (n.d.). Al-JaaHizh wa al-faSaaHah al-lughawiiyyah. *Al-Mawrid Journal*, 1 (11).
- Meesah, M. (2012). Jamaaliyyat al-iqaa` al-Sawti fi lughat al-quran al-kareem (Masters' Thesis). Mohamed Biskra University, Algeria.
- *MuHammad Al-Sharqaawi recitation of the holy quran*. (n.d.).
- MuSTafa, I., et al. (n.d.). *Al-Mu`jam al-waseeT*. Cairo: Academy of the Arabic Language& Daar Al-Da`wah.
- NaSr. M. (1349). *Nihaayat al-qawl al-mufeed fi ilm al-tajweed*. MuSTafa Al-Baabi Al-Halabi.
- Nikri, A. (2000). *Dustoor al-ulamaa' aw jami` al-uloom fi eSTilaHaat al-funoon*. H. FaHS (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Noor Al-Deen, A. (1992). *Phonetics*. Beirut: Daar Al-Fikr Al-Lubnaani.
- *Qawaa`id fi tashakkul al-nagham fi musiqa al-quran al-kareem*. (n.d.).
- Qutub, S. (1412). *Fi zhilaal al-quran* (17thed.). Beirut/ Cairo: Daar Al-Shurooq.
- Qutub, S. (1993). *Al-TaSweer al-fanni fi al-quran* (4thed.). Egypt: Daar Al-Shurooq.
- Rabee`, A.& Allaam, A. (1988). *Phonetics* (2<sup>nd</sup>ed.). Makkah: Maktabat Al-Taalib Al-Jaami`i.
- Rousseau, J. (1986). *MuHawalah fi aSl al-lughaat*. M. MaHjoob (Ed.). Baghdad: Daar Al-Shu'oon Al-Thaqaafiyyah Al-Aamah.
- Sa`ad, M. (n.d.). *Al-Azf ala anwaar al-dhikr ma`aalim al-Tareeq ila fiqh al-ma`na al-quraani fi siyaaq al-surah*. (n.p.).
- SaaliH, F. (n.d.). *Al-Lughah al-arabiyyah adaa'an wa emlaa'an wa kitaabatan*. Al-Wafaa'.
- Saalim, S. (2005). Al-Adaa' al-Sawti fi al-lughah al-arabiyyah. *University of Sharjah Journal of Humanities and Sharia Sciences*, 2 (2).

- *IDHTirabaat al-Sawt*. (2005). Al-Zuraiqaat Forum.
- Ismaa'eel, M. (1999). *Dirasaat fi uloom al-Quran* (2nded.). Daar Al-Manaar.
- JaabAllah, U. (n.d.). *Athar al-talween al-Sawti fi al-balaaghah al-quraaniyyah* (Doctoral Dissertation). University of Tanta, TanTa.
- Jabal, M. (2006). *Al-MukhtaSar fi uSwaat al-lughah al-Arabiyyah: Diraasah nazhariyyah wa taTbeeqiyyah* (4th ed.). Cairo: Maktabat Al-Aadaab.
- *Jamaal al-tilaawah fi al-Sawt wa al-nagham*. (2012.). Beirut: The Holy Quran Association for guidance .
- Khaleel, I. (n.d.). *Qaloo `an al-quran*. Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- *KhaSaa'iS al-Sawt*. (n.d.). Ibraheem Abdullah Al-MuHaisin Forum.
- KhuDHr, A. (n.d.). *Al-FawaaSil al-quraniyyah*. Mansoura: Maktabat Al-Imaan.
- *Kitaab Sibawayh* (3rded.). (1988). A. Haroon. (Ed.).Cairo: Al-Khaanji.
- *kull shay' `an al-Hunjarah wa al-Hibaaal al-Sawtiyyah*. Mazameer Al-Dawood Forum.
- Laasheen, A. (1983). *Min asraar al-ta`beer fi al-quran*. Riyadh: Daar Ukaazh.
- Lasheen, A. (1999). *Al-Badee `fi Dhaw' asaleeb al-quran*. Cairo: Daar al-Fikr Al-Arabi.
- MaHfoozh, A. (n.d.). *Fann al-khaTaabah*. Daar Al-E`tiSaam.
- MaHmood, I. (1324). Sawt al-haa' fi al-arabiyyah. *Umm Al-Qura University Journal*, 19.
- MaHmood, M. (2011). Al-WiHdaat al-qaT`iyyah fi lughat al-quran al-kareem adaduha wa isti`malaatuha wa al-malaamiH al-Sawtiyyah al-mumaiyizah laha. *Journal of College of Arabic Language in Assuit*, 3, (30).
- MaHmood, M. (2013). Al-Awaamil al-mu'ath-thirah fi al-Sawt al-insaani. *Journal of College of Arabic Language and its Literature in Assuit*.



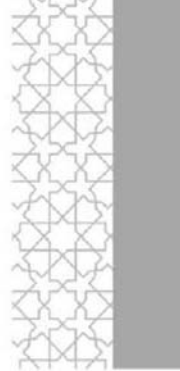
- Ibn Al-Atheer, M. (1979). *Al-Nihaayah fi ghareeb al-Hadeeth wa al-athar*. T. Al-Zaawi& M. Al-TanaaHi (Eds.). Beirut: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah.
- Ibn Al-Hajjaaj, M. (n.d.). *Al-Musnad al-SaHeeH al-mukhtaSar bi naql al-adl `an al-adl ila rasool Allah Salla Allah alayh wa sallam*. M. Abdulbaaqi (Ed.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Ibn Al-Jazari, Sh. (1994). *Taibat al-nashr fi al-qira'at al-asher*. M. Al-Zughbi (Ed.). Jeddah: Daar Al-Huda.
- Ibn Al-Nafees. (n.d.). *SharH tashreeH al-qaanoon*. S. Al-Halabi (Ed.). Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Ibn Asaakir, (1995). *Tareekh Dimashq*. O. Al-Amrawi. (Ed.). Daar al-Fikr.
- Ibn ASfoor, (1996). *Al-Mumti` al-kabeer fi al- taSreef*. Maktabat Lubnaan.
- Ibn BaTTaal, A. (2003). *SharH SaheeH Al-Bukhaari li ibn bTTaal* (2nd ed.). Y. Ibraheem (Ed.). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.
- Ibn Faaris, A. (n.d.). *Maqayees al-lughah*. A. Haroon. (Ed.). Beirut: Daar Al-Jeel.
- Ibn Haashim, A. (1955). *Al-Seerah al-nabawiyyah* (2nded.). M. Al-Saqa, et al. (Eds.). MaTba`at MuSTafa Al-Babi Al-Halabi wa Awladuh.
- Ibn Habbaan, M. (1993). *SaHeeH ibn Habbaan bi tarteeb ibn balbaan* (2nded.). Sh. Al-Arnaa'ooT (Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- Ibn Hanbal, A. (2001). *Musnad al-imaam aHmad ibn Hanbal*. Sh. Al-Arnaa'ooT, A. Murshid, et al.(Eds.). Mu'assasat Al-Risaalah.
- Ibn Jinni, A. (n.d.). *Al-KhaSaa'iS* (4thed.). Cairo: The General Egyptian Book Organization.
- Ibn Jinni, U. (n.d.). *Sirr Sinaa`at al-e`raab*. A. Ahmad (Ed.). Al-Maktabah Al-Tawfeeqiyyah.
- Ibn Katheer, I. (1416). *FaDHaa'il al-quran*. Maktabat Ibn Taymiyyah.
- Ibn Manzhoor. (1414). *Lisan al-arab* (3rded). Beirut: Daar Saadir.

- DHaif, Sh. (n.d.). *Tareekh al-adab al-arabi al-aSr al-jaahilee*. Egypt: Daar Al-Ma'aarif.
- Duraïd, M. (1987). *Jamharat al-lughah*. R. Ba'labki (Ed.). Beirut: Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.
- Faakhir, A. (1999). *Al-Tawjeehat wa al-aathaar al-naHwiyyah wa al-Sarfiyyah li al-qira'at al-thalathah ba'd al-sab'ah li aSHabiha Abu Ja'far Al-Madani wa Ya'qoob Al-BaSri wa Khalaf Al-Kufi*. Maktabat Wahbah.
- FaTTah, A. (n.d.). Jamaal al-faaSilah fi al-quran. *Oud Nad Journal*.
- FayyaaDH, N. (1930). *Al-KhaTaabah*. Egypt: Daar Al-Hilaal.
- Ghalboon, T. (1990). *Al-Tadhhkirah fi al-qiraa'at*. A. ibraheem (Ed.). Al-Zahraa li Al-E'laam Al-Arabi.
- Habash, M. (1999). *Al-Qira'at al-mutawatirah wa atharuha fi al-rasm al-quraani wa al-aHkaam al-shar'iyyah*. Damascus: Daar Al-Fikr.
- Hamdaan, A. (n.d.). *Muqawimaat al-Sawt al-jameel*. Mazameer. Al-Dawood Forum.
- Hamdan, N. (1991). *Al-Zhahirah al-jamaaliyyah fi al-quran al-kareem*. Jeddah: Daar Al-Manayrah.
- Hasanain, S. (1981). *Al-Madkhal ila ilm al-aSwaat: Diraasah muqaaranah*. (n.p.).
- Hassaan, T. (n.d.). *Al-Bayaan fi Rawaa'i' al-quraan: Diraasah lughawiyyah wa uslubiyah li al-naS al-qurani*. Cairo: Daar Aalam Al-Kutub.
- Hussain, K. (n.d.). *Al-Jaras wa al-eeqaa' fi ta'beer al-quran*. (n.d.).
- Hussain, M. (2007). Athar al-tangheem fi tawjeeh al-aghraaDH al-balaagiyyah li ilm al-ma'aani (al-istifhaam namoodhajan). *Journal of University of Qadisiyah*, 3,4 (6).
- Ibn Al-Ash'ath, S. (n.d.). *Sunan Abi Dawood*. M. AbdulHameed (Ed.). Beirut/ Sidon: Al-Maktabah Al-ASriyyah.



- Al-Tirmadhi, M. (1975). *Sunan al-tirmidhi* (2nd ed.). A. Shaakir, et al. (Eds.). Cairo: MuSTafa Al-Baabi Al-Halabi.
- Al-Ya`qoob, A. (2001). *Al-Muqaddimaat al-asaasiyyah fi uloom al-Quran*. Leads: Islamic Research Center. .
- Al-Yamani, A. (2004). *Edh-hab al-Huzun wa shifaa' al-Sadr al-saqeem fi ta'leem al-nabi Salla Allah alayh wa sallam aSHAabuh alfaazh al-quran al-kareem: Al-manhaj al-nabawi fi al-ta'leem al-quraani*. Alexandria: Daar Al-Emaan.
- Al-Zamakhshari. (n.d.). *Asaas al-balaghah*. M. Oyoon Al-Sood (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Zarkashi, B. (1957). *Al-Burhaan fi uloom al-quran*. M. ibraheem (Ed.). Daar Al-Baabi Al-Halabi.
- Al-Zarqaani, M. (1996). *Manaahil al-urfaan fi uloom al-quran*. Beirut: Daar Al-Fikr.
- Anees, E. (1995). *Al-ASwat al-lughawiyah*. The Anglo Egyptian Bookshop.
- Arbawy, F. (n.d.). *ASwaat Huroof al-qalqalah bayn al-mutaqaddimeen wa al-muta'akhireen*. (n.p.).
- Awwad, Z. (2002). Al-I'jaaz al-ta'theeri fi al-quran al-kareem. *Damascus University Journal 1* (18).
- Badrah, M. (2009). *AnaaSir al-ilqaa' al-Sawti*.
- Balqaasim, D. (2009). Namaadhij min al-i'jaaz al-Sawti fi al-quran al-kareem diraasah dalaaliyyah. College of Arts, Human and Social Sciences Journal, Mohamed Baskara University.
- BaSal, M. (n.d.). *Madkhal ila ma'rifat al-lisaaniyyaat*. Damascus: Daar Al-Mutanabbi.
- Bishr, K. (2000). *Ilm al-lughah al-aam* (phonetics). Cairo: Daar Gareeb.
- Bishr, K. (n.d.). *Dirasaat fi ilm al-lughah*. Cairo: Daar Ghareeb.
- Darraz, M. (1985). *Al-Naba' al-azheem*. Doha: Daar Al-Thaqaafah.

- *Al-Sayyid Lu'ai, Al-Sawt al-bashari wa khaSaa'isuh.* (n.d.). MuHammad Siddeeq al-Manshaawi Forum.
- Al-Sayyid, L. (1970). *Al-Taghanni bi al-quran.* The General Organization for Aurhorship and and Publication.
- Al-ShaHood, A. (n.d.). *Al-MufaSSal fi al-radd ala shubuhaat a`daa' al-islam.* Al-Maktabah al-Shaamilah.
- Al-ShaHood, A. (n.d.). *Mawsoo`at al-khuTab wa al-duroos.* (n.p.).
- Al-Sughaiyyir, M. (n.d.). *Al-Sawt al-lughawi fi al-quran.* Beirut: Daar al-mu'arikh Al-Arabi.
- Al-Suwairiki, M. (n.d.). *Min Asraar al-binaa' al-daakhili fi al-quran al-kareem.* (n.p.).
- Al-SuyooTi, J. (1974). *Al-etqaan fi uloom al-quran.* M. Ibraheem (Ed.). General Egyptian Book Organization.
- Al-SuyooTi, J. (n.d.). *Al-Durr al-manthoor fi al-tafseer bi al-ma'thoor.* Beirut: Daar Al-Ma`rifah.
- Al-SuyooTi. (1988). *Mu`tarak al-aqraan fi e`jaaz al-quran.* Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Tabalaawi, Z. (2003). *Al-Sham`ah al-muDhee'ah bi nashr qira'aat al-sab`ah al-murDHiyah.* A. Ja`far (Ed.). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.
- Al-Tabari, M. (2000). *Jaami` al-bayaan fi ta'weel al-quran.* A. Shaakir (Ed.). Mu'assasat Al-Risaalah.
- Al-Tahaanawi, M. (1996). *Kash-shaaf iSTilaHaat al-funoon wa al-uloom.* Beirut: Maktabat Lubnaan Naashiroon.
- Al-Tameemi, A. (1407). *Al-Mu`jam.* E. Al-Athari (Ed.). Faisalabad: Edarat Al-Uloom Al-Athariyyah.
- Al-Tanookhi, A. (1978). *Al-Qawaafi* (2nd ed.). A. Al-Khaanji (Ed.). Cairo: (n.p.).
- Al-Tha`labi, A. (2002). *Al-Kashf wa al-bayaan `an tafseer al-quran.* Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.



- Al-Raazi, A. (1419). *Tafseer al-quran al-azheem li ibn abi Haatim* (3rded.). A. Al-Tayyib (Ed.). Saudi Arabia: Maktabat Nizaar MuSTafa Al-Baz.
- Al-Raazi, A. (1420). *Al-Tafseer al-kabeer* (3rded.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Rafi'i, M. (2005). *E'jaaz al-quran wa al-balaghah al-nabawiyah* (8th ed.). Beirut: Daar Al-Kitaab Al-Arabi
- Al-Rafi'i, M. (n.d.). *Tareekh al-adab al-arabi*. Daar Al-Kitaab Al-Arabi.
- Al-Rumaani, A. (n.d.). *Al-Nukat fi i'jaaz al-quraan*. (n.p.).
- Al-Sa'eed, L. (n.d.). *Al-Jami` al-Sawti al-awwal li al-quran al-kareem aw al-muSHaf al-murattal bawa'ithuh wa mukhaTaTatuh*. Cairo: Daar Al-Kaatib Al-Arabi.
- Al-Saabooni, M. (1980). *Rawaai` al-bayaan tafseer aayaat al-aHkaam* (3rd ed.). Damascus/ Beirut: Maktabat Al-Ghazaali & Mu'assasat MAnaahil Al-Urfaan.
- Al-SaaliH, S. (2000). *MabaaHith fi uloom al-quran* (24thed.). Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.
- Al-Saamurraa'i, I. (1999). *Min waHi al-quran*. Damascus: Daar Al-Fikr.
- Al-Saamurraa'y, F. (2006). *Al-Ta`beer Al-Qurani* (4thed.). Amman: Daar Ammar.
- Al-Saawi, S. (n.d.). *Min aHkaam ilm al-tajweed (al-ikhfaa')*. (n.p.)
- Al-Safaaqisi, A. (n.d.). *Tanbeeh al-ghafileen wa ershaad al-jahaleen `amma yaqa` lahu, min al-khaTa' Hal tilaawatihim li kitaab Allah al-mubeen*. M. Al-Nayfar (Ed.). Muasasat Abdulkareem Ibn Abdullah.
- Al-Safaaqisi, I. (1978). *Al-Majeed fi i`raab al-quran al-majeed (Doctoral Dissertation)*. A. Isma'eel (Ed.). College of Arabic Language, Cairo.
- Al-Sakhaawi, E. (1987). *Jamaal al-qurraa' wa kamaal al-eqraa'*. A. Al-Bawwab (Ed.). Makkah: Maktabat Al-Turaath.
- Al-Sayyed, B. (2014). *Athar al-qiraa'ah bi al-tajweed fi tadabbur al-quran al-majeed: Diraasah ta'Seeliyyah*. Riyadh: Daar Al-HaDHarah.

- Al-MAnSoori, B. (n.d.). *Kayfiyyat taqwiyyat al-Hibaa' al-Sawtiyyah*.
- Al-MiSri, A. (1996). *FutooH miSr wa akhbaaruha*. M. Al-Hujairi (Ed.). Beirut: Daar Al-Fikr.
- Al-Mubaaraki, Y. (2003). Zhaahirat al-madd fi al-adaa' al-quraani diraasah Sawtiyyah li al-muddah al-zamaniyyah li al-madd al-aariDH li al-sukoon. *Islamic University of Madinah Magazine*, 120 (35).
- Al-NaaToor, Sh. (1984). Al-Ghinaa' wa al-museeqa Hatta nihaayat al-aSr al-amawi. *Al-Mawrid Journal*, 4 (13).
- Al-NaHHas, A. (1985). *E'raab al-quran* (2nded.). Z. Zaahid (Ed.). Daar Aalam Al-Kutub.
- Al-Nahhas, M. (n.d.). *Ilm al-tajweed ka madkhal weqaa'i wa elaaji li eDHTirabaat al-nuTq wa al-Kalaam*. Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Al-Nairbaani, A. (2006). *Al-Jawanib al-Sawtiyyah fi kutub al-eHtijaaj li al-qira'aat*. Damascus: Daar Al-Ghawthaani.
- Al-Naisaaboori, A. (1416). *Gharaa'ib al-quraan wa raghaa'ib al-furqaan*. Z. Umairaat (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Nawawi, Y. (1392). *Al-Minhaaj sharH SaHeeH muslim ibn al-Hajjaaj* (2nd ed.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-QaDHaat, Kh. (2005). *Al-I'jaaz al-ta'theeri li al-quran al-kareem*. (A working paper presented at the Seventh Conference of College of Sharia). Zarqa Private University, Jordan.
- Al-Qazweeni, M. (n.d.). *Sunan ibn majah*. M. Abd Al-Baaqi (Ed.). Daar IHyaa' Al-Kutub Al-Arabiyyah& MaTba`at FaiSal Al-Baabi Al-Halabi.
- Al-Qurashi, I. (1419). *Tafseer al-quran al-azheem (Ibn Katheer)*. M. Shams Al-Deen. Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-QurTubi, M. (1964). *Al-Jami` li aHkaam al-quran (Tafseer Al-QurTubi)* (2nded.). A. Al-Baradooni & E. ATfeesh (Eds.). Daar Al-Kutub Al-MiSriyyah.
- Al-Raaghib, A. (2001). *Wazheefat al-Soorah al-fanniyyah fi al-quran*. Aleppo: FuSSilat.

- Al-Hassaani, A. (2001). *Al-Adaa' al-Sawti fi al-mustawa al-usloobi li Adonis fi aghaani mihyaar al-dimashqi* (Masters' Thesis). University of Qadisiyah.
- Al-Hendi, A. (1981). *Kanz al-ummal fi sunan al-aqwaal wa al-af'aal* (5th ed.). B. Hayaani & S. Al-Saqqa (Eds.). Mu'assasat Al-Risaalah.
- Al-HimSi, N. (1980). *Dinaameekiyyat al-adaa' al-Sawti fi al-quran al-kareem* (2nd ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- *Al-Hunjarah wa wazhaa'if al-Sawt*. (n.d.). Tabeeb.com.
- Al-iyji, E. (1997). *Kitaab al-mawaaqif*. A. Omairah (Ed.). Beirut: Daar Al-Jeel.
- Al-Jaasim, M. (n.d.). *Asbaab Al-ta'addud fi al-taHleel al-NaHwi*. Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Al-JaHizh. (1968). *Al-Bayaan wa al-tabyeen*. F. ATawi (Ed.). Beirut: Daar Sa'b.
- Al-Jarmi, I. (2001). *Mu'jam uloom al-quran*. Damascus: Daar Al-Qlam.
- Al-Jazari, Sh. (n.d.). *Al-Nashr fi al-qira'aat al-ashr*. A. Al-DHabbaa' (Ed.). Al-MaTba'ah Al-Tijaariyyah.
- Al-Jurjaani, A. (1992). *Dalaa'il al-e'jaaz fi ilm al-ma'aani* (3rd ed.). Cairo/ Jeddah: MaTba'atAl-Madani & Daar Al-Madani.
- Al-KhaTaabi, A. (n.d.). *Bayaan e'jaaz al-quran*. Egypt: Daar Al-Ma'aarif.
- Al-Khuwaiski, Z. (2008). *Al-ASwat al-lughawiyah*. Alexandria: Daar Al-Ma'rifah Al-Jaami'iyah.
- Allaam, A. (1990). *'An ilm al-tajweed al-quraani fi DHaw' al-dirasaat al-Sawtiyyah al-Hadeethah*. (n.p.).
- Al-Madani, A. (2009). Al-Sulook al-infi'aali fi usloob al-istifhaam (diraasah lughawiyah taHleeliyyah nafsiyyah). *King AbdulAziz University Journal*, 1 (17).
- Al-Mannawi, A. (1356). *FayDH al-qadeer sharH al-jami' al-Sagheer*. Egypt: Al-Maktabah Al-Tijaariyyah Al-Kubra.

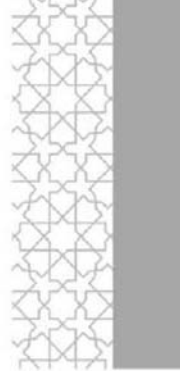
- Al-Bayhaqi, A. (2003). *Shu'ab al-emaan*. A. Hamid (Ed.). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.
- Al-Bu`ainayn, N. (n.d.). *Nabrat Sawtuk ma bayn al-jaadhibiyyah wa al-mufoor*.
- Al-Bukhari, M. (n.d.). *Khalq af'aal al-ebaad*. A. Umairah (Ed.). Riyadh: Daar Al-Ma`arif.
- Al-Daani, A. (1988). *Al-TaHdeed fi al-etqaan waal-tasdeed fi San`at al-tajweed*. Gh. Al-Hamad (Ed.). Baghdad: Maktabat Daar Al-Anbaa.
- Al-Dahlawi, A. (1986). *Al-Fawz al-kabeer fi uSool al-tafseer* (2nded.). S. Al-Nadawi (Ed.). Cairo: Daar Al-SaHwah.
- Al-Dhahabi, Sh. (1998). *Tadhkirat al-Huffaazh*. Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Dulaimi, A. (n.d.). *Turuq al-taHakkum bi Tabaqat al-Sawt*. Mazameer Al-Dawood Forum.
- Al-EsTanbooli, I. (n.d.). *RooH al-bayaan*. Beirut: Daar Al-Fikr.
- Al-Fairoozabaadi. (1977). *Al-Qamoos al-muHeeT*. The General Egyptian Book Organization.
- Al-Fakhraani, A. (2003). *Al-BaHth a-lughawi ind ekhwaan al-Safa*. MaTba`at Al-Amaanah.
- AL-Gazaali, M. (n.d.). *EHyaa' uloom al-deen*. Beirut: Daar Al-Ma`rifah.
- Al-Ghaamidi, M. (2001). *Al-Sawtiyyat al-Arabiyyah*. Riyadh: Maktabat Al-Tawbah.
- Al-Haithami, A. (1994). *Mujamma` al-zawaa'id wa manba` al-fawaa'id*. H. Al-Qudsi (Ed.). Cairo: Maktabat Al-Qudsi.
- Al-Hakami, H. (1990). *Ma`arij al-Qubool bi sharH al-wuSool ila ilm al-uSool*. O. Abu Umar (Ed.). Dammam: Daar Ibn A-Qayyim.
- Al-Hamad, Gh. (1986). *Al-Dirasaat al-Sawtiyyah ind ulamaa' al-tajweed*. Baghdad: MaTba`at Al-Khulood.



- Al-Arabi, A. (2003). *aHkaam al-quran* (3rd ed.). M. ATa (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Aryaan, M. (1991). *ASwaat Al-Arabiyyah bayn al-waSf wa al-tanzheem*. Tanta: MaTba`at Abnaa Wahbah Hassan.
- Al-AshwaH, S. (1998). *E`jaaz al-qiraa'at al-quraaniyah: Diraasah fi taareekh al-qiraa'at wa etijahaat al-qurraa'*. Cairo: Maktabat Wahbah.
- Al-Asqalaani, I. (1379). *FatH al-baari sharH SaHeeH al-bukhari*. M. Abdulbaaqi (Ed.). Beirut: Daar Al-Ma`rifah.
- Al-Ayni, B. (n.d.). *Umdat al-qaari sharH SaHeeH Al-Bukhaari*. Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Azhari, A. (1964). *Tahdheeb al-lughah*. A. Haroon, et al (Eds.).,Egypt: Al-Daar Al-MiSriyyah.
- Al-Azhari, A. (1991). *Ma`aani al-qira'aat*. E. Darweesh& A. Al-Qawzi (Eds.). Daar Al-Ma`arif.
- Al-Ba`, M. (2009). Dalaalat al-aSwaat fi fawaSil ayaat juz' amma (diraasah taHleeliyyah). *Al-Aqsa University Journal (Series of Human Sciences)* 2 (13).
- Al-Bablaawi, I. (n.d.). IDHTirabaat al-Sawt. Gulf Kids of Special Needs Forum.
- Al-Baghawi, A. (1420). *Ma`aalim al-tanzeel fi tafseer al-quran (tafseer Al-Baghawi)*. A. Al-Mahdi (Ed.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Baghawi, A. (1983). *SharH al-sunah* (2nded.). Sh. Al-Arnaa'ooT, et al. (Eds.). Damascus/Beirut: Al-Maktab Al-Islaami.
- Al-Bannaa, A. (2006). *EtHaaf fuDHalaa' al-bashar fi al-qira'aat al-arba`ata ashar* (3rded.). A. Muhrah (Ed.).Lebanon: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Barakaawi, A. (n.d.). *Muqaddimah fi aSwaat al-lughah al-arabiyyah*. (n.p.).

List of References:

- The Holy Quran
- Abbooj, M. (1969). *Muqaddimah fi aSwaat al-lughah al-arabiyyah*. Beirut: Daar Al-NahDHah Al-Arabiyyah.
- AbdulGhaffar, H. (2001). *Al-Saj` al-quraani diraasah usloobiyyah (Masters' Thesis)*. Ain Shams University.
- Abdulrahman, (n.d.). *ASwaat al-lughah*. Maktabat al-shabbab.
- Abdultawwaab, R. (1997). *Al-Madkhal ila ilm al-lughah wa manaahij al-baHth al-lughawi* (3rd ed.). Cairo: Maktabat Al-Khaaniji.
- Abi Zahrah, M. (n.d.). *Al-Mu`jizah al-kubra al-quran*. Daar Al-Fikr Al-Arabi.
- Abu AaSi, H. (2009). Al-Ada'aat al-muSaaHibah li al-kalaam wa atharuha fi al-ma`na. *Islamic University Journal (Series of Humanities Studies)* 2(17).
- Abu Minshaar, N. (n.d.). *Al-Sawt wa nabratuh fi al-ilqaa'*. Retrieved from <http://www.alukah.net/>
- Abu Musa, M. (n.d.). *KhaSaa'iS al-taraakeeb: Diraasah taHleeliyyah li masaa'il ilm al-ma`aani* (7thed.). Maktabat Wahbah.
- Abu Zahrah, M. *Al-KhaTaabah:USuluha wa taareekhuha fi Azhar uSuriha ind al-Arab* (2nd ed.).Daar al-Fikr Al-Arabi.
- Adas, M. (n.d.). *Fann al-elqaa'*. Jordan: Daar Al-Fikr.
- Al Dossary, E. (2007). *Ebraz al-ma`aani bi al-adaa' al-qurani*. Saudi Arabia: Daar Al-HaDHarah.
- Al-Aayid, S. (n.d.). *Inaayat al-muslimeen bi al-lughah al-Arabiyyah khidmatan li al-quran al-kareem*. King Fahad Complex for the Printing of the Holy Quran.
- Al-Albaani, M. (n.d.). *SaHeeH al-jami` al-Sagheer wa ziyadaatuh*. Al-Maktab Al-Islaami.
- Al-Amri, M. (2010). Adaa' al-kalaam wa ilaaqatuh bi al-ma`na wa al-i`raab. *Umm Al-Qura University Journal for Languages Sciences and Arts*, 3.



The Beauty of Reciting Quran Verses in Light of Phonology

Dr. MamdooH Ebrahim MaHmood MuHammad

College of Arabic Language at Al-Azhar University, Asiat Branch

Deanship of Academic Research, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

Research related to the Holy Quran is the finest, the richest, and the most enjoyable. In fact, it is the purpose sought by researchers in Arabic from all specializations. One of the most important research topics is the beautiful recitation of the verses of the Quran. This is due to its close relation to the Holy Quran on the one hand, and the focus on the proper recitation of Quran that is characterized by the beautiful performance and the perfect reading, on the other. The correct tajweed-based recitation attracts the listener's attention and leads to the contemplation of the intended meaning of verses, so the hearts become humbly submissive at the remembrance of Allah. Also, it is the basis for contemplating and being affected by the Holy Quran.

Accordingly, this research aims at showing how to recite the verses of the Holy Quran correctly, in addition to showing the basis for identifying the determinant of a beautiful performance and its features, and by which we can also describe and evaluate the reader's performance. The research also analyzes and accounts for those factors within Phonology which is primarily concerned with oral or spoken language.

This research shows the importance of improving the voice when reading the Holy Quran because a good voice has an effective role in attracting the attention and the hearts. Thus, the reader can contemplate and understand the intended meaning of the verses.

Moreover, the research shows that the good reader is the one who can control his organs of speech, his breath and the ability to change his voice level and intonations according to the meaning of the verses of the Quran. In addition, it shows the role of the language of the Quran, its verse endings and sound lengthening which result in a beautiful performance.



أَدَبُ الْمَجَالِسِ الْقَضَائِيَّةِ تَدَاخُلُ الْهَزْلُ مَعَ الْجَدِّ فِي الْأَدَبِ

د. عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم
قسم الأدب- كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



أَدَبُ الْمَجَالِسِ الْقَضَائِيَّةِ: تَدَاخُلُ الْهَزْلِ مَعَ الْجِدِّ فِي الْأَدَبِ

د. عبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم
قسم الأدب - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يحاول هذا البحث تَسْلِيْطُ الضوء على أدب المجالس القضائية، والتَّجَاذِبِ بين الجِدِّ الذي يمثله القاضي بشخصيته المُهَابَةِ، والهزل الذي يمثله الانزياحات المتعددة في تصوير بعض القضاة الحمقى، أو بعض صور الأحكام الغريبة، أو الممارسات التي تتناقض مع الصورة الذهنية للقضاء، وربما اندرجت في عينة الدراسة بعض النماذج التي تصوِّرُ حذق القضاة، وفرط ذكائهم، وحيلهم في الوصول إلى الحقائق. وحاولت جاهداً أن أبدأ بالتوصيف الموضوعي، فتناولت أبرز الموضوعات والأفكار التي شكَّلت ظاهرة متكررة في مدونات الأدب، من مثل: حديثهم عن الهروب من القضاء، وصورة القاضي الأحمق، وضعف القاضي أمام إغراء النساء، وغرائب الشهادات، وموضوعات أخرى حاولت أن أشير إليها إشارة عابرة، رغبة في تقديم جملة من النصوص إلى القارئ، ووقوفه على أبرز ملامحها الموضوعية.

ثمَّ بذلت جهدي في الوقوف على أبرز الملامح الفنية البارزة في تلك النصوص، محاولاً إبراز خصوصية هذا الموضوع، فالنصوص المروية في مجالس القضاء مَنَبَتْ خصباً لتطبيق النَّهْجِ الْحِجَاجِيِّ، كما أنَّ التعلُّقَ النَّصِّيَّ مع القرآن الكريم يمثِّلُ أداة من أدوات الإقناع، أو التخلُّص، أو الإذعان، إضافةً إلى القوالب الموجزة الكثيفة التي تتقارب إلى حدٍّ كبير مع الأمثال، وتؤكد أهمية الكلمة الكثيفة في مجلس القاضي، وتأثيرها عليه، وعَرَّجَتْ في حديثي الفني عن النادرة بوصفها جنساً أدبياً مستقلاً، ومدى انطباق خصوصية هذا الجنس الأدبي على بعض النصوص، وختمت مقالتي بالاقتراب إلى ظاهرة الامتزاج والتداخل بين المقامات الجادَّةَ والهازلة في الأدب.

إنَّني بهذه المقالة أبتغي فتح شهية الدارسين والنقاد إلى مزيد من البحث والتنقيب في كنوز تراثنا العربي، وفتح آفاقٍ بحثية لأدب المجالس القضائية بشكلٍ خاص، وأدب المجالس الأخرى بشكلٍ عام، واستثمار المنهج التداولي القائم على مفهوم الكفاءة التواصلية، والسلوك، والأفعال الكلامية، ومعرفة مدى تأثير اللغة في السلوك الإنساني، ومحاولة البحث في غايات امتزاج الجد بالهزل في أدبنا العربي، وربطه بالسلوك الإنساني العام، والاعتدال الكوني، ومدى نجاعته في ضبط الجِدِّ، والنأي عن الكلل.



تقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ المتتبع لمدونات الأدب القديمة سيجدُ كما لا بأس به من أدب القضاة، وأقوالهم، ورواية ما دارَ في مجالسهم. أفردَهُ بعضهم في أبوابٍ وفصولٍ خاصة، كصنيع أبي سعد الآبي ت ٤٢١هـ^١، وأبي القاسم الزمخشري ت ٥٣٨هـ^٢، وشهاب الدين النويري ت ٧٣٣هـ^٣، ونقلَهَا بعضهم في أوعية التراجم، وذكرُ الأخبار، كما في كتاب (أخبار القضاة) لوكيع ت ٣٠٦هـ الذي ضمَّ تراجم واسعة لعددٍ من القضاة، وذكرَ في طياته بعض الطرائف الأدبية، والأخبار الغريبة، والنوادر الطريفة^٤.

والقاضي صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة عالية مرموقة، ارتبطت مكانته بالقضاء الشرعي، والفصل بين المتنازعين، والحسم بين المتخاصمين مهما تباينت طبقاتهم، واختلفت منازلهم؛ ذلك أنَّه يقوم بمهمة جليلة هي إقامة العدل الذي هو من أعظم مقاصد الدين ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^٥.

١- انظر: نثر الدر، للآبي، تعليق: مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٧م: ١١٣/ ٣.

٢١٩-١

٢- انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ٣٠٥/ ٤.

٣- انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، تحقيق: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م: ١١/ ٤.

٤- الكتاب من نشر عالم الكتب-بيروت، د. ت.

٥- سورة الحديد: ٢٥.

غير أنَّ القضاء مَسْلُوكٌ وعَرٌّ، ومسؤولية عظيمة، وقد وردت روايات تَشِي بالخطر من التهاون في ركوب هذا المنصب لمن ليس له بأهل، كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ"^١. وأُفِرَّدَ القرافي ت ٦٨٤هـ في كتاب (الذخيرة) باباً في التحذير من ولاية القضاء على عظيم شرفه^٢.

ومجالس القضاة لها رهبةٌ في نفوس الحضور، وصيانةٌ عن عامة الكلام فضلاً عن هزله، وهذا الرهبة ساريةٌ إلى القاضي، فشخصيته لا بد أن تَتَسِمَ بالوقار، والسَّمْت، وقَلَّة الحركة، وهذه السمات منصوصٌ عليها في كُتُب آداب القضاء والقضاة من مثل قول القاضي برهان الدين المالكي ت ٧٩٩هـ: "ليجتهد في أن يكون جميل الهيئة، ظاهر الأبهة، وقوراً في مشيِّته وجليساتِهِ، حَسَنَ النُّطق والصمت، مُحْتَرِزاً في كلامه من الفضول وما لا حاجة له به، كأنما يَعُدُّ حروفه على نفسه عدّاً... وليقلِّل عند كلامه من الإشارة بيده، والالتفات بوجهه..."^٣.

وحين يخرج المجلس، والقاضي عن هذه السمة يحصل الانزياح، وتبدو المخالفة التي ينتظرها أرباب الأدب، ويتلقفها مدوِّنوّه، وهذا ما جعل هذه الشُّوارد تُروى في كتب الأدب، والتاريخ، وفيها خروجٌ عن المألوف في مجالس القضاء، ما بين نُكْتةٍ ساخرة، وردٍّ مُفحَم، وضعفٍ من القاضي، وذكاء من الخصم، وربما غَلَبَت العاطفةُ العقلَ في بعض الأحكام القضائية، فيتلقَّف الرواة تلك الانزياحات، ويسجِّلها أرباب المدونات الأدبية، أو التاريخية.

١- معالِم السنن، للخطابي، تحقيق: محمد الطباخ، المطبعة العلمية - حلب، ط ١٠، ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م: ٤ / ١٥١.

٢- الذخيرة، للقرافي، دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٤م: ٦ / ١٠.

٣- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مراجعة: طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط ١٠، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٣١ / ١.

ويكتسي شطراً منها بلغة أدبية، أو استشهاد شعري، أو تكثيف لغوي يلفت الانتباه، ويخترق المعتاد، وحينئذ يتداخل القضائي مع الأدبي، وربما تبدد المجلس القضائي، واستحال إلى مجلس أدبي.

كما أن الصورة الذهنية للقاضي في نفوس أفراد المجتمع قد تكون سبباً في تركيب بعض النوادر، أو تمليحها، وكما قيل: "نصف الناس أعداء للقاضي هذا إن عدل". وهذا الأمر سيمزج الجد المتمثل في القضاء بسمته المعهود، بالهزل الذي يدونه أرباب الأدب، رغبة في التسلية "فإن للجد كداً يمنع من معاودته، ولا بد لمن التمس نفعه من مراجعته"^٢. فإن النفوس - كما يقول الجاحظ ت ٢٥٥ هـ - "تحتاج إلى الضحك وهو شيء في أصل الطباع، وفي أساس التركيب؛ لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه"^٣.

ومدونات الأدب القديمة زاوجت بين الجد والهزل، فالكتابات الجادة، تجاورها نوادر مسلية، مثيرة للضحك، فالفصول والأبواب التي تناولت موضوع القضاء والتقاضي ربما بدأت ببعض الآيات، والأحاديث، ومرويات عن الصحابة، والسلف، وبعض القصص الجادة، ثم يحصل انزياح سريع إلى بعض النوادر والغرائب، يقول أحد الباحثين: "فإذا وردت معلومات نظرية علمية، ومواد جدية في نص ما، فسرعان ما تعقبها المواد الخفيفة مثل

١- السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي، محمد عبد الكريم البكر، الزهراء للإعلام العربي، ط: ١، ١٩٨٨م: ٦٦٩.

٢- البخلاء، للجاحظ، دار البقعة العربية للتأليف والنشر، ١٩٦٣م: ٣٤.

٣- السابق: ٤٤.

بعض الفقرات والكلمات الشاذة؛ ليتم بذلك التوازن. فهذا التوازن كان يتجاوب مع الذوق الأدبي والحاسة الجمالية^١.

والسُّخرية في الأدب إما أن تُمَثَّلَ رأياً قُرْدِيّاً، أو رأياً جَمْعِيّاً، والأخير يكون بمنزلة النقد الاجتماعي الرامي إلى إصلاح ظاهرة ما، أو تفرغ شحنت من الحنق على الممارسات التي يقوم بها عددٌ من أرباب المهن، والمناصب، وربما وجد السَّاخِرُونَ والمتهكِّمُونَ تعويضاً في أسلوبهم عن فقد مكانتهم الاجتماعية، وربما وجد بعضهم في السخرية طريقة للتحذير والتنبيه والتعريض غير المباشر.

وفي مجالس القضاة سنجد نصوصاً متنوعة، ومتفاوتة، بعضها صدرَ من القاضي، وبعضها من الخصوم، وبعضها من الكتّاب، أو من الحضور، وربما جاءت بعض النصوص من مقالاتٍ خارج إطار المجلس القضائي، فتأتي في قالب نادرةٍ مُضْحِكَةٍ، أو جوابٍ مفحم، أو محاوراةٍ ومناظرة، وربما أورد بعضهم أبياتاً شعرية، أو رسالة إلى القاضي، أو حكمةً سائرة، وهذا التنوع الأجناسي ملحوظٌ في هذا اللون الأدبي.

واتجهتُ في بحثي إلى المجالس القضائية ذات الطابع القضائي، وألحقتُ بتلك المجالس المجالس المُحَاذِيَةَ التي اعتمدت على مقالات بين القاضي والخصوم، أو بين القاضي والشهود، أو بين الوالي والقاضي، وربما دارت في إطار خارج إطار المجلس الرسمي للقضاء، وربما دَنَّتْ إلى المقالة والمحاوراة.

غير أنَّ خصيصة الإضحاك والهزلية تبقى ركيزةً أساساً في مدونة البحث، وهي "مقومٌ أساس في النادرة"^٢ بوصفها جنساً أدبياً مستقلاً، وحاضراً في مجالس القضاة.

١- الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء: العاهات والمساوئ الإنسانية ومكانتها في الأدب الراقي، يوسف سدان، منشورات الجمل، ط: ١، ٢٠٠٧م : ٣٩.

وسَتَجَدُّ في نوادر القضاة أدباً هزلياً يمتاز بتنوع طرائق التواصل، وأساليب الحَمْل على الإضحاك، ومفاجأة المتلقي، وخرقُ أفق توقعه وانتظاره^١، فتلك المجالس التي اكتست بالوقار والهيبة، وذاك القاضي الذي تدثر بالمهابة والاحترام ستجد أن أيَّ خرقٍ لحُجُب تلك المهابة سيَدَوْنُ من الرواة، وسيحظى بقدر كبيرٍ من التلقي في مدونات الأدباء؛ رغبةً منهم في البحث عن النصوص الماتعة، والتي تكون مُتعتها—أحياناً—من انزياحها الهزلي. واستقى الباحث عيَّةَ الدراسة من كتب الأدب، والتاريخ، والتراجم القديمة، من مثل: كتاب (أخبار القضاة) لوكيع ت ٣٠٦ هـ، و(نثر الدر) للآبي ت ٤٢١ هـ، و(محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء) للراغب الأصبهاني ت ٥٠٢ هـ و(ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) للزمخشري ت ٥٣٨ هـ، وغيرها.

ولعلي أبدأ بإبراز أهم الأفكار والموضوعات التي هيمنت على أدب مجالس القضاة والتقاضي، وأشفعُ كل فكرةٍ ببعض النماذج وفأق ما يتَّسعُ له مقام البحث؛ رغبةً في تقديم عددٍ من النصوص إلى المتلقي في حيزٍ واحدٍ، وإبراز تنوع الأفكار والرؤى، ثمَّ أدلفُ بعد ذلك إلى حديثٍ مركِّزٍ أتناول فيه الخصائص الفنية لمدونة البحث.

وتبدو ثنائية الحثِّ على القضاء، والتخويف منه بازغةً في النصوص التي بين يدي؛ ذلك أنَّ مهمة القاضي مهمةٌ عسيرة، وتحفُّ بها تبعات عظيمة في الدنيا والآخرة، وجاءت

١- بلاغة النادرة في الأدب العربي، د.سليمان الطالي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع-عمان، ط: ١.

٤٣٦هـ / ٢٠١٥م: ١١٠.

٢- هناك من يرى أنَّ النادرة جنسٌ أدبي قائم بذاته، وله سماته، وخصائصه المستقلة، ومن أبرز هؤلاء: الدكتور محمد مشبال، وتلميذه الدكتور سليمان الطالي. انظر: (بلاغة النادرة، د.محمد مشبال، أفريقيا الشرق-الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، وبلاغة النادرة في الأدب العربي، د.سليمان الطالي).

٣- انظر: السابق: ١١٠.

جملةً من الأحاديث النبوية في التحذير من التهاون في القضاء، والاستهانة بمصالح المسلمين، وفي مقابل ذلك لابد أن يتولى المنصب من يقوم بمهامه، ويفصل بين الناس في حقوقهم، فاطَّردَتْ نصوصٌ هنا، وهناك في هذا المعنى من مثل قول عليان بن أبي مالك حين مرَّ بقاضٍ: "من أراد سرور الدنيا وخِزي الآخرة فليتمنَّ ما هذا فيه"^١ وبعد هذا النص مباشرة يأتي نصٌ لمسروقٍ يقول فيه بعد مداولة لإقناعه بالعمل القضائي: "لأنَّ أحكم يوماً بحق أحبُّ إليَّ من أن أغزو سنةً في سبيل الله"^٢.

وبين الحثِّ المحض، والتخويف المحض تحضر نصوصٌ تستدعي أهلية القاضي، وقدرته على مغالبة جملة من الأمور، فالخيرية للقاضي مشروطةٌ بجملة خصائص، كما في قول الحسن البصري ت ١١٠هـ: "إني لأرجو لقضاة المسلمين خيراً، مالم يَمَالُوا، أو يَرْتَشُوا، إذا أدَّوا الحق"^٣.

ولعلَّ منزلة القضاء، وما ينجم عنه، تستدعي حثاً على الاجتهاد في العدل، والبعد عن الهوى، والاستقصاء في النظر، وهذه مهمةٌ جليَّةٌ لا بد أن ينبري لها أناسٌ لهم سماتٌ خاصة، وهذه السمات مثَّلت فكرةً من الأفكار التي حَمَلَتْهَا بعض النصوص في كتب الأدب، فالزُّهري يحتزُّ للقضاة من ثلاث سمات، فيقول: "ثلاثٌ إذا كُنَّ في القاضي فليس بقاضٍ: إذا كرهَ اللوائِمَ، وأحبَّ المحامِدَ، وكَرِهَ العَزْلَ"^٤. ومجمل هذه السمات تدخل ضمن إطار مراقبة الله، والنأي عن حظوظ النفس، واتخاذ القضاء وجاهة، ورفعته على عموم الناس، ولذا فإنَّ موضوع الهروب من القضاء، خشية تبعاته، والخوف من عواقبه

١- ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٠.

٢- السابق ٤/ ٣٠٩.

٣- السابق.

٤- نثر الدر: ٣/ ٢١٩.

الدينيوية والأخروية يمثل أيقونةً ناصعة في أدب القضاء، وهو دأب المتورعين، والزهاد، الذين ابتدعوا الحيل الدقيقة فراراً من هذه المهمة الصعبة، وقد عَقَدَ السيوطي ت ٩١١هـ في رسالته الموسومة بـ (ذم القضاء وتقلد الأحكام) باباً خصَّصه للحديث عن فرار السلف الصالح من القضاء^١، وفيه -وفي مدونات الأدب- فكرة متواترة، توالفت فيها الأقاويل، والقصص، والنوادر حول الهروب من القضاء حتى جعلوا القاضي -في صورة من صور التحذير والحث على الهروب- "كالغريق في البحر الأخضر إلى متى يسبح، وإن كان سابحاً"^٢.

ومما أورده أرباب الأدب في فكرة التمنُّع من القضاء ما حصل بين المنصور ت ١٥٨هـ وأبي حنيفة ت ١٥٠هـ حين أمر المنصور أبا حنيفة بتولي القضاء، فقال: لا أصلح لذلك، فقال المنصور: إنَّك تصلح، فقال أبو حنيفة: إن كنت صادقاً، فلا يجوز لك أن توليني، وإن كنت كاذباً، فقد فسقت، فقال: والله لتلين، فقال: والله، لا وليت، فقال حاجبه: أمير المؤمنين يَحْلِفُ وأنت تحلف، فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني^٣.

إنَّ هذه المقاولات تنطلق من سلطة عليا (الخلافة) وتأتي في صيغة الأمر، غير أنَّ المجازفة تكون في عدم إجابة الخليفة، والنزول إلى رغبته، بل ومواصلة المحاجة في هذا الرفض، وإقفال الطريق أمام كل الاحتمالات المتوقعة، من دون استصحاب سلطات الخليفة، ونفوذها، بل تلبس بالكذب فراراً من إجابة الخليفة، وتستمر الحادثة في مسارها الصامد في التمنُّع من القضاء من طرف أبي حنيفة، حين يتدخل الحاجب، وهذا التدخل

١-مارواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين ذم القضاء وتقلد الأحكام، وذم المكس، تحقيق: مجد السيد، دار الصحابة للتراث-طنطا، ط: ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م: ٨٩.

٢-ربيع الأبرار: ٣١٢/٤.

٣-انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، دار الآثار-بيروت، دت: ٨٤.

يشي بإشارات عديدة، منها الحثُّ على إجابة الطلب، والخشية على أبي حنيفة من عاقبة رده، غير أنَّ قوة الحجة تستمر، في مؤثر على الخوف والخشية من عاقبة القضاء، والتورع عنه.

ويستثمر بعضهم الصورة لرسم خطورة القضاء، والتحذير من عاقبته، وعندما يعتمد إلى الصورة فإنَّ المتحدِّث يريد أن يبحث عن الإفشاء ببعض المعاني الدقيقة، وإيصالها إلى المتلقي في قالبٍ جاذبٍ، ومؤثِّرٍ، ودقيقٍ وهذا ما سنجدُه في قول أحدهم: "القُضاة جُسورٌ للناس يمرُّون على ظهورهم يوم القيامة"^١.

فالنصُّ يحيل إلى يوم القيامة، وهو يومٌ يُثيِّرُ ذِكرُهُ الذعر والخوف في نفوس المؤمنين، ويَسْتَرْعِي انتباههم؛ لأنَّه يُمثِّلُ المآل والمصير، ثم تأتي صورة القضاة في ذاك اليوم العصيب، حينما يستحيل القاضي إلى جسرٍ يمرُّ عليه الناس في إشارة دالة على حجم الأمانة والمسؤولية في القضاء، وارتباطه بمصالح الناس، ومعاشاتهم، وما يَدْخُلُه من ظلمٍ في الحكم، وربما تفريط وتهاون من القضاة، وهذه الصورة التي جاءت في قالبٍ مكتنز، ومكثف تستثير المتلقي، وتعمِّق البرهنة على صعوبة المهمة.

وتعامل القاضي مع المرأة هيأاً لصناعة بعض المرويات التي تصوِّرُ ميل القاضي إلى العاطفة، وانزياحه إلى رغباته الذاتية، وضعفه أمام جمال النساء، وتشوي -من جانبٍ آخر- بصورةٍ من صور المجتمع الحانق على القاضي، ومن أطرف ما رُوِيَ في كتب الأدب، ما رواه الأصبهاني^٢ ت ٥٠٢هـ من أنَّ امرأةً جميلة خاضعت زوجها عند الشعبي ت ١٠٣هـ، فقَضَى لها عليه، فقال:

رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

فَتَنَ الشَّعْبِيَّ لِمَا

١- ربيع الأبرار: ٣٢١/٤.

٢- انظر: محاضرات الأدباء: ٨٧.

فَتَنَّتْهُ بَيْنَانِ وَيَخْطِي حَاجِبَيْهَا
فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصْمِ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا
كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَ مِنْهَا نَحْرَهَا أَوْ سَاعِدَيْهَا
لَصَبَا حَتَّى تَرَاهُ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهَا

إنَّها صورةٌ مجحفةٌ للشعبي، صورةٌ تكشف عن جور الشاعرية - أحياناً - في تشويه صورة أحد أعلام العلم والقضاء، وقد سلَّط الشاعر سياطاً من الذم النَّايِع من فتنة القاضي بأحد الخصوم، فتنةٌ قادها استراق النَّظر إلى بعض أطراف المرأة، ثمَّ تجاوز هذا النظر إلى افتراضات لرؤية أجزاء أخرى من جسدها، إنها صورةٌ متكررة لنوادر القضاة حين تكون المرأة طرفاً في مجلس القضاء، وتمثل نفساً انتقامياً من خصوم القضاء. ولمزُ القضاة من بوابة النساء متواترٌ في أدب القضاة، فجمال المرأة، وخضوعها بالقول، وحاجتها إلى حكم القاضي تُذَيِّبُ عدل القضاة، وتميِّدُ بأحكامهم، وربما اصطنعها الشعراء فجنوا على القضاة، وركَّبوا عليهم ما يتوقعونه من طبيعة الرجل المائلة إلى المرأة، ومن الذع الهجاء الذي جاء من هذه البوابة هجاء هذيل الأشجعي قاضي الكوفة عبد الملك بن عمر حين قال^١:

إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَمَتْهُ بِحَاجَةٍ فَهَمٌّ بِأَنْ يَقْضِيَ تَنْحَنٍ أَوْ سَعَلٍ

فكان عبد الملك بن مروان يقول: "قَاتَلَهُ اللَّهُ، وَاللَّهِ لَرَبِّمَا جَاءَتْنِي النَّحْنَحَةُ، وَأَنَا فِي الْمَتَوَضَّاءِ فَأَذْكُرُ مَا قَالِ فَأَرْدُّهَا"^٢.

١- انظر: نهاية الأرب: ٤ / ١٤.

السابق، ٢-

وصورة القاضي الأحمق تتوارد في المرويات الأدبية، ذلك أنَّ سِمَةَ الذِّكَاءِ، والفِطْنَةِ هي الأصل في القاضي، والغباء، والحمق تمثِّل انزياحاً في شخصيته، ومن هنا تتشكَّل في مدونات الأدب صورةٌ للقضاة الحمقى، أو الأغبياء، ومصدر هذا الحمق متباين، متفاوت، فربما كان الأسلوب سبباً في الكشف عن حمق القاضي، من مثل سؤال أحد القضاة لامرأة تقدَّمت عنده "جامعَكَ الشهود؟! فسكَّتت. فقال كاتبه: إنَّ القاضي يقول: جاء شهودك معك؟ قالت: نعم، ثم قالت: ألا قلتَ كما قالَ كاتبُكَ؟ كَبُرَتْ سِنَّكَ، ونَقَصَ عقلُكَ، وعَظُمَتْ لحيَتكَ حتى غَطَّت على لُبِّكَ، ما رأيتَ ميتاً يقضي في الأحياء غيركَ!"^١.

ومن الحمق ما يكون من سوء فهم القاضي، وسذاجته من مثل ما رواه أبو سعيد الأبي ت ٤٢١هـ من تقدُّم رجلين ومعهما امرأة إلى أحد القضاة، فقال أحدهما: "أصلحك الله، هذه امرأتي تزوجتها على ستين درهماً، وهذا يدعي أنَّه يتزوجها على سبعين، فقال القاضي: عليَّ ثمانين. فقالا: أصلحك الله جئناكَ لتَقْضِيَ بيننا، لم نجئكَ لتزايِدنا..."^٢.

وفي مقابل هذا الحمق تصلنا نوادر لِحِذْق القضاة، وشدة حدسهم، فاستحالت بعض أسماء القضاة إلى علامةٍ للذكاء الحادِّ، والقدرة على استنتاج الخصوم بدهاءٍ، رغبةً في الوصول إلى الحق، فغابت القصص، والنوادر وبقي الاسم علامةً دالة على الذكاء الحادِّ، والفراسة، والانبهار من المتلقي بقدرات القاضي الذهنية، ومن هذا الصنف: القاضي إياس بن معاوية بن قرة ت ١٢٢هـ الذي ذاع صيته، وأصبح علامةً للفراسة والحِذْق والذكاء، وكان يقول عن نفسه: "الخِبُّ لا يخدعني، ولا يخدع ابن سيرين"^٣. وهو الذي ذكره أبو تمام ت ٢٣١هـ في بيته الشهير:

١- ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٦.

٢- نثر الدار: ٣/ ١١٣.

٣ - السابق: ٣/ ٢٣٢.

إِقْدَامُ عمرو في سماحة حاتم في حلم أحتف في ذكاء إياس

وقد أوردت كتب الأدب مرويات كثيرة دالة على فطنته، ودقة ملاحظته، ومن ذلك^١ أن رجلين اختصما عنده، فادّعى أحدهما أنه أودع عند صاحبه مالاً، فلما طلبه منه جده، فسأل إياس الرجل المدّعى عليه عن أمر الوديعة فأنكرها، وقال: إن كانت لصاحبي بيّنة فليأت بها، وإلا فليس له عليّ إلا اليمين، فلما خاف إياس أن يأكل الرجل المالَ بيمينه التفت إلى المودع، وقال له: في أيّ مكان أودعته المال؟ قال: في مكان كذا، وقال: وماذا يوجد في ذلك المكان؟ قال: شجرة كبيرة جلسنا تحتها، وتناولنا الطعام معاً في ظلّها، ولما همّمنا بالانصراف دَفَعْتُ إليه المالَ، فقال له إياس: انطلق إلى المكان الذي فيه الشجرة، فلعلّك إذا أتيتها ذكرتَ أين وضعت مالكَ؟ ونبّهتكَ إلى ما فعلته به؟ فجعل المدّعي يذهب إلى الشجرة، وأوهم المتّهم أنه بريء، قال: ثم عدّ إليّ لتخبرني بما رأيت، فانطلق الرجل إلى المكان، وقال إياس للمدّعي عليه: اجلس إلى أن يجيء صاحبك، فجلس، ثم التفت إياس إلى من عنده من المتقاضيين، وطفق يقضي بينهم، وهو يرقب الرجل بطرفٍ خفيٍّ، حتى إذا رآه قد سَكَنَ ارتاحت نفسه وكأنه صار بريئاً واطمأن، التفت إليه وسأله على عجل: أتقدّر أن صاحبك قد بَلَغَ الموضع الذي أعطاك فيه المال؟ قال له: لا، فقال له إياس: يا عدوّ الله تجحد المالَ، وتعرف المكان الذي أخذته فيه، والله إنك لخائن، فبُهِت الرجل، وأقرّ بخيانتته، فحبسه حتى جاء صاحبه، وأمره بردّ وديعته إليه . ويقابل ذلك قضاةٌ استحالَت أسماؤهم علاماتٍ دالةٌ على الغباء والحمق، وتحريف الأحكام، يقول الزمخشري ت ٥٣٨ هـ: "القضاة المضروب بهم المثل في الجهل،

١- انظر القصة في المصدر السابق: ٢٣١/٣.

وتحريف الكلام منهم: قاضي مِني، وقاضي جَبَل.... وقاضي إيدج^١. وحمقهم - كما أسلفت - استثار الأدياء لهجائهم، ووصف حمقهم، ورسم صور (كاريكاتورية) ساخرة عنهم، كقول أبي الحسن الجوهري في قاضي شَكَمْبَة^٢:

رَأَيْتُ رَأْسًا كَذَبَةً وَلَحِيَّةً كَالْمَذَبَةِ

فقلت: ذا التيس من هو؟ فقيل: قاضي شَكَمْبَة

ومن الموضوعات التي تناولتها مدونات الأدب: التكلف في الأحكام، والتمحل في تفسير بعض الحثيات القضائية إلى حدٍّ يثير الاشمئزاز، وينبئ عن قاضي غير سويٍّ هو إلى الوسوسة أدنى، وإلى التقعر أقرب، كما حصل من قاضي البصرة^٣ حين رُفِعَتْ إليه وصية لرجل، وفيها اتخاذ شيء من المال للحصون، فقال القاضي: اشتروا بها خيلاً للسبيل. أما سمعتم قول الجعفي:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى جَسْثِي الرَّدَى أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدَرَ الْقَرَى

وتكشفُ بعض النماذج عن حياة المجتمع، وطبقاته، وبعض يومياته، وصورة من خصوماته، ومن ذلك أن رجلين اختصما في ديكٍ ذبحه أحدهما، فقال القاضي: "ارتفعوا إلى الأمير، فإننا لانحكمُ في الدِّماء"^٤. ومع طرافة الرواية إلا أنها تكشف عن طبقة فقيرة، جعلت من ذبح الديك قضيةً تستحق الاحتكام إلى القضاء، ولو لم يكن الديك من

١-ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٠.

٢-انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م: ٤٠٨/٣. وشلنبة: بلدة في نواحي جرجان وطبرستان، ذات زروع وبساتين، شديدة البرودة.

٣-انظر القصة في: ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٨.

٤-نثر الدر: ٣/ ١١٩.

مُقَدَّرَاتِهِمُ المهمة لما اختصموا فيه، وهي من وجهٍ آخر تمثل طاقة الصبر عند القاضي، ومقدار تحمله، فهو يتعامل مع أصناف متعددة، وينظر في قضايا متنوعة، فهو مقصودٌ من الطبقات العليا، والدنيا، ويُعرض عليه الجسيم، والتافه، وهذه النافذة تفصح عن صورة المجلس القضائي، الذي يحكي أنماط المجتمع، وما يدور فيه.

وفي فلك الأدب القضائي يأتي حديث عن الشهادات، وقبولها، وردّها، وهي مادة شكلت حضوراً لافتاً في عينة الدراسة، ومن أطرف ما روي في هذا الباب ارتباط الشهادة بمعرفة الشعر، والدراية في روايته، فعندما شهد رجلٌ من بني نهشل عند عبيد الله بن الحسن بادره بهذا السؤال: أتروي قول الأسود بن يعفر: نام الخليلُ فما أحسُّ رُقادي... فقال له الرجل: لا. فقال عبيد الله: تُردُّ شهادته. وقال: لو كان في هذا خيرٌ لرَوَى شَرَفُ أهله^١.

وبعض النصوص تحمل قابلاً من النصح والحكمة في التعامل مع الشهود، والتعريف بهم، وتعظيم مهمتهم، ومآل شهاداتهم، ومن ذلك قول ابن عباس -رضي الله عنهما- "أَكْرَمُوا الشُّهُودَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْرِجُ بِهِمُ الْحَقُّوقَ، وَيَدْفَعُ بِهِمُ الظُّلْمَ"^٢.

وتحمل أقاويل القضاة في رد الشهود أجوبةً مفحمةً -أحياناً- وحضوراً ذهنياً يشي بسمية مهمة للقاضي، وهي: الفطنة، وحضور الجواب، ومثل هذه الأجوبة تُقْفِلُ الحوار، وتُنْهِي المَقَاوِلَةَ، فعندما ردَّ القاضي إياس بن معاوية شهادة أحد الرجال، اشتكاه على الحسن، فبادر الحسن إلى إياس، فقال: يا أبا واثلة، لِمَ رَدَدْتَ شهادة فلان؟ فقال إياس: يا أبا سعيد، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿مَنْ رَضَّوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ البقرة: ٢٨٢. وليس فلانٌ ممَّنْ أَرْضَى^٣.

١- انظر: السابق: ٢٢٤/٣.

٢- ربيع الأبرار: ٢٣٣/٤.

٣- نثر الدر: ٢٢٤/٣.

ووصايا الخصومة تأتي في قالب ساخر، وطريف، وفي إطارٍ سلبيٍّ يعتمد على الإنكار، والادعاء الباطل، والمماطلة في اليمين، كما في قول رجلٍ لآخر: "عَلِمَنِي الخصومة. قال: أَنْكَرُ مَا عَلَيْكَ، وَادَّعَى مَا لَيْسَ لَكَ، وَاسْتَشْهِدَ الْمَوْتَى، وَأَخَّرَ الْيَمِينَ حَتَّى تَنْظُرَ فِيهَا"^١.

ويرتبط بمجالس القضاء حديثٌ عن الأيمان والأقسام، فهي حاضرةٌ في مجالس القضاة، وهي أداة للإثبات، أو الإنكار، وتنميقتها الأسلوبية، والتفنُّن في سجعها، أو حسن تقسيمها ملاذٌ لتلبيس بعضهم، وبرهنة مرادهم، وقد روت كتب الأدب نصوصاً من هذه الأيمان، كقول أعرابي: "لا، والذي شَقَّ خُمُساً من واحدة. يعني: الأصابع من الراحة"^٢. وقول البحتري^٣:

أُقْسِمْتُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَحُرْمَةِ الشَّهْرِ الْأَصَمِّ

وقول أحدهم في أيمان مغلظة قالها شعراً في مجلسٍ قضائيٍّ؛
حَلَفْتُ بِرَبِّ زَمَزَمَ وَالْمُصَلَّى وَرَبِّ الْحَجْرِ وَالْحَجَرِ الْيَمَانِي
وَبِالسَّبْعِ الطَّوَالِ وَمَنْ تَوَلَّى تَلَاوْهَنَ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي

لقد حاولت في حديثي السابق أن يقف القارئ على أبرز الأفكار المتناولة في مجالس القضاة، وما ألحقته بها من حديثٍ عن الشهادات، والأيمان المرتبطة بالمجالس القضائية، وعززت الأفكار بالنماذج رغبة في إضاءة الطريق حول هذا الموضوع، والتعريف بكمِّ

١- ربيع الأبرار: ٣٢٢/٤.

٢- السابق: ٣٣٤/٤.

٣- انظر: السابق.

٤- انظر: السابق: ٣٣٢/٤ - ٣٣٤.

النماذج المتواترة في كتب الأدب، والوقوف على تنوعها، وارتباطاتها بموضوعات محاذية لها، وهذه الإضاءة الموضوعية ستقودني إلى التناول الأهم، وهو الحديث عن أبرز الخصائص الفنية لهذه النوادر، ولعل أبرزها يكمن في الآتي:

١- **حجاجية أدب القضاة:** ترتبط المجالس القضائية بتداول الآراء، والسعي الدائب لإثبات الادعاء، أو نفيه، واستعراض البراهين والحجج، واستهداف الإقناع من كل طرف مما جعل هذه المجالس تضم أدباً حجاجياً بامتياز، أعني: أنها صالحة للمعالجة الحجاجية، والحجاج معدودٌ من الممارسات العملية التي قد تؤدي إلى حل الاختلافات^١ والمجلس القضائي مجلسٌ قامَ لحل الخلافات، وإيقاع العقوبات، وضبط النظام، والحجاج ملازمٌ للفضاء الخلافية منذ أرسطو إلى العصر الحديث^٢، وهذا الصنف من النصوص -كما يقول أحد الباحثين- "يختلف عما سواه من جهة هدفه الذي يمكن اعتباره دون ريب برهانياً فإذا كان قصده مُعلنًا، واستدلّاه واضحاً، وأفكاره مرتبطة؛ فلأنه يحرص كلّ الحرص على الإقناع؛ إقناع المتلقي بوجهة نظره، أو طريقته في تناول الأشياء، بل قد يحاول حمله على الإذعان"^٣.

وفي أدب المجالس القضائية سنلاحظ استحواذ الحوار -أو مايسميه الحجاجيون بـ "التحاورية" - على النصوص المعتمدة على المقاولات، والمحاورات بين القاضي

١- الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقارنة تداولية، د. عبد الهادي الشهري، الانتشار العربي - بيروت، ط: ١، ٢٠١٣م: ٣٩.

٢- الحجاج عند أرسطو مضمن في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، هشام الريفي، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس: ١٢٣.

٣- الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث - إربد، ط: ٢، ٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ: ٢٥.

والخصم، من جهة، وبين الخصوم مع بعضهم من جهةٍ أُخرى، وربما دخل في هذا الحوار أطرافٌ أخرى كالشهود، وكتّاب القاضي، وأصحاب السلطة.

ومن أبرز منطلقات الحجج - التي تمثل نقطة انطلاق الاستدلال^١ - في هذا اللون الأدبي : الوقائع وتمثّل ما هو مشتركٌ بين عدّة أشخاص، أو بين الناس جميعاً، ولا تكون عرضةً للاحض أو الشك^٢، وأغلب الحقائق التي يرجّح فيها القاضي طرفاً على طرف آخر تكون بالحقائق المُعانية، وهو ما يصطلح عليه القضاة بـ(البينة) وفاق القاعدة الشهيرة "البينة على المدعي، واليمين على من أنكر"^٣.

ولذا فإنّ النصوص التي بين يدي تبحث عن الحقائق المعلومة، القاطعة، التي تحسم النزاع، وتغلق مسارب الشك، وتحتاج من القاضي إلى فطنة، وذكاء، ومن ذلك أنّ امرأتين تحاكمتا إلى القاضي إياس في كبة الغزل - وهو ما جمع من الصوف، ولفّ على شيء - فقال لإحدهما في السرّ: على أيّ شيء كبت غزلك، قالت: على كسرة، ثم سأل الأخرى، فقالت: على خرقة، فنفضت الكبة، فإذا هي على كسرة، فسمع بذلك ابن سيرين، فقال: ويح له ما أفهمه! ويح له ما أفهمه!^٤.

فالحجّة القاطعة قامت على الوقائع المشاهدة، التي يذعن لها المتلقي، ويسلم بنتيجتها، وذكاء القاضي جعله يصل إلى هذا اللون من الاستدلال، إذ خرّج عن قضية النزاع

١- في نظرية الحجج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠١١م: ٢٤.

٢- انظر: السابق.

٣- أصل هذه القاعدة الحديث الذي رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يُعطى الناس بدعواهم، لادّعى رجال أموال قوم ودماءهم، لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر. الحديث في صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الأقضية، رقم ١٧١١.

٤- انظر القصة: ربيع الأبرار: ٤/ ٣٢٦-٣٢٧.

(كَبَّةُ الْغَزْلِ) إلى ما بعدها، وعَمَدَ إلى الاستفسار السريّ، ليقطع الطريق أمام المراوغة، وحين اختلفت الإجابات استخدم الواقعة، وهي (وضع الغزل على الكسرة) فحسم النزاع، وانتهت المحاكمة بقطعيةٍ وحسم.

ومن المنطلقات الحجاجية المتوالية في أدب المجالس القضائية: (القيَم) و"عليها مدار الحِجَاج بكلّ ضروبه"^١. والقيمة الكبرى في هذا اللون الأدبي تكمن في قيمة العدل، وهي قيمة محورية مهيمنة على النماذج المقصودة في الدراسة، وهي غاية الوالي في تحقيق شرع الله، وإقامة العدل، وهي أسُّ استقرار الدول، واستمرارها، وهي غاية القاضي حين يحتكم إليه الخصوم، فهو يبحث عن العدل في الحكم بينهم، واتِّقاء الظلم، وهي غاية صاحب الحقّ، وهو أحد أطراف القضية، فهو ينشد العدل في اقتصاص حقّه، ورفع الظلم عنه، ولا ريب أنّ العدل المطلوب في القضاء هو أعلى هرميات العدل، عدلٌ مطلقٌ، لا يسوغ فيه الإنصاف الجزئي، وإنما هو إقامة العدل المستمد من عدل الله، وأمره بالعدل

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠.

ويُلمَز القضاة بخروجهم عن هذه القيمة، ويستثمرها أفراد المجتمع، لإقناع الجمهور باختلال قيمة العدل، واختلال ميزان القضاء، وهي رسالةٌ إشهاريةٌ يراد من تداولها وصول صوت الجمهور إلى صاحب القرار، والولاية، وإقصاء هذا النمط عن منصب حسّاس ترتبط به مصالح الناس، والمجتمع. تأمل قول أعرابي يصف قاضياً، فيقول: "يَقْضِي بِالْعَشْوَةِ، وَيُطِيلُ النَّشْوَةَ، وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةَ"^٢. فمضمون الرسالة الكبرى من هذا

١- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: ٢٦.

٢- ربيع الأبرار: ٤/ ٣٢٧.

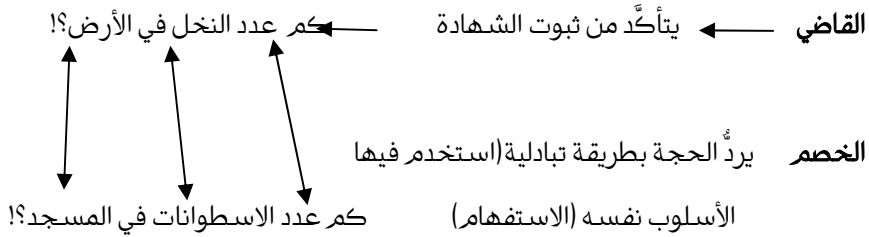
النص هو فقدان قيمة العدل عند هذا القاضي، وفي المقابل نجد نمطاً آخر من القضاة يُقنع المتلقي بتحقيق العدل في كل شيء حتى في جلسته، وتوزيع الحديث بين الخصوم، ومن ذلك ما روي أنَّ عبيد بن ثابت كتب إلى علي بن ظبيان قاضي بغداد: "بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَجْلِسُ لِلْحُكْمِ عَلَى بَارِي -وهو الحَصِير- وَكَانَ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْقَضَاءِ يَجْلِسُونَ عَلَى وَطَاءٍ يَتَكَبَّرُونَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحْيِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيَّ حُرَّانٌ مُسْلِمَانِ عَلَى بَارِي، وَأَنَا عَلَى وَطَاءٍ، وَلَسْتُ أَجْلِسُ إِلَّا عَلَى مَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ الْخُصُومُ" إِنَّهَا حُجَّةٌ قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ فِي الْمَجْلِسِ الْقَضَائِيِّ، وَفَاقَ تَعْلِيلٍ انْطَلَقَ مِنْ هَذِهِ الْقِيَمَةِ الْكُبْرَى الَّتِي يَتَغَيَّاهَا الْقَضَاءُ الْإِسْلَامِيُّ الشَّامِخُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ.

ومن أَمْعَ أنواعِ الْحُجَجِ فِي مَجَالِسِ الْقَضَاءِ الْحُجَّةُ الْقَائِمَةُ عَلَى الْعِلَاقَةِ التَّبَادُلِيَّةِ، وَتَتِمُّثَلُ هَذِهِ الْحُجَجُ فِي مُعَالَجَةِ وَضْعِيَّتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِسَبِيلِ الْأُخْرَى مُعَالَجَةً وَاحِدَةً، وَهُوَ مَا يَعْنِي أَنَّ تَيْنِكَ الْوَضْعِيَّتَيْنِ مُتَمَاثِلَتَانِ، وَإِنْ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، وَتَمَاثِلُهُمَا ضَرُورِي لِتَطْبِيقِ قَاعِدَةِ الْعَدْلِ، وَقَاعِدَةُ الْعَدْلِ هِيَ تِلْكَ الْقَاعِدَةُ الَّتِي تَقْتَضِي مُعَامَلَةً وَاحِدَةً لِكَاثِنَاتٍ، أَوْ وَضْعِيَّاتٍ دَاخِلَةٍ فِي مَقُولَةٍ وَاحِدَةٍ^١.

فَالْمُحَاوَر-هَنَا- يَقُومُ بِاسْتِلَالِ الْحُجَّةِ مِنْ كَلَامِ الطَّرَفِ الْآخَرِ بِطَرِيقَةٍ قِيَاسِيَّةٍ، تَسْهَمُ فِي الْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا رُويَ عَنْ ابْنِ شَبْرَمَةَ أَنَّ قَوْمًا شَهِدُوا عِنْدَهُ عَلَى قِرَاحٍ فِيهِ نَخْلٌ، "فَسَأَلَهُمْ عَنْ عَدَدِ النَّخْلِ، فَلَمْ يَعْرِفُوا، فَرَدَّهُمْ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَنْتَ تَقْضِي فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَكَمْ فِيهِ مِنْ اسْطَوَانَةٍ، فَأَجَازَهُمْ"^٢.

١- في نظرية الحجج دراسات وتطبيقات: ٤٥.

٢- ربيع الأبرار: ٣١٥/٤.



ومن النماذج الحجاجية الناصعة في هذا اللون الأدبي، مدار بين القاضي إياس، وأحد الخصوم، حين استلَّ القاضي إياس الحجة من أسئلة الرجل، وقلَّبها عليه بطريقة ذكية، فلم يكن منه إلا الإذعان، والتسليم، واليك المثال^١:

أسئلة الرجل (١)	أجوبة القاضي إياس (٢)
-هل ترى عليَّ من بأسٍ إن أكلتُ تمرًا؟ -هل ترى عليَّ من بأسٍ إن أكلتُ كَبَسُومًا؟ -قال: فإن شربتُ معه ماء؟ -قال: فَلِمَ تحرَّم السكر، وإنما هو مذكرت	-قال: لا. -قال: لا. -قال: جائز. قال له إياس:
أسئلة القاضي إياس (٣)	أجوبة الرجل (٤)
-لو صببتُ عليك ماءً هل كان يضرُّك؟ -فلو نثرتُ عليك تراباً هل كان يضرُّك؟ -فإن أخذتُ ذلك فخلطته، وعجنته، وجعلتُ منه لبنة عظيمةً فضربتُ بها رأسك هل كان يضرُّك؟	-قال: لا. -قال: لا. -قال: لا.
قال: فهذا مثلُ ذلك.	

١-انظر: نهاية الأرب: ٤/ ١٣.

إنَّ هذا النصَّ حجاجيٌّ بامتياز، والعلاقة التبادلية تبدو من استخدام القاضي إياس الأسلوب نفسه في إقناع المتلقي، والتنزُّل معه في الحجة، وفق إستراتيجية حجاجية ناجعة في الإقناع المتدرِّج، ووافق الحجج المَعْتَدِّ بها عند الطرف الأول، حتى انتهى الحوار بالمقايسة، والقياس -هنا- قياسُ برهانيٍّ، قائمٌ على المنطق المُتَصَاعِدِ، والمختوم بالإذعان، والتسليم.

٢- **الصُّورُ السَّاخِرَةُ** : تحتلُّ النادرة الأدبية حيزاً لا بأس به من المرويات الخاصة بمجالس القضاء والتقاضي، ومن أَلَمَعْ خصائص النوادر الأدبية المجاز الهزلي، وغَلَبَ الصور الساخرة . يقول أحد الباحثين: "يتولَّدُ الهزل والإضحاك في كثيرٍ من نصوص النوادر من مجموعة الصور البلاغية الجزئية"^١.

والصور الجزئية الواردة في هذه النصوص تشكِّلُ صوراً كليةً ساخرة من القاضي، وساخطة من القضاء، وفيها انتصارٌ للذات -أحياناً- وتلمس فيها ملامح من الغضب على الأحكام الصادرة ، وهذا يذكر بقول القاضي شريح : "أصبحتُ ونصفُ الناس غضاباً"^٢ . وغضبهم سيدفع إلى تسخير الصور الأدبية لرسم صور (كاريكاتورية) من القاضي، والقضاء من مثل قول إحداهنَّ : "ما رأيتُ مَبْتَأَ يَقْضِي في الأحياء غيرك"^٣ .

وترسم بعض المقطوعات الشعرية صوراً ساخرةً بالقضاة تأتي في لغة بسيطة، تنسجم مع فهم الجمهور العام، وغايتها إشهار السخرية بالقاضي، كقول أبي إسحاق

الصابي في قاضي إيدج:

ياربِّ علجٍ أعلج
مثل البعير الأهوج

١- بلاغة النادرة في الأدب العربي: ١٢٣.

٢- نثر الدر: ٢٢٦/٣.

٣- ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٦.

رَأَيْتُهُ مُطْلَعاً
وَحُلْفَهُ دَيِّبَةً
فَقُلْتُ: قَاضِي إِيذَج
مَنْ خَلْفَ بَابِ مَرْتَجٍ
تَذْهَبُ طَوْرًا وَتَجِي
فَقَالَ: قَاضِي إِيذَج

وملحوظاً أن الصور-هنا- بسيطةٌ، وتنزع إلى الحسيَّة والواقعية؛ ذلك أن دائرة المقابلة والحوار في المجلس القضائي تمثِّل شرائح عديدة من المجتمع، فجاءت الصور من البيئة، والمجتمع القريب، وغلبت عليها الآنية، وقلَّة الأعمال الذهني، فجاءت صورة القاضي في جملة النصوص مرتبطةً بالحمق، والغباء، والميل إلى المرأة، وقبول الرشوة، ويتشكَّل من هذه المعاني صورٌ ساخرة، ولا ريب أنَّ هذه الصور فيها جنائية على صورة القضاء الإسلامي الناصع، وتمثِّل علامة من علامات جنائية الأدب على أرباب الحرف، والأعلام، والقبائل، ولا أدلُّ على ذلك من تشويه صورة الإمام الشعبي ت ١٠٣هـ وهو التابعي الفقيه الذي قال عنه الإمام مكحول ت ١١٢هـ: "ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي" ثم يُنسب إليه الجور في الحكم بسبب الميل إلى المرأة، ويشيع في كتب الأدب قول القائل^٢:

فُتِنَ الشَّعْبِي لَمَّا
رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَتَنَّتْهُ بَنَاتُ
وَبَخَطَّتْ حَاجِبَيْهَا

غير أنَّ الأدب يُعني بالانزياحات، والبحث عن الإمتاع، والتسلية بمثل هذه الروايات، على حساب أشياء عديدة.

١- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م: ٤ / ٢٩٨.

٢- محاضرات الأدباء: ٨٧.

وتأتي بعض الصور الحسية لرسم صورة عن حمق القاضي، ومن ذلك سمة: الطُّول المرتبطة عند العرب بالحمق، ولذلك تقول العرب: "ترى الفتيانَ كالنَّخْل، وما يُدْرِك ما الدَّخْل" والطول في القضاة يرتبط بهذه السمة أيضاً، وهي سمةٌ حسيةٌ ارتبطت بخصيصة معنوية غير مطَّردة، ولك أن تتأمل في قول أبي السكينة القاضي-وكان طويلاً- بَلَّغَنِي أَنَّ الطويل يكون فيه ثلاثٌ لأبدٍ منها...يَفْرُقُ مِنَ الكلاب، ولا والله ما خَلَقَ الله دابةً أنا لها أَشَدُّ قَرَقاً من الكلاب، أو تكون في رجله قرحةً، ولا والله ما فارت رجلي قرحةً قطً، أو يكون أحمقً، وأنتم أعلمُ بقاضيعكم^٢.

فهو يعمد إلى سمات الطول الجسدي، وألصق السميتين المتقدمتين به، ثم ترك للمتلقين السمة الثالثة، وهي: الحمق، وكأنه أضمر إقرار هذه السمة على نفسه، وفاق معادلة مضطربة لشخصية القاضي المتشكلة في أذهان الناس، والحيلة أن النصَّ رسمَ صورةً للقاضي الطويل، وإيراد هذه السمة جاء على سبيل التندر والسخرية، وفيه دلالة على أن بعض المرويات في المدونات الأدبية، أو التاريخية تعكس صوت المجتمع، وتبرز حنقه على بعض القضاة، وتكشف ضعفهم، وعدم أهليتهم لهذا المنصب، وتنبئ عن الأثر الكارثي لتولية المنصب من ليس أهلاً لتوليهِ.

وربما فطن القاضي لتهاون أحد الخصوم بالأقسام، وحمله على الصدق بدعوات تشكّل صورةً بشعة للكاذب، وفي طياتها تحذيرٌ من مغبة التحايل، فتطوي الدعوات المتتاليات صوراً حسية، متحركةً لشخصية الخصم إذا كَذَبَ، كما حصل من أحد القضاة حين اسْتَحَلَفَ خصماً، ف قيل له: إنه لا ييالي بالحلف، ولكن احمله على حلف لا

١-مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل-بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ٢٤٠/١.

٢-نثر الدر: ١١٧/٣.

يجرؤ عليه، فقال القاضي: "جَعَلَ اللهُ تعالى نومك نغصاً، وطعامك غُصاً، ومشيكَ رُقْصاً، وسَلَخَكَ اللهُ برماً، وقَطَّعَكَ حِصْصاً، وملأ عينيك غَمْصاً، وأدخلَكَ قَفْصاً، وابتلاك بهذه العصا، فأبى أن يحلفَ، وأذعن للحق".^١

وإذا كان الهزل يمثل جانباً في أدبيات المجالس القضائية، فإنَّ في مُقابلها صوراً أخرى تصوِّر القضاء تصويراً جاداً، يحيل إلى الوَجَلِ منه، والخوف من تبعاته، وهي صورٌ أقلُّ بزوغاً من الصور الساخرة المتواترة في هذا اللون الأدبي، من مثل قول أبي حنيفة ت ١٥٠هـ: "القاضي كالغريق في البحر الأخضر، إلى متى يسبح، وإن كان سابحاً".^٢ فهو يشبه القاضي بالغريق، وإضافة الغرق إلى البحر الأخضر يعمِّق خطورة القضاء، ويفتح أفقاً واسعاً للخوف منه، خوفٌ في الدنيا من ظلم الناس، وعدم تحقيق مصالحهم، وغرقٌ في الآخرة بمصير الظلم، والسباحة في الصورة تمثِّل اجتهد القاضي في أحكامه، ومقاومته هموم القضاء، ومغرياته، وخطورته، لكنَّ الصورة تلحُّ على المصير وهو الغرق، في رغبةٍ للتحذير من هذا المصير، والتخويف منه.

٢- **التناص القرآني:** التناص هو: "تَعَالَى نصوصٍ مع نصٍّ حَدَثَ بِكَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ".^٣ فالنص -كما تقول جوليا كريستيفا- هو "لوحةٌ فسيفسائية من الاقتباسات، وكلُّ نصٍّ هو تَشْرُبٌ وتحويلٌ لنصوصٍ أخرى".^٤ والمرويات القضائية ارتبطت بتاريخ القضاء الإسلامي الذي يَمْتَحُ من مصدرين أساسيين هما: القرآن، والسنة، مع التصاق المنصب

١-ربيع الأبرار: ٤/ ٣٢٨.

٢-السابق: ٤/ ٣١٢.

٣-تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط: ٢، ١٩٨٦م: ١٢١.

٤-علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر-الدار البيضاء، ط: ١، ١٩٩١م: ٢١.

القضائي بالعلماء، ممن لهم دراية بالأحكام الشرعية، وقدرةً على استنباط الحكم وفاق الكتاب، والسنة، أو ما يسوغ فيه الاجتهاد وفاق هذين المصدرين، ومن هنا بات استحضر النص القرآني حاضراً في المجالس القضائية، وظَّهرَ في المقاولات والمحاورات والردود، في إشارةٍ إلى قُرْبِ النص القرآني من ذهن القاضي، وقدرته على سرعة استحضاره.

وإذا كان دارسو التناص يقسمونه إلى تناصٍ اقتباسي، وإحالي، وإيحائي^١، فإنَّ المدونة التي بين يدي توقفني على شيوع النوع الأول، فالاقتباسي يمثِّل أبسط ألوان التناص، ويتناسب مع آنية النص الشفاهي، وأنماط بعض المتحاورين في مجالس القضاء، فالنص القرآني يحظى بقُدسية كبيرة في نفوس المتلقين، واستخدامه يمثِّل علامة الفصل، وبيان الحجَّة، ويستمدُّ الباثُّ منه تلك الهيمنة، فالقاضي يستحضر النصَّ القرآني لاختزال الحكم، وتسويغهِ، وإنهاء الخصومة، أو التخويف من العقوبة، كما حصل من القاضي أبي ضمضم حين رأى في مجلس القضاء رجلاً معه ألواحٌ يوثِّق نوادره، فرماه بدواةٍ وشجَّه، ثم أمر بحبسهِ، فقال كاتبه: "ما أكتبُ قصته في الديوان؟" قال: اكتب ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ مُبِينٌ﴾^٢ الحجر: ١٨.

ومما يؤكِّد سرعة استحضر النص القرآني في الحكم بين الخصوم، وحصافة القاضي، وخبرته في عدم الاتكاء على ظاهر الأمور، ما جرى بين الشعبي ت ١٠٣هـ وشريح

١-التنصص الإحالي تظهر فيه دوالٌ من القرآن، وتلمع فيه لفظة من ألفاظه، أما الإيحائي: فهو أقلُّ أشكال الاقتباس وضوحاً وحرفيةً، ويرaug المتلقي بتخفيه، وعدم وضوحه. انظر تفصيل هذه الأنواع في (التنصص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط: ١٤٣١هـ ٢٠١١م).

٢-نثر الدر: ١١٥/٣.

ت ٧٨هـ حين جاءت إلى شريح امرأة تُخَاصِمُ زوجها، فأرسلت عينها، فبكت، فقال الشعبي: يا أبا أمية، ما أظنُّ هذه البائسة إلا مظلومة. فقال شريح: يا شعبي، إنَّ إخوة يوسف جاءوا ﴿أَبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ يوسف: ١٦.

والنصُّ القرآني يمثِّلُ حجةً دامغةً، وقفلاً للحديث، ويضفي على الحكم قدسية ومهابةً مستمدةً من قدسية القرآن، ويركن إليه القاضي للحسم، فإذا رَدَّتْ شهادة رجلٍ من دون مسوغ ظاهر، ورُوجع القاضي، استحضر قول الله تعالى: ﴿مَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ البقرة: ٢٨٢. وليس فلانٌ ممن أَرْضَى^٢.

والتناص الإحالي يبدو أكثر فنيةً، وأجمل توظيفاً، ذلك أنَّ المباشرة في النصوص الأدبية غير محمود، وإنَّما الجمال في الغموض الشفاف، والتَّمنُّع من إعطاء المعنى منذ الوهلة الأولى، ومما ورد في النصوص القضائية دون اقتباس مباشر قول أبي حنيفة ١٥٠هـ حين تمنَّع من القضاء: "الضُّرب في الدنيا بالسياط أهون عليَّ من مقامع الحديد في الآخرة"^٣. فـ "مقامع الحديد" تحيل إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ مَقَاصِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ الحج: ٢١. ويبقى التناص القرآني شاهداً على قرب النص القرآني من القضاة، فهو الدستور الذي يُرْكَنُ إليه، وتستمد منه الأحكام، ولا غرابة أن يكون قريباً من القاضي في ردوده، ومقاولاته، وحججه، وأحسب أنه يمثل حجة السُّلطة، وهي من أنواع الحجج المعتمدة في الدرس الحجاجي، وهي حججٌ "تغذوها هيبة المتكلم، ونفوذها وسطوته"^٤.

١- انظر: السابق: ٢٢٦/٣.

٢- انظر: السابق: ٢٢٤/٣.

٣- ربيع الأبرار: ٣١٢/٤.

٤- في نظرية الحجج: دراسات وتطبيقات: ٥٢.

٤- الحوار : يُمَلِّ الحوارُ أَسْأً من أُسس المجالس عامةً، فالمجالس على اختلاف أنواعها تقوم على طرف باثٍّ، وطرفٍ مستقبل، وأطرافٍ أخرى متلقيه، وتتعاقب تلك المهام في المجالس بشكلٍ طُرادي، فجلُّ النصوص -هنا- قامت على المقاولات، والمحاورات، والتجاذبات، ولا غرو في ذلك فالمجلس القضائي يستدعي الحوار من أطرافٍ عديدة (القاضي- المدعى- المدعى عليه- الشهود- الأطراف الأخرى كالحرَّاس أو الحضور...) ويبقى القاضي محرَّكاً لهذا الحوار، ومديرًا له، ومُتَسَيِّداً للمجلس في سبيل غايته الرامية إلى الوصول إلى الحقيقة، وتحقيق العدالة.

والاستنكار يأتي من عدم إعطاء الخصم فرصةً تُوازِي خصمه في الحديث، والمحاورة، فحينما تكلم خصمٌ، دون آخر، بَادَرَ الأخير بقوله: "أيها القاضي، تقضي على غائب؟ قال: كيف؟ قال: أنا غائبٌ إذ لم أترك أتكلم"١

والحوار في النصوص يسهم في تدفقها، وحيويتها، ويكسِرُ الرتابة ويُجَدِّد نشاط المتلقي في حركية النص. يقول أحد الدارسين: "يُعَدُّ الحوار من الوسائل اللغوية -- والتقنية في الوقت نفسه -- التي يستخدمها الأديب عند إنجاز نصٍّ أدبي، وبخاصة من هذه النصوص التي درَجَ النقاد على تسميتها ب: النصوص الموضوعية -خلافًا للنصوص الذاتية التي يعدُّ الشعر من أعمدها- فالحوار إذن، نوع من أنواع التعبير تتحدث من خلاله شخصيتان، أو أكثر حول قضية معينة. وإذا ما كان هذا الحوار فنيًا فإنه يتسم بالإيجاز والإفصاح والموضوعية، وهو الطابع الذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار"٢.

١- ربيع الأبرار: ٤/ ٣١٤.

٢- ١- نظر: الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون. د. طه عبد الفتاح مقله، مكتبة الشباب - القاهرة، ١٩٧٢م: ٩.

غير أنَّ الحوار في النصوص القضائية لا زَمَ جُلَّ نماذجها، وامتاز بالقصر، والاعتماد على السؤال والجواب، وهو في بعض نماذجه أقرب إلى التحقيق، فيتجه السؤال من السلطة (القاضي) إلى المتهم، أو المدَّعي، ويحضر التوجُّس، والتحرُّز في القول؛ لأنَّ الكلمة ربما جَنَّت على صاحبها، وأوردته حكماً قضائياً لا تُحمد عاقبته، غير أنَّ مدونات الأدب بحثت عن المقاولات الطريفة، التي تحمِل انزياحات عن عادة المحاور، وربما كان منبع الطرافة والعدول من إفحام الجواب، وسرعة البديهة، فينتهي حينئذ الحوار بسرعة تُفاجئ المتلقي. من ذلك ما رُوِيَ من أنَّ ابن أسد بنى قصراً في البصرة، وفي جانبٍ منه حجرة صغيرة لعجوزٍ تساوي عشرين ديناراً، فاحتاج إليها فطلبها بمئتي دينار، فأبت العجوز، فقيل لها: إنَّ القاضي يحجر عليك لسفاهتك؛ لأنك ضيَّعت مئتين فيما قيمته عشرون، فقالت: ولمَ لا يُحجرُ على من يشتري بمئتين ما يساوي عشرين، فاشترت منها بثلاثمئة ديناراً!

وربما طغى الحوار الجدلي بين الخصوم في مجالس القضاء، وهذا النمط من الحوار يعرِّفه النقاد بأنه حوارٌ متكافئ فيه العلاقة بين المتحاورين، ويهيمن فيه الدحض، أو الإثبات، والنفي، وتقرع فيه الحجَّة بالحجة إلى أن يصل المتحاوران إلى حدِّ الإقناع، أو الاتفاق على الخلاف، وهذا المشهد من الحوار يقع بين المدعي، والمدَّعى عليه، ويحرِّكه القاضي الذي يكون طرفاً من أطراف الحوار في البحث عن الحقيقة، وسيطراً في النصوص حوارٌ من نوع آخر يسميه بعضهم بالحوار السِّجالي، الذي يضمُّ تهديداً، وسباً، وسخرية، وذلك من أحد الأطراف المتضررة من الحكم، الساخطة عليه، أو من طرفٍ لا

علاقة له بالتقاضي، وإنما يريد التشفي من القضاة، والتعبير عن صورتهم الذهنية القارة في بعض المجتمعات^١.

٥- السرد: الحديث عن مفهوم السرد حديثٌ طويل الذيل، حيث "اتَّسع اليوم مجال استخدام السرد، فأصبح يطلق على كل ما يتعلق بالقصص فعلاً سردياً، أو خطاباً قصصياً، أو حكايةً، ويبقى السياق الذي يُستعمل فيه هو الخلق بضبط المعنى الدقيق الذي يعنيه"^٢.

ومفهوم السرد يندرج ضمن المفاهيم المستحدثة في الساحة النقدية العربية، استعمله النقاد، ليكون المفهوم الجامع لكل التجليات المتصلة بالعمل الروائي أو الحكائي، وتعتمد البنية السردية على ثلاثة مكونات رئيسة: الراوي، والمروي، والمروي له^٣، وهذا ما سنلاحظه في هذا اللون الأدبي المُعتمد على بنية سردية بسيطة. يقول محمد القاضي معلقاً على البنية السردية في المدونات الأدبية القديمة: "إنَّ الظاهرة التي تسترعي انتباهنا في الأخبار الواردة في مؤلفات القرنين الثالث والرابع للهجرة، وخاصة منها كتب الاختيارات من قبيل: البيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، وعيون الأخبار لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبدربه، والأُمالي للقالبي أنَّ القسم الأكبر منها ذو بنية بسيطة قائمة على ثنائية سردية واحدة ترد مفردةً أو تتكرر في الخبر الواحد... فالخبر

١- انظر أنماط الحوار حسب العلاقة بين المتحاورين والأعمال اللغوية المهيمنة في معجم السرديات،

مجموعة باحثين بإشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر-تونس، ط: ١، ٢٠١٠م: ١٦٠

٢- السابق: ٢٦٤.

٣- انظر: موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط: ١،

٢٠٠٥م: ٧.

عادةً يقوم على استعادة قول مأثور، أو نقل حوار طريف بين شخصين، وقد يتدنى حظ السردية في مثل هذه الأخبار، فيقتصر أمرها على ذكر القول^١.

ويلفت النظر في مرويّات المجالس القضاية بساطةً بنيّتها السردية، وبساطة تدفقها السّردي، وقِصْرُ نَفْسِهَا، كما هي عادة المدونات الأدبية القديمة في انتقاء بعض الطرائف، والأخبار ذات السمة الوجيزة التي تتجه صوب فكرة عميقة في قالب وجيز، وأمام رغبة من صاحب المدونة في تجديد نشاط المتلقي، ونقله من حيزٍ إلى آخر، ومن شخصية إلى أخرى، ومن حدثٍ جادٍ إلى آخر هازل، ولك أن تتأمل حركة السرد البسيطة في هذه الرواية: "تزوَّج بعض الخصيان في زمن شريح بامرأةٍ فأتت بولد، فتبرأ الخصيُّ منه، وترافعا إلى شريح، فألحق الولد به، وألزمه أن يحمله على عاتقه، فخرج على تلك الصورة، واستقبله خصيٌّ آخر. فقال له: انجُ بنفسك، فإنَّ شريحاً يريدُ أن يُفرِّقَ أولاد الزنا على الخصيان"^٢.

وسمة التحويل كما يسميها محمد القاضي^٣ بنية ظاهرة في بعض النماذج، فشخصية القاضي الحازمة، الحاذقة، الرزينة، المهابة تتحول إلى الحمق، والغباء، والسذاجة، فقاضي البصرة احتكم إليه حائِكٌ في حمامة، فأخذها ومَسَحَ عَيْنَهَا، ثم أرسلها. فقال الحائِك: ما فعلتَ أيُّها القاضي؟! قال: تذهبُ إلى بيت صاحبها، وحين احتكَمَ إليه رجلان، ومعهما امرأةٌ. فقال أحدهما: أصلحك الله. هذه امرأتي تزوجتها على

١- الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، د. محمد القاضي، منشورات كلية الآداب - منوبة، ط ١: ١٩٨٩هـ / ١٩٩٨م: ٣٥٥.

٢- نثر الدر: ٣ / ١١٩ - ١٢٠.

٣- انظر: الخبر في الأدب العربي: ٣٦٠. يقول القاضي في توضيح معنى التحويل: "ومعنى ذلك أن الخبر يقودنا من اتصاف الشخصية بصفة إلى اتصافها بعكسها".

ستين درهماً، وهذا يدعي أنه يتزوجها على سبعين. فقال القاضي: عليّ بثمانين، فقالوا: أصلحك الله جئناك لتقضي بيننا، لم نجئك لتزايدينا.

وبنية الإلغاز^٢ شائعة في بعض النصوص المروية في مجالس القضاء، فالقضية التي تصل إلى القاضي ما هي إلا لغزٌ يحتاج إلى إعمال ذهنٍ وحِذْق، وربما إلى حيلة تُمكن القاضي من تبديد الغموض، وصولاً إلى الحق، وقد أسلفت في ذكر عددٍ من النماذج للقاضي إياس الذي مثّل أنموذجاً لحدة الذكاء، وحسن القضاء بين الخصوم.

وجملة من النصوص تقوم بنيتها السردية على ردة الفعل، إيجاباً أو سلباً، فالقاضي يُهيمن على المجلس القضائي، والخصوم والشهود في انتظار كلمات القاضي، وأحكامه، وربما ساد التوجُّس والتخوف من نطق القاضي بالحكم، فإذا ما صدرَ الحكم جاءت ردة الفعل من الخصوم بالتظلم، أو التأييد، أو التهديد، أو الدعاء أو ينزاح الرد إلى السخرية والهزلية، وربما كان الرد ذكياً ملهماً للقاضي في إعادة النظر في حكمه. فحينما شهد عند القاضي ابن شبرمة قومٌ على قراح فيه نخل سألهم عن عدد النخل، فلم يعرفوا، فردَّهم. فقال رجلٌ منهم: "أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنةً فكُم فيه من أسطوانة. فأجازهم"^٣.

٦- **إيجاز الأمثال وعفويتها:** من سمات الأمثال تكثيفها، واكتنازها، وإيجاز ألفاظها.

وقد أشار القاسم بن سلام^٤ ت ٢٢٤هـ إلى سمات المثل وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى.

١- انظر: نثر الدر: ١١٨/٣.

٢- انظر: الخبر في الأدب العربي: ٣٦١.

٣- ربيع الأبرار: ٣١٥/٤.

وحسن التشبيه^١، والعفوية والآنية سمةً أخرى للأمثال، فهي تنشأ من برقة فكر، أو لفظة شاعر^٢، أو عمق تجربة فتصدر من قائلها، فيتلقفها المتلقي بشغفٍ، ثم تدور في المجتمع، وتضمّد في سجل التاريخ، ويذوب القائل، ويصمد المَقُول.

وبعض الأقوال الصادرة من القضاة تتعالق مع الأمثال في هذه الخصيصة، فكلام بعضهم يأتي في قالب يقارب المثل في الإيجاز، وسرعة الجواب، وآنيته، كم أن صيغة المثل تعمّق الأثر الحجاجي للقول "فالمثل يوظف لإبراز أطروحة، أو الدفاع عن رأي بوصفه حُجّة، ودليلاً قاطعاً، تكمن أهميته في تغيير المعتقدات والأفكار والسلوكات"^٣.

ويبدو أن خبرة القاضي، ونخبوية الانتقاء لهذا المنصب المؤثر في المجتمع، والخطوة الكبيرة عند الأمراء والوجهاء جعله منبعاً لأقوالٍ تدنو من الأمثال، واستخدامها يكون محطة من محطات الحسم، أو مناطاً من مناطات النصيح والإرشاد، ولعلنا نتأمل في العبارات الآتية:

- يقول القاضي شريح: "الحِدَّة كُنْيَةُ الْجَهْل"
- يقول القاضي ابن شبرمة: "مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَرَ خُصِمَ"^٥.
- "إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا مُّمَارِيًا، مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ"^٦.

١- انظر: الأمثال، للقاسم بن سلام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث-دمشق، ط: ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ٣٤.

٢- الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر-دمشق، ط: ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٢٥٦.

٣- بلاغة النادرة في الأدب العربي: ٢٣١.

٤- نثر الدر: ٣/ ٢٢٠.

٥- السابق: ٣/ ٢٢٨.

٦- السابق: ٣/ ٢٣٠.

▪ يقول القاضي يحيى بن سعيد الأنصاري: "من كانت له نفس واحدة لم يُغيره الإقتار، ولا المال".^٣

إنَّها أقوالٌ كثيفةٌ موجزةٌ، دالةٌ على عمق التجربة والدراية، وهي علامةٌ على العناية باختيار القضاة، ودورهم الكبير في التأثير المجتمعي، ورغبتهم في إصلاح النفوس، وتهذيبها، وترسيخ القيم النبيلة، الفاضلة، وهنا تتعالق الأقوال التي تصدر من القضاة - إن في عملهم، أو في الظروف الحافّة لعملهم - بالأمثال في تكثيفها الفكري، وإيجازها الأسلوبي، وتأثيرها العميق في المتلقي، وتسهم حينئذٍ في تعزيز هيبة المتكلم (القاضي) وتعزيز سلطته.

٧- التلميح: تُفضي هيبة القاضي، ومجلسه إلى الإلماح، والتكنية، في رغبةٍ من الخصوم الإمساك بفرص العدول عن القول، أو خشية ردة فعلٍ مخالفة من القاضي، وربما كان التلميح عميقاً يكشف عن حذقٍ لازمٍ لبعض القضاة، فحين ولي يحيى بن أكثم ت ٢٤٢هـ قضاء البصرة استصغروا سنّه، فقال له رجلٌ: "كم سنُّ القاضي أعزه الله؟ فقال: سنُّ عتّاب بن أسيد حين ولّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة" ^٢ وهذه الإلماحة تشي بالماعات كثيرة، فسنُّ عتّاب بن أسيد - رضي الله عنه - خمسة وعشرون عاماً حين تولّى مكة، وهنا نستحضر عمُر الوالي على بلد مثل مكة، وصاحب القرار في ولاية عتّاب وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي سيدرك أبعاداً كثيرة لولاية هذا الشاب، فانزياح الجواب من الصراحة والمباشرة إلى استدعاء سنٍّ أحد الصحابة فيه حجاجية كبيرة، إضافة إلى قلب الإحراج من السائل إلى المسؤول، فالجواب المُفحِّم

١- السابق: ٢٤٤/٣.

٢- نثر الدر: ٢٢١/٣.

جاء في قالب من التلميح العميق، وأسهم في إقبال الحوار، وتلقين السائل درساً في الاستصغار.

ومن نماذج التلميح أن أحد الموالى شهد للمطلب بن عبد الله بن حنطب عند عمر بن عبد العزيز فسأل عنه موله ، فقال: "هو عدلٌ مع عدلين"^١. فالتلميح -هنا- يرفع الحرج عن المسؤول في التصريح بعدم الثقة والعدل، وفيه أدبٌ جمٌّ من المسؤول، فهو عدلٌ وهذه الجملة إيجابية للوهلة الأولى، لكن الاستدراك "مع عدلين" أسهم في تغيير مسار النصّ تماماً إلى السلبية، واستطاع من خلال التلميح رفع الحرج عن نفسه، والعدل في جوابه.

وتبقى قضية مهمة لا بد من التلويح بها قبل إنجاز هذه المقالة، وهي قضية **تداخل الهزل والجِدِّ في المدونة** التي بين يدي، وفي نظائرها من مثل مجالس النحاة، والفقهاء، والخلفاء، وغيرهم مما تكتظ به مدونات الأدب، وسأبدأ من دائرة كبرى تقوم على حاجة النفس البشرية إلى الاعتدال، والمزاوجة بين الجِدِّ والهزل، والعمل والراحة، والكِدِّ والاستجمام. وهذا الأصل موجود في الشرع، وتمثله المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حين مازح أصحابه، واستمع إلى بعض أحاديثهم الجاهلية في المسجد، وضحك في مواقف عديدة حتى بدت نواجذه. يقول أبو الدرداء -رضي الله عنه- "إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل، ليكون أعون لها على الحق"^٢.

ثم إنَّ فلسفة امتزاج الجِدِّ بالهزل أساسٌ في مدونات الأدب، فهي قائمة على التقاط الانزياحات الجمالية والطرائف الجاذبة، ولعلَّ خير ما يمثِّل هذه الفلسفة إمام الأدباء

١- ربيع الأبرار: ٤/ ٣٢٧.

٢- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق علي شيري، دار الفكر-بيروت، ط: ١، ١٩٤١هـ / ١٩٩٨م: ٤٦ / ٥٠١.

الجاحظ ت ٢٥٥هـ فيما تركه من مؤلفات، تقول بسمة عروس: "لعلَّ أهم ما يَسمُ الفكر الجاحظي إلى جانب بلُورَة نظرية حول البيان وما يرتبط به: التعبير عن تصور طريف حول الجد والهزل يتمثّل خاصةً في دفاع عن مذاهب الهزل، ودعوة إلى ضرورة المزج بين الهزل والجد".

لذلك نجدُ الجاحظ يُفصِّحُ عن منهجه في المزج بين الجد والهزل في مقدمة كتابه (الحيوان) فيقول: "وهذا كتاب موعظة وتعريف وتفقه وتنبيه. وأراك قد عبته قبل أن تقف على حدوده، وتتفكر في فصوله، وتعتبر آخره بأوله، ومصادره بموارده، وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من مزح لا تعرف معناه، ومن بطالة لم تطلع على غورها، ولم تدر لم اجتلبت، ولا لأيّ علّة تكلفت، وأيّ شيء أريغ بها، ولأيّ جدّ احتمل ذلك الهزل، ولأيّ رياضة تجسّمت تلك البطالة؛ ولم تدر أنّ المزاح جدّ إذا اجتلب ليكون علّة للجد، وأنّ البطالة وقارٌّ ورزنة، إذا تكلفت لتلك العافية".

فهو يدافع عن هذا المنهج؛ لأنّ في الهزل ملاذاً إلى الجد، ودافعاً إليه، ومروجاً له، وهذه الفلسفة امتدت إلى عددٍ من مدونات الأدب التي اعتمدت على تجاوز هذه الثنائية (الجد / الهزل) غير أنّ منظومة الثقافة العربية مهما اتّسعت لبلاغة الهزل، رغبةً في الترويح، وكسر الرتابة، فقد ظلّت على حذرٍ من فعل الضحك، وتأهبت للالتفاف عليه، وتجريمه، وربما تحريمه، وهذا الأمر ليس من خصائص الثقافة العربية، فحسب بل هو

١- التفاعل في الأجناس الأدبية: مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى

السادس هجرياً، بسمة عروس، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-منوبة، ٢٠٠٨م: ٤٠٧.

٢- الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، ط: ١، ١٩٨٨م: ٣٧/١.

مكوناً لأنساق تقليدية حُجبت من خلالها التعامل مع النوادر المضحكة، وأُخترت
مأسسة جنسٍ أدبي كالنادرة^١

إنَّ وفرة المرويات الهزلية في المدونات الأدبية، وخصوصاً في كتابٍ مثل كتاب
(البخلاء) للجاحظ ت ٢٥٥هـ جعلَ النقاد يلتفتون إلى مقام التندر، ومجال الهزل، ويرونه
من المعايير المهمة في صياغة إطار للجنس الأدبي، فالنادرة الأدبية - مثلاً - جنسٌ أدبيٌّ
جَاهَدَ بعض النقاد في استقلاله عن غيره، ورأوا أنَّ الهزلية أحد مكوناته الأساس " فهي
تعتبر الثابت النوعي لجنس النادرة، لأنها لا تستغني عن الفكاهة، وتفجير الضحك"^٢.

فالإطار الموضوعي من حيث انجذابه إلى الجد أو الهزل يمثل أداة من أدوات تصنيف
الأجناس الأدبية، وتحديد نوعها، وفي هذا السياق تقول بسمة عروس: "وتمتدُّ جذور هذه
المسألة في نظر بعضهم إلى بسْطِ أصولٍ نظريةٍ تشكِّل خلفيةً لتصنيف أجناسي،
وتقسيم الأنواع انطلاقاً من مبدأ التفاعل بين قطبي الجد والهزل، حيث ينتظم الجد
مختلف مكونات الثقافة العالمية وعناصرها مما يدخل ضمن آداب الدين وتوابعه وما
يسمى علماً نافعاً، وينتظم الهزل شتى الأنواع مما يردُّ إلى اللهو والفكاهة والنادرة
ومذاهب السخرية"^٣.

وفي مسلك الهزل طريقةٌ لتعرية الواقع، والكشف عن المجتمع، والوقوف على
دقائق الحياة المجتمعية، وطرائق التفكير عند طبقات مختلفة من المجتمع، وفتح نافذة

١- انظر: الأدب العربي ونظرية الأجناس: القصص، فرح بن رمضان، دار محمد الحامي- صفاقس، ٢٠٠١
م: ١١٣.

٢- بلاغة النادرة في الأدب العربي: ١١١.

٣- التفاعل في الأجناس الأدبية: مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى
السادس هجرياً: ٤٠٩.

على التجاذبات الحياتية، وتقريبها إلى المتلقي، ويؤكد هذا ما قدّم به إبراهيم النجار كتابه (شعراء عباسيون منسيون) حين جعل من مقاصد تأليفه: الكشف عن مسلك من مسالك الشعر خرج فيه أصحابه عن المسلك الرصين، وانحازوا إلى مسلك الهزل، والإحماض، والممازحة، ورأى أن ذلك قد يكون أحسن طريقة لتعرية الواقع، والكشف عما استتر من متناقضاته، وقبائحه^١.

إنَّ مَدُونَاتِ الأدب قائمة على حسن الاختيارات، وجودة التصنيف، وتنوع المرويات، ومراوحة الجدِّ مع الهزل، وهي قاعدة تنسجم مع غاية من غايات الأدب في التسلية والإمتاع، ولا يكون ذلك إلا بالبحث عن النواذر المخالفة، التي تباغت المتلقي، وتخالف توقعاته، فالقاضي، ومجلسه يتدثّران بسمة متواترة هي الهيبة والوقار وقضاء حاجات الناس، وإقامة العدل، وكتب الأدب التقطت مرويات توصف حِدّة ذكاء القاضي، وقدراته المتناهية في الوصول إلى الحقيقة، أو أخذت اتجاهاً آخر في رواية حمق القضاة على غير العادة، أو كسر هيبة مجلسه، ويتأتى هذا من ضعف القاضي، وعدم التوفيق في اختياره، أو من بساطة الخصوم، وعفويتهم، وهذه الانزياحات تلتفتها كتب الأدب في سيرورتها الانتقائية للجمالي، أو النادر.

ولعلّي أسجل بعض النتائج المهمة في نهاية هذه المقالة، ومن أبرزها:

- أنَّ المجالس الجادة في العادة، كمجالس القضاة، والفقهاء، والنحاة لا تخلو من انزياح من مقام الجد إلى مقام التندر، والضحك، وهنا تحضر الرواية، وتتوارد الأدبيات، وهذا المقام يحتم فحص المرويات في تلك المجالس، وتقصي ملامح التمايز لكل مجلس، فمجالس القضاة تختصُّ بسمّة تتمايز عن مجالس النحاة، وهذه المقامات التخصصية

١- انظر: شعراء عباسيون منسيون، إبراهيم النجار، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م: ٢٢/١.

تتفاوت في موضوعاتها، ولغتها، وأدواتها، وهذا يؤكد تأثير التخصص والمهنة في تشكّل الخطاب الأدبي.

• التأكيد على أنّ أدبيات المجالس القضائية تمثّل بيئة خصبة للدراسة الحجاجية، وهذه النتيجة أشار إليها الدكتور عز الدين الناجح أيضاً في دراسته الحجاجية المعنونة بـ (الحجاج في الخطاب القانوني)^١ وفي هذا الكتاب تناول الخطاب القضائي، وألحّ على أنّ الخطاب القضائي والقانوني منبع مهمّ لاستنبات دراسات حجاجية عديدة.

• أنّ النصّ المهيمن على المجالس القضائية هو النصّ الشفاهي، وهو نصّ ناصعٌ للتعبير عن المجتمع، وطبقاته، وحواراته العفوية، ومنزلة القضاة، وصورتهم الذهنية، ولذلك فإنّ دراسة اللغة التواصلية، وتطبيق المنهج التداولي سيكون ناجعاً، ومهماً للكشف عن نتائج طريفة، وجديدة في المجالس التخصّصية.

• تشكّل النادرة الأدبية حيزاً لا بأس به من نصوص المجالس القضائية، ويبقى تردّد بعض الدارسين في استقلالها الأجناسي منوطاً من مناسبات الدراسة والتحقيق، فهي -من وجهة نظري- جديرة بالاستقلال، وبخاصّة إذا استصحبنا استبعاد الحدود الصارمة بين الأجناس، والاقتراض المشروع بينها، ويبقى الإطار المحدّد لتمييزها عن غيرها محتاجاً لمزيدٍ من العناية والاهتمام، وربما ينطبق هذا الكلام على (الجواب المفحم).

١- الحجاج في الخطاب القانوني: مشروع قراءة، عز الدين الناجح، نشر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في تونس، ٢٠١٢م.

إنني بهذه المقالة أبتغي فتح شهية الدارسين والنقاد إلى مزيدٍ من البحث والتنقيب في كنوز تراثنا العربي، وفتح آفاقٍ بحثيةٍ جديدةٍ لمرويات الأدب في مجالس القضاة، والنحاة، والمعلمين من أرباب المهن، ودراساتها دراسة تداولية تقوم على مفهوم الكفاءة التواصلية، والسلوك، والأفعال الكلامية، ومعرفة مدى تأثير اللغة في السلوك الإنساني، ومحاولة البحث في غايات امتزاج الجد بالهزل في أدبنا العربي، وربطه بالسلوك الإنساني العام، والاعتدال الكوني، ومدى نجاعته في ضبط الجدِّ، والنأي عن الكلل. أسأل الله التوفيق والنجاح، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

أبرز المصادر والمراجع:

- أخبار القضاة، محمد بن خلف بن حيان وكيع، منشورات عالم الكتب - بيروت، د.ت .
- الأدب العربي الهازل ونوادر الثقلاء: العاهات والمساوئ الإنسانية ومكانتها في الأدب الراقي، يوسف سدان، منشورات الجمل، ط: ١، ٢٠٠٧م .
- أدبية النادرة: دراسة في بخلاء الجاحظ، حافظ الرقيق، دار صامد للنشر والتوزيع - صفاقس، ط: ١، ٢٠٠٤م .
- الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر - دمشق، ط: ١، ١٩٨٨هـ / ١٤٠٨م .
- الأمثال، للقاسم بن سلام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث - دمشق، ط: ١، ١٩٨٠هـ / ١٤٠٠م .
- البخلاء، للجاحظ، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، ١٩٦٣م .
- بلاغة النادرة في الأدب العربي، د. سليمان الطالي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع - عمان، ط: ١، ٢٠١٥هـ / ١٤٣٦م .
- بلاغة النادرة، د. محمد مشبال، أفريقيا الشرق - الدار البيضاء، ٢٠٠٧م .
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مراجعة: طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط: ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناس) د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط: ٢، ١٩٨٦م .
- التفاعل في الأجناس الأدبية: مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس هجرياً، بسمة عروس، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات - منوبة، ٢٠٠٨م .
- التناس التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١١م .
- الحجاج عند أرسطو مضمن في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، هشام الريفي، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس .

- الحجاج في الخطاب القانوني: مشروع قراءة، عز الدين الناجح، نشر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في تونس، ٢٠١٢م.
- الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث-إربد، ط: ٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، ط: ١، ١٩٨٨م.
- الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، د.محمد القاضي، منشورات كلية الآداب - منوبة، ط: ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقارنة تداولية، د.عبد الهادي الشهري، الانتشار العربي-بيروت، ط: ١، ٢٠١٣م.
- الذخيرة، للقرافي، دار الغرب الإسلامي-بيروت ١٩٩٤م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي، محمد عبد الكريم البكر، الزهراء للإعلام العربي، ط: ١، ١٩٨٨م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- شعراء عباسيون منسيون، إبراهيم النجار، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.
- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر-الدار البيضاء، ط: ١، ١٩٩١م.
- في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠١١م.
- مارواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين ذم القضاء وتقلد الأحكام، وذم المكس، تحقيق: مجد السيد، دار الصحابة للتراث-طنطا، ط: ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل-بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، دار الآثار-بيروت، د.ت.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- معجم السرديات، مجموعة باحثين بإشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر-تونس، ط: ١، ٢٠١٠م.

- موسوعة السرد العربي، د.عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط:١، ٢٠٠٥م.
- نثر الدر، للآبي، تعليق: مظهر الحجى، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٧م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، تحقيق: يحيى الشامي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

* * *

- 
- Wakee`, M. (n.d.). *Akhbaar al-quDHaat*. Beirut: Daar Aalam Al-Kutub.

* * *

- Ibraheem, A. (2005). *Mawsoo`at al-sard al-arabi*. Beirut: Al-Mu'assasat Al-Arabiyyah.
- Kristeva, J. (1991). *Elm al-naSS.F*. Al-Zaahi (Trans.). Casablanca: Daar Tobqaal.
- *Ma rawaah al-asaaTeen fi adam al-majee' ela al-salaaTeen*. (1991). M. Al-Sayyid (Ed). Tanta: Daar Al-SaHaabah li Al-Turaath.
- Mishbaal, M. (2007) *Balaaghat al-naadirah*. Casablanca: East Africa.
- MuftaaH, M. (1986). *TaHleel al-khiTaab al-shi`ri*. Casablanca: Al-Markaz Al-Thaqaafi Al-Arabi.
- QaTaamish, A. (1988) *Al-Amthaal al-arabiyyah*. Damascus: Daar Al-Fikr.
- Sadaan, Y. (2007). *Al-Adab al-arabi al-haazil wa nawaadir al- thuqalaa'*. Al-Jamal Publications.
- Salaam, Q. (1980). *Al-Amthaal*. A. QaTaamish(Ed.). Damascus: Daar Al-Ma'moon li Al-Turaath.
- Sawlah, A. (2011). *Fi nazhariyyat al-Hijaaj: diraasaat wa taTbeeqaat*. Daar Miskilyaani.
- *TabSirat al-Hkaam fi uSool al-aqDHiyah wa manaahij al-aHkaam* (1986). T. Sa`ad (Ed). Cairo: Maktabat Al-Kulliyyaat Al-Azhariyyah.
- Waasil, E. (2011). *Al-TanaaS al-turaathi fi al-shi`r al-arabi al-mu`aaSir*. Daar Ghaidaa'.

- Al-Nuairi (2004). *Nihaayat al-arab fi funoon al-adab*. Y. Al-Shaami (Ed). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-QaaDHi, M. *Al-Khabar fi al-adab al-arabi*. Manouba: Publications of the Faculty of Arts.
- Al-Qiraafi (1994). *Al-Dhakheerah*. Beirut: Daar Al-Gharb Al-Islaami.
- Al-Reefi. H. (2012) *Al-Hijaaj `inda Aristotle*. H. Smood (Ed). Manouba: Publication of Faculty of Arts and Humanities.
- Al-Rqeeq, H. (2004). *Adabiyat al-naaderh: diraasah fi bukhlaa' al-jaaHizh*. Sfax: Daar Saamid.
- Al-Shihri, A. (2013). *Al-KhiTaab al-Hijaaji`inda ibn Taimiyyah*. Beirut: Daar Al-Intishaar Al-Arabi.
- Al-Taali, S. (2015). *Balaaghat al-naadirah fi al-adab al-arabi*. Amman: Daar Knooz Al-Ma`rifah.
- Al-Zamakhshari (1992). *Rabee` al-abrar wa nusoos al-akhbaar*. A. Muhannaa (Ed). Beirut: Mu'assasat Al-A`lami.
- Aroos, B. (2008). *Al-Tafaa`ul fi al-ajnaas al-adabiyyah*. Manouba: Publications of the College of Arts. .
- Group of Researchers under the supervision of Al- QaaDHi, M. (2010). *Mu`jam al-sardiyyaat*. Tunisia: Daar Muhammad Ali.

List of References:

- Al- Maidaani (1996). *Majma` al-amthaal*. M. Ibraheem (Ed). Beirut: Daar Al-Jeel.
- Al-Aabi. (1997). *Nathr al-durr*. Damascus: Publications of the Syrian Ministry of Culture.
- Al-ASfahaani, R. *MuHaadHaraat al-udabaa' wa muHaawaraat al-shau'araa' wa al-bulaghaa'*. Beirut: Daar Al-Aathaar.
- Al-Bakr, M. (1988). *Al-SulTah al-qaDHaa'iyyaa wa shakhSiyyat al-qaadHi fi al- nizhaam al- islaami*. Al-Zahraa' li Al-l' laam Al-Arabi.
- Al-Dhahabi (2001). *Siar a' laam al-nubalaa'*. Mu'assasat Al-Risalaah.
- Al-Duraidi, S. (2011) *Al-Hijaaj fi al-shi'r al-arabi (2nd ed.)*. Irbid: Alaam Al-kutub Al- Hadeeth.
- Al-Hamawi, Y. (1990). *Mu`jam al-buldaan*. F. Al-Najdi (Ed). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah..
- Al-JaaHizh (1963). *Al-Bukhalaa'*. Daar Al-Yaqazhah Al-Arabiyyah.
- Al-JaaHizh (1998). *Al-Haiwaan*. A. Haaron (Ed). Beirut: Daar Al-jeel.
- Al-NaajiH, I. (2012) *Al-Hijaaj fi al-khiTaab al-qaanooni*. Tunisia: College of Humanities and Social Science.
- Al-Njaar, I. (1997). *Shu'araa' abbaasiyoon mnsiyoon*. Beirut: Daar Al Gharb Al-Islami

Literary Depiction of Judicial Sessions

Interaction between Humour and Seriousness

Dr. AbdulKareem bin Abdullah Al-AbdulKareem

Department of Literature Arabic Language College

Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This research attempts to shed light on the literature of judicial sessions, and the tension between seriousness represented by the judge with his venerable character and humor represented by the various deviations in depicting some foolish judges, some kinds of strange judgments or practices which contradict the perception of the judiciary. The study sample may include some exemplars which illustrate the cleverness of judges, in addition to the know-how they use in order to reach the truth. In his introduction, the researcher objectively describes the most prominent issues and ideas that are considered recurrent phenomena in literature records. Among which are, escaping from justice, the image of the foolish judge, the judge's weakness towards women seduction, strange testimonies and other issues which are briefly mentioned. This aims to present a variety of texts to the reader and cover all relevant aspects. Then, the researcher carefully examines the most prominent distinctive features of these texts, in an attempt to highlight the peculiarity of this matter. This is because the narrated texts in judicial councils are a rich source for the application of the argumentative approach. Also, intertextuality using the Quran represents a tool for persuasion, submission or dismissal. In addition to the brief rich forms which converge to a large extent with proverbs. These forms also emphasize the importance of the rich term in the judicial council and its impact on the judge. Technically the researcher describes the anecdote as an independent literary genre and the extent to which the peculiarity of this genre is applicable on some texts. The study concludes by approaching in its style the phenomenon of combination and interaction between the serious and the humorous maqamat in literature. In this study, the researcher wishes to encourage both researchers and critics to conduct further research, excavating in the rich treasures of Arabic heritage. He also wants to open research horizons for juridical councils literature in particular, and other councils literature in general. Moreover, the study seeks to adopt an interactive approach which is based on the concept of communicative competence, behavior, verbal actions, bringing to awareness the impact of language on human behavior. Furthermore, the study aims at probing the objectives of combining tragedy (seriousness) with comedy (humor) in Arabic literature and relating them to general human behavior, in addition to universal moderation and its effectiveness in controlling seriousness and avoiding boredom.



لسانيات المتون وتطبيقاتها في تعليم اللغة الثانية

د . صالح بن فهد العصيمي
معهد تعليم اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



لسانيات المتون وتطبيقاتها في تعليم اللغة الثانية

د. صالح بن فهد العصيمي

معهد تعليم اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يتحدث هذا البحث عن استخدام المتون (المدونات) اللغوية (language corpora) في تعليم اللغة الثانية، ويناقش الميزات الخاصة بذلك في قاعة الدرس، ثم يعرض بعض الأمثلة التوضيحية حول كيفية استخدام المتون اللغوية في تعلم وتعليم العناصر والمهارات اللغوية، ويعطي إرشادات تطبيقية يفيد منها متعلم اللغة ومعلمها في الفصل الدراسي وخارجه. ويخلص من ذلك كله إلى أن تدريس اللغة الثانية (في هذه الحالة العربية) عند الاستعانة بالمتون اللغوية سيجني فوائد كثيرة -لغوية وتربوية- سواء لمعلم اللغة أو لمتعلمها أو للباحث فيها؛ ولذلك فالبحث يوصي بالإفادة من تطبيقات هذا العلم الثرية في مجال تعليم اللغة العربية سواء لأهلها أو بوصفها لغة ثانية، خصوصاً مع تقدم وسائل الاتصال والعلاقة الوثيقة بين اللغة والتقنية في العصر الحاضر.

الكلمات المفتاحية:

لسانيات المتون (المدونات)، تعليم اللغة الثانية، متون (مدونات) المتعلمين، تدريس المهارات اللغوية،

تدريس المفردات، تدريس الصرف، تدريس النحو.



مقدمة، ومشكلة الدراسة:

إن الدارس لتاريخ لسانيات المتون بحقوله وفروعه المتعددة يجد أن ظهوره في تلك الحقول والفروع يختلف في النشأة والظهور (لمناقشة مستفيضة حول نشأة لسانيات المتون راجع العصيمي ٢٠١٣). ففي الوقت الذي يعود فيه الاهتمام بلسانيات المتون بوجه عام في الدراسات اللغوية واللسانيات إلى ما قبل خمسينات القرن الميلادي الماضي (القرن العشرين) (ماكزويوآخرون ٢٠٠٦:٣، McEnery et al.) نجد أن الاهتمام بدراسة متن المتعلم والبحث فيه (وهو أحد فروع لسانيات المتون التي بدأت تزدهر بشكل كبير) قد تأخر إلى نهايات ثمانينات القرن الميلادي الماضي (قرانقر ٢٠١٢:٧ Granger). ويعود سبب الاهتمام بمتن المتعلم في الاكتساب اللغوي إلى أن اللغوي عادة هو مدرس لغة في نفس الوقت (قرانقر ٢٠١٢:٧ Granger). ويأتي متأخراً عن ذلك كله ما نحن بصدد الحديث عنه وهو ما يتعلق بتطبيق نتائج الدراسات المعتمدة على المتون في تدريس اللغة؛ إذ لم يبدأ الاهتمام به إلا في بداية التسعينات الميلادية من القرن العشرين (ماكزويوآخرون ٢٠٠٦:٩٧، McEnery et al.). ويعود سبب تأخر تطبيقات لسانيات المتون في الفصل الدراسي خاصة وفي حقل تدريس اللغة عامة عن بداية لسانيات المتون وعدم تزامنها معاً إلى طبيعة العلوم حين ولادتها ثم تفرعها، وكذلك يعود إلى أمور سنذكرها فيما بعد تتعلق بطبيعة تطبيق المتون في الفصل المدرسي وما يحيط به من تخوف المعلم ومن حاجته إلى مهارات تقنية، على كلٍ فعلى الرغم من تأخر الاهتمام باستخدام المتون اللغوية في تعليم اللغة إلا أن هناك اهتماماً متزايداً في السنوات الأخيرة بلسانيات المتون متزامناً مع استخدامها في التدريس (ريبين Reppen ٢٠١٠:١).

ويتمثل الاهتمام المتزايد بلسانيات المتون في صدور المجلات العلمية المختصة والبحوث والكتب المخصصة والفصول من كتب اللسانيات (ماكربوآخرون ٢٠٠٦:٩٧ McEnryet al.)، إذ أخذت فروعها تتشكل بوصفها علوماً مستقلة لها باحثوها والمهتمون بها.

وقد أثرت لسانيات المتون في تدريس اللغة الثانية تأثيراً مهماً كما يذكر الباحثون؛ إذ نقلت كونراد (١٩٩٩ Conrad) عن كثير من الباحثين (منهم مثلاً جونز ١٩٩٤ Johns، وأستون ١٩٩٥ Aston) تأكيدهم على فائدة المفهرس (أو الكشاف السياقي كما يسميه بعض الباحثين. انظر مثلاً محمود إسماعيل صالح، ٢٠١٢) (Concordancer) للمفردات والقواعد؛ وذلك لعرضه استخدام اللغة الطبيعي، ولجعله الطلاب نشطين ومحللين مستقلين للغة، ولإعطائه دليلاً تجريبياً (أو شاهداً كما يسمى في تراثنا العربي) حول استخدام اللغة؛ بل يرى ماكربوآخرون (٢٠٠٦:١٠١ McEnryet al.) أن المتون اللغوية لن يقتصر تأثيرها على كونها ثورة في المواد التعليمية كالقواعد كما هي الحال في القرن الواحد والعشرين فحسب (انظر أيضاً كونراد ٢٠٠٠ Conrad في ماكربوآخرون، McEnryet al.)؛ بل ستغير طرق التدريس بما في ذلك ماذا ندرس وكيف ندرسه.

ويستطرد أوكيفيوآخرون (٢٠٠٧:٢١ O'Keeffe, et all.) في بيان الكيفية التي أثرت فيها المتون في تدريس اللغة وهي أن المتون زودتنا بدليل مادي إضافة إلى الحدس الذي لدينا حول اللغة، وفي الوقت نفسه نبهتنا إلى أن هذا الحدس قد يكون خاطئاً كما في الدلالة [والمعجم] والقواعد في بعض الأحيان؛ ولذلك قد يكون للمتون تأثير على دور المدرس وعلى التربية بشكل عام. كما ترى هنستون (٢٠٠٢:٢١٣ Hunston) أن المتون اللغوية أسهمت في اللغويات التطبيقية من ثلاثة طرق:

١- أتاحَت فرصاً بحثية لم تكن متاحة من قبل مثل الشيوخ الحقيقيين القائمة على الإحصاء، وإمكانية المقارنة بين متن وآخر ومتحدث وآخر اعتماداً على أدلة فعلية وشواهد حقيقية وليست مصنوعة.

٢- غيرت نظرنا إلى اللغة: كالنظرة إلى الكلمة على أنها الوحدة المعجمية الصغرى إلى اعتماد السياق الحقيقي والتصاحب الفعلي للمفردات عوامل مهمة في تحديد المعنى المعجمي للمفردات.

٣- غيرت نظرة المدرس إلى دوره من مخمّن للفروق بين المفردات إلى موجّه ومحلّل للمتن ولافتٍ نظر المتعلمين إلى الاستخدام الفعلي.

إذن فانتقال المتون اللغوية إلى الفصل الدراسي ليس من قبيل الترف الأكاديمي بقدر ما يعبر عن حاجة عملية ودور مهم تقوم به لسانيات المتون والمتون اللغوية؛ فما ذكره الباحثون أعلاه تسنده الدراسات الميدانية التي أشارت إلى حاجة ملحّة تسدّها المتون اللغوية، ونشير هنا إلى مثالين يعبران عن تلك الحاجة. المثال الأول ما وجدته مينت Mindt (١٩٩٦:٢٣٢) مقتبس من مأكزري وآخرون (٢٠٠٦:٩٨, McEnergy, et al.) من أن بنية قواعد الإنجليزية التي تُدرس في الكتب المدرسية تختلف عن البنى نفسها في استخدام المتحدثين بالإنجليزية؛ لأن هذه الكتب المدرسية تدرّس نوعاً من الإنجليزية المدرسية التي لا وجود لها إلا داخل الصف الدراسي، ولذلك يجد المتعلمون صعوبة في التواصل الناجح خارج قاعة الدرس. ولهذا فقد برز سؤال حول مدى فائدة كتب التقعيد التي تعتمد على حدس النحوي وسليقته وحدها، وظهر اتجاه يقدّم كتب القواعد مبنية على متون اللغة. ولعل معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها من اللغات ومتعلميها يجدون هذا الأمر في اللغة العربية واضحاً بشكل كبير وذلك لوجود فجوة بين ما يتعلمونه أو يعلمونه في الفصل وبين ما يحتاجه المتعلم خارج أسوار المنشأة أو المعهد أو المركز.

بالإضافة إلى شدة ارتباط مناهج تعليم اللغة العربية بالتراث المبني على أساس تحليل اللغة ووصفها وتلقيها وليس على أساس تعليم اللغة لغة ثانية معتمداً على أساس تربوية ونفسية ومدارس لغوية حديثة.

المثال الثاني هو الدراسة التي قام بها رومر (Romer ٢٠٠٩) حيث وزع استبانة على مدرسي الإنجليزية الألمان لمعرفة حاجاتهم في التدريس، وظهر أن أهم المحاور التي تدور عليها حاجاتهم:

الحاجة إلى مواد تدريسية أفضل، وإلى دعم في تصميم المواد، وإلى مشورة المتحدث الأصلي أو المخبر اللغوي وابن اللغة، وإلى مصادر مرجعية موثوقة (Romer ٢٠٠٩: ٨٩). وهذه الأمور الأربعة يمكن أن يليها المتن اللغوي، بل إنه يقوم بدور المخبر اللغوي باقتدار، ويعد مرجعاً موثقاً في اللغة الهدف خاصة حين يقوم بتدريسها من هم ليسوا من أبناء اللغة كما هي الحال مثلاً في البلاد الإسلامية التي يدرس العربية فيها من ليسوا من أبناء العربية الناطقين بها، فالحاجة هنا إلى متن لغوي لاستشارته والرجوع إليه أمسّ وأكثر. ولهذا يذهب رومر (Romer ٢٠٠٩: ٩٥) في دراسته إلى أبعد من ذلك؛ إذ يرى أن كثيراً من المشاكل والصعوبات التي يواجهها معلمو اللغة يمكن حلها أو حل جزء كبير منها في حالة تلقي هؤلاء المدرسين تدريباً ودعمًا من لسانبي المتون.

وعلى الرغم مما يمكن للسانبيات المتون والمتون اللغوية أن تقدمه لتعليم اللغة الثانية واكتسابها من إمكانيات فلا تزال غير واسعة الانتشار في اكتساب اللغة الثانية (كونراد وليفيل ٢٠١٠: ٥٤٥). وهذا ما يتعلق باللغة الإنجليزية التي هي لغة العلم، فما لنا باللغة العربية! ولهذا يحاول هذا البحث أن يطلع القارئ العربي على ما يمكن للمتون اللغوية أن تسهم به في قاعة تدريس اللغة العربية لغة ثانية. إذ لا يوجد على حد علم الباحث من كتب فيها بالعربية، فغالب المنشور باللغة الإنجليزية

وإن كانت التطبيقات التي يشير إليها الباحثون تصلح لأي لغة (كونراد وليفيل Conrad ٢٠١٠:٥٢٩ and Levelle). فتتبع مشكلة البحث إذن من أنه لا يوجد من كتب فيها بالعربية أو ذكر تطبيقات على اللغة العربية على حد علم الباحث. فكثير ممن التقاهم الباحث في الميدان ليس لهم معرفة بإمكانات لسانيات المتون في التدريس فضلا عن معرفة المدرسين لتطبيقاتها في فصولهم؛ لهذا سننتقل في الفقرة التالية لذكر بعض ميزات استخدام المتون في الفصل الدراسي لتعليم اللغة لعلها تكشف للقارئ مدى الفائدة المرجوة منها وتقنعه بأن هذا الميدان خصب إذا تم استغلاله بالشكل المطلوب.

ميزات المتون اللغوية:

هناك عدد من الميزات التي ذكر الباحثون أن لسانيات المتون تتمتع بها إذا ما استُخدمت في تعليم اللغة الثانية. ويمكن أن نقسم الميزات قسمين: ميزات لغوية، وأخرى تربوية. (قد يلاحظ القارئ بعض التداخل في بعض الميزات وذلك لمحاولة الإحاطة والتفصيل فيما طبيعته التداخل والتكامل):

أما الميزات اللغوية **فأولها** أن المتون اللغوية تمثل اللغة الطبيعية (هنستون ٢٠٠٢:١٠٦ Hunston) والأصلية التي صدرت من أهل اللغة، وليست مصنوعة أو صادرة عن تكلف (ريبن ٢٠١٠:٤ Reppen).

وقد ذكر ريتشاردز (Richards) في مقدمته لكتاب ريبن (Reppen ٢٠١٠:ix) أنه قد يكون من أكبر التحديات التي تواجه المدرس ومصمم المواد التعليمية في إعدادهما للمواد التعليمية تزويد الدارسين بدخل لغوي يعكس وبدقة الاستخدام اللغوي الطبيعي الفعلي. في الماضي كانت الفطرة اللغوية والتأمل مصدرين مهمين في ذلك مع أنهما قد يكونا مضللين وغير دقيقين. وقد ذكرت تسوي (Tsui ٢٠٠٤:٤٠) أن المتعلمين في بعض السياقات قد لا يكون لديهم فرصة التعرض الطبيعي للغة، ولا شك أنه في حال تعلم

العربية في غير بلدانها فإن عدم التعرض الطبيعي للغة سيشكل همّاً أكبر. ومن هنا جاءت لسانيات المتون لحل هذه الإشكالات؛ لما تتمتع به من كونها مادة أصلية وطبيعية من إنتاج أهل اللغة المكتوب والمنطوق.

إن مسألة استخدام مواد أصلية نوقشت كثيراً في مجال تعليم اللغة (انظر مثلاً بورنز وباربرا ٢٠٠٢: Burns and Barbara)، وهي بوجه عام أفضل من المادة المصنوعة المتكلفة، مع أن الطبيعية لا تقتضي بشكل آلي أنها جيدة أو تناسب المتعلم وحاجاته وأهدافه. وقد ذكر أوكيفيو وآخرون (٢٠٠٧:٢٦، O'Keeffe et al.) أن الجدل حول تأسيس منهج اللغة على لغة أصلية يعود إلى السنوات الثلاثين الماضية، وقد عاد الجدل مرة أخرى حين بدأ استخدام المتون، فلكي يتواصل المتعلم بشكل فعال لا بد من الاعتماد على اللغة الطبيعية لا المصنوعة لأغراض تدريسية. وقد ذكر الكثير من الباحثين (مثلاً ريتشاردز ٢٠٠١:٢١٤ Richards، وكارتر ٢٠٠١ Carter، ومكارثي ٢٠٠١ McCarthy، وفريمان ٢٠٠١ Larsen-Freeman كلهم في ريتشاردز ٢٠٠١:٢١٥ Richards) أن من مبادئ تعليم اللغة الثانية: أن التعلم سيُهيأ عن طريق التعرض للغة الطبيعية ومن خلال استخدام اللغة لأغراض تواصل حقيقة؛ إذ إن استخدام المتون للغة الطبيعية أساساً لفهم الاستخدام المعجمي والقواعدي وكذلك دور متون اللغة الطبيعية مهمان في فهم كيف تستخدم اللغة في سياقات طبيعية، ومثل هذه المتون يمكن استخدامها مصادر للتدريس وكذلك في إعداد المواد التعليمية.

ولهذا فقد استُخدمت المتون فعلاً لإنتاج مواد أصلية (بارلو ١٩٩٦:٣٠ Barlow). كما ذكر توملينسون (٢٠٠١:٦٩ Tomlinson) أن هناك تزايداً للكتب التي تفيد من استخدام بيانات المتون لتعكس الاستخدام الفعلي للغة أكثر من التي تعكس الدخل الأيديولوجي أو المعياري الذي يريده النحوي وربما لا يعكس الواقع الفعلي.

الميزة الثانية: أُنالمتون غنية، فهي تزود الدارس بمادة ثرية تفوق ما يحتاجه في اللغة، مما يقوي معرفته السابقة باللغة ويضيف إلى وعيه اللغوي ويحسن من مهاراته اللغوية (جونز ١٩٩١a Johns مقتبس من أستون ٢٠٠١:٧ Aston). وهي في غناها تقوم بدور مزدوج: ففي الوقت الذي تعد فيه المتون مصدرا ثريا للتنوع اللغوي من لغة أكاديمية إلى سياسية إلى دينية إلى إعلامية إلى منطوقة إلخ (هنستون ٢٠٠٢:١٠٢ Hunston) فهي في الوقت نفسه تحل إشكالا كبيرا لدى المدرسين، أي أن تنوع اللغة وعدم القدرة أحيانا على إعطاء النصح للمتعلمين حول اللغة الأكاديمية أو السياسية دون متن موجود، لكن مع المتن يمكن التفريق بين التنوعات اللغوية بسهولة مما يجنب المدرس حرج الإجابة التي ربما لا يمتلكها (للمناقشة مشابهة انظر كونراد ٢٠٠٤ Conrad). بمعنى أنها غنية وفي الوقت نفسه تميز بين المستويات اللغوية وتفرق بينها وهو الأمر الذي قد لا يمتلكه معلم اللغة.

وكما ذكرت سيدلهوفر (٢٠٠١:٦٤ Seidlhofer) أن التطور في تقنية المعلومات يتيح فرصا مهمة مع المتون المنطوقة المتزايدة في الحجم وفي العدد لبنى اللغة مما يمكن الباحثين من تصميم وصف دقيق للاستخدام اللغوي. وأكدت هنستون (Hunston ٢٠٠٢:١٢٣) أن من تطبيقات المتون في اللغويات التطبيقية معرفة المعلومات الثقافية للمثال وغيرها من المعاني الكامنة خلف العبارات، فاللغوي عليه أن ينظر إلى المعاني خلف العبارات ويفسر ويلاحظ ذلك كله. وهذا كله إغناء للغة وتحليلها جاءت به المتون اللغوية.

الميزة الثالثة: المحافظة على خصائص أهل اللغة. حيث يشمل المتن اللغة الصادرة على طبيعتها من أهل اللغة دون تعديل أو تغيير خاصة اللغة المنطوقة. ولوقورنت منطوقة ابن اللغة بمنطوقة المتعلم أو الأجنبي لظهرت فروق بينهما، إذ أشار بحث

برودرومو (٢٠٠٥ Prodromou) مقتبس من أوكيفيو وآخرون (O'Keeffe et al., ٢٠٠٧:٧٦) أنه يمكن التفريق بين الإنجليزي ابن اللغة والمتعلم المتقدم من غير أبنائها باستخدام الكتل أو العبارات (chunk) مثل (أنت تعرف you know). و(نوع من sort of) وغيرها من المتصاحبات التي يستخدمها ابن اللغة كثيرا بينما قد لا نجد لها أثرا لدى المتعلم. خاصة المتعلم الذي درس بالطريقة التقليدية التي لا تستخدم المتن اللغوي، لأن هذه الخصائص اللغوية لابن اللغة لا تشير إليها كتب تعليم اللغة ولا كتب القواعد في أغلب الأحيان. ففي اللغة العربية مثلا يستخدم المتكلم صيغة (أنت معي؟) أو عبارة (يعني) أو (طبعاً) ولا نجد لها أثراً في كتب التعليم، بخلاف ما لو وجد متن منطوق للعربية. وبسبب غياب هذه الظواهر عن تعليم اللغة نجد أن حديث الأجنبي يكون واضحاً فيه التصنع وعدم الطبيعية وأنه لم يتكلم غير ناطق باللغة أو أن حديثه يشبه قطعة نثرية مكتوبة وليس حديثاً مترجلاً متدفقاً بشكل شفهي وعفوي.

الميزة الرابعة أن المتن يحافظ على سياق الكلمة التي وردت فيه من خلال المفهرسات (concordancers)؛ إذ تعرض المفهرسات المفردة ومحيطها اللغوي الذي وردت فيه. ويرى سينكلير (Sinclair ١٩٩١) مقتبس من بينت (Bennett ٢٠١٠:٢) أن الكلمة مستقلة بنفسها لا تحمل معنى؛ لكن هذا المعنى يظهر غالباً من خلال مجموعة متوالية من الكلمات (سياق الكلمة). أي أن سياق الكلمة هو الذي يكشف معناها الحقيقي وظلال المعنى فيها. ولذلك فحين تحافظ المتون على سياق المفردات فيها يكون ذلك ميزة لها. وقد أكد سينكلير (Sinclair ١٩٩٦:٧٦-٧٧) على أهمية السياق وإسهامه في معنى المفردة وفي أنماطها النحوية، فالمتون أكبر أدوات الإسهام في هذه الميادين.

الميزة الخامسة أن الأنشطة التدريسية المعتمدة على المتن تسهم في تطور كفاية المتعلم وتزيد من معرفته باللغة الهدف وثقافة اللغة الهدف وأهلها (أستون ٢٠١٠:٥). فالمتعلم يتصل اتصالا مباشرا بإنتاج أهل اللغة دون غربة واضعي المناهج أو المدرسين مما يولد لديه حسا لغويا طبيعيا وينمي ذائقته اللغوية، واللغة بطبيعتها تنقل الثقافة فيكون المتن مصدرا مهما للخصائص الثقافية للهدف. مثلا في العربية انتشار كلمات (إن شاء الله، بإذن الله، بحول الله) التي تعتبر خاصة عربية إسلامية لا نجد لها مثيلا في اللغات الأخرى ونجد من الصعوبة وضع مقابل لها عند الترجمة، ووجود مثل هذه التعبيرات لدى متعلم العربية لغة ثانية قد يجعلنا نصف كفايته أعلى ممن لا يستخدمها أو لا يعرف استخداماتها والسياقات التي ترد فيها.

الميزة السادسة أنها تنمي لدى المتعلم من غير الناطقين باللغة الحس والذوق الفعلي للغة المستعملة لدى أهل اللغة وأبنائها الناطقين بها (بينت ٢٠١٠:٩٢ Bennett)؛ بل يرى بينت أن الذوق ينمو لدى المتعلم ليقارب ذوق ابن اللغة بشكل معقول (بينت ٢٠١٠:١١٥ Bennett). فاحتكاك المتعلم بلغة طبيعية يجعله يتعود على أساليبها واستخداماتها كما هي عند أهلها، ويلغي قضية الوساطة بين اللغة والمتعلم في الفصل الدراسي ومقرراته، وهذا كله ينمي لديه الحس اللغوي السليم والذائقة الطبيعية للغة.

الميزة السابعة أن المتون موثوقة أكثر من حدس المعلم (أستون ٢٠١٠:٤١ Aston) خصوصا المعلم الذي ليس من أبناء اللغة الهدف. فكون المتن هو الصادر من ابن اللغة في مواقف طبيعية يعطيه موثوقية ومصداقية أكثر مما يعطي المعلم الأجنبي عن اللغة أو الذي يحاول اصطناع مثال أو شاهد على قضية لغوية. هذه الميزة سيكون لها انعكاس على المتعلم ولغته.

الميزة الثامنة أن أنشطة الصف الدراسي المعتمدة على المتون والمستخدم لها تساعد المتعلمين في تطوير قدرتهم في استخدام اللغة تواصلًا من ناحية الاستيعاب والإنتاج (أستون ٢٠٠١:٥ Aston)، إذ سيحاول المتعلمون محاكاة اللغة الموجودة في المتن مما يساهم في ارتقاء كفايتهم التواصلية.

الميزة التاسعة أن أنشطة المتون تساعد على الدقة والطلاقة (برنارديني ٢٠٠١:٢٤٣ Bernardini) وتفيد في الدقة من خلال الوقت الكافي المتاح للمتعلّم ليستكشف البنى النحوية في أمثلة المفهرس فيكتسب الدقة في رحلته الاستكشافية، والطلاقة من خلال نقاش المتعلم مع أقرانه سواء خلال تأدية التدريب أو بعده.

إن ميزات المتون ليست مقتصرة على التميز اللغوي للمتن أو على الرقي بالجانب اللغوي لدى المتعلم؛ بل تتعداها إلى جوانب نفسية وجدانية تربوية قد تساهم في زيادة الاكتساب اللغوي لدى المتعلمين؛ بل إن لسانی المتون أكدوا على توافر أنشطة المتون مع كثير من المبادئ التربوية (كونراد ٢٠١٠:٥٤٨ Conrad). من هذه المبادئ:

الأولى: زيادة الاستقلالية لدى المتعلم؛ إذ يمكن – إذا تم تدريبه على استخدام المتون وأنشطته – أن تزيد الاستقلالية لديه ويتزود بأداة تعلم يمكن له أن يستثمرها مستقلاً عن المدرس (أستون ٢٠٠١:٥,٧ Aston؛ برنارديني ٢٠٠١:٢٢٣ Bernardini)؛ بل يمكنه أن يستخدم ذلك داخل الفصل وخارجه دون التحكم المباشر من المدرس (أستون ٢٠٠١:٤١ Aston). ويرى بينت (٢٠١٠:١١٥ Bennett) أن تدريب المتعلم على الاختيارات والاحتمالات في الاستخدام الفعلي والذي يوجد في المتون اللغوية ينمي لديه الاستقلالية. وترى كونراد (٢٠١٠:٥٤٨ Conrad) أن الاستقلالية تزيد باستخلاص المتعلم

القاعدة بنفسه دون الاعتماد على المعلم ليمليها عليه. والاستقلالية صفة لها دور كبير في تعلم اللغة (إليس ٢٠٠٨ Ellis).

ويعد استخدام المفهرسات ممكناً للدارسين أنفسهم ليقوموا باكتشافات مباشرة حول اللغة (جونز ١٩٩١ Johns ترييل وجونز ١٩٩٠ Tribble & Jones مقتبس من ماكزيو آخرون ١٩٨:٢٠٠٦) باستقلالية تامة.

الثانية: زيادة الدافعية لدى المتعلمين (برنارديني ٢٠٠١:٢٢٣ Bernardini) الناتجة عن الإضافة التي تمنحها المتون للمتعلم مما يقوي معرفته السابقة باللغة ويضيف إلى وعيه اللغوي. ويحسن من مهاراته اللغوية (جونز ١٩٩١a Johns مقتبس من أستون Aston ٢٠٠١:٧). وهذا كله يعطي المتعلم إحساساً بالإنجاز يرفع من دافعيته. والدافعية من العوامل التي تؤدي دوراً إيجابياً في تعلم اللغة (راجع مثلاً إليس ٢٠٠٨ Ellis).

الثالثة: ما ذكره ريتشاردز (Richards) في مقدمته لكتاب ريبن (Reppen ٢٠١٠:xi) من أن لسانيات المتون تمنح كلاً من المدرس والمتعلم ثقة في أن اللغة الموجودة في المتون هي التي سيصادفها المتعلم خارج قاعة الفصل الدراسي. فلو وجد المتعلم مثلاً في بيئة غير اللغة الهدف فسيواجه مشكلات كثيرة حين احتكاكه بأهل اللغة الهدف لأن لغته ستكون لغة مدرسية أو كما يسميها ريبن (Reppen) شبيهة الكتاب (booklike) (Reppen ٢٠١٠:xi). ففي حال كان مستحيلاً إيجاد بيئة توفر للمتعلم اكتساب اللغة اكتساباً طبيعياً عن طريق الانغماس والغمر اللغويين فالمتون تلعب دوراً مهماً في توفير بعض الفرص لذلك الجوفي مناخ الفصل الدراسي والبيئة المدرسية.

الرابعة: أن المتون تساعد على زيادة الثقة بالنفس (برنارديني ٢٠٠١:٢٢٣ Bernardini) من خلال استقلال المتعلم بنفسه وممارسته التحليل اللغوي مباشرة دون وسيط.

الخامسة: أن استخدام المتعلم للمتون يساعد على رفع قدرته على التخمين وعلى صقل المهارات الإدراكية الأخرى من المفهرس وأمثله (برنارديني ٢٠١٠:٤١ Bernardini). وكذلك يربي لدى المتعلم استخدام كلمات الاحتمال وعدم القطع في الكلام العلمي، وهو أسلوب علمي جيد (بينت ٢٠١٠:١١ Bennett). وكذلك يساعد على توليد الفرضيات واختبارها وتعميمها، وعلى تشجيع الملاحظة وزيادة الوعي عن طريق لفت الانتباه إلى بنية معينة، كما أن التعلم الاستنتاجي (inductive) وهو مقابل الطريقة الموجودة في كتب القواعد (الاستنباطية deductive) قد يلبي بعض أساليب المتعلمين والفروق الفردية بينهم (Conrad ٢٠١٠:٥٤٨).

إن عرضنا لهذه الميزات بشقيها اللغوي والتربوي لا يعني بأي حال أن المتون واستخدامها في الفصل الدراسي لا يوجد فيها معوقات أو أنها خالية من العيوب أو أنها تعطي فرصة حاملة للتعلم؛ بل فيها بعض الصعوبات والمعوقات؛ لكن يستحسن النظر إلى هذه المعوقات على أنها تحديات تعطي المتعلم والمعلم فرصة لابتكار الحلول والتغلب عليها، وهو موضوع الفقرات التالية.

إمكانات المتون وحدودها:

إن استخدام المتون سواء في التحليل والتوصيف اللغوي أو في قاعة الدرس محدود بما تستطيع المتون أن تقدمه في هذين المجالين (التحليل وقاعة الدرس). وتعد طريقة جمعها وتصنيفها العامل الحاسم فيما تستطيع المتون أن تقدمه للمستخدم، ففي حين يستطيع متن ما أن يزودنا بإجابات عن تساؤلات معينة، لا يمكن لمتن آخر أن يمدنا بإجابة مشابهة، أي أن المتون تتفاوت في قدرتها على تلبية الحاجات معتمدة في ذلك على الهدف الذي صُممت من أجله، ولكن بوجه عام فهناك أسئلة يمكن للمتون بتنوعاتها أن تمدنا بإجاباتها بكل اقتدار، مثلاً:

١- ما الكلمات أو العبارات الأكثر شيوعاً في العربية في ضوء المتن الذي بين أيدينا؟
هذا السؤال يمكن لمتن شامل أن يجيب عنه بطريقة علمية (إحصائية) موثوقة.

٢- ما الفرق بين اللغة المنطوقة والمكتوبة في العربية؟ يمكن لمتن جمع بين المنطوق والمكتوب أن يعطينا إجابة عنه من خلال الأمثلة التي يعرضها لنا.

٣- ما أكثر الأزمنة استخداماً بين أهل اللغة؟ يستطيع متن حُشِّي (annotated) ووسم (tagged) بتحليل حول الأزمنة أن يمدنا بالإجابة عن هذا السؤال.

٤- ما حروف الجر الخاصة بأفعال لازمة معينة؟ فبإمكان متن يشتمل على وصف للفعل اللازم ووصف لحروف الجر أن يجيب عن هذا السؤال.

٥- أي الكلمات تستخدم في مواقف رسمية فصحي وأياها يستخدم في مواقف أقل رسمية وأقل فصاحة؟ فيستطيع المحلل أن ينظر في متن صُنّف في تصميمه وفُرق فيه بين الفصح وغيره أن يعطينا إجابة عن هذا السؤال.

٦- ما التعبيرات المسكوكة؟ وما المتصاحبات في اللغة العربية؟ فالمتن الذي استخدم فيه برنامج يميز المتصاحبات والمسكوكات عن المفردات يمكن له أن يزودنا بإجابات عن هذه الأسئلة.

٧- كم من الكلمات يجب أن يتعلمها الدارس ليتمكن من القيام بمحادثة يومية؟
وكم من الكلمات عموماً يستخدمها ابن اللغة في المحادثة؟
(مكارثي ٢٠٠٤: ١-٢). فمتن قد صُمم لمتحدث ما أو لمحدثات يومية لمتحدثين باللغة العربية يمكنه أن يعطينا الإجابة عن هذا السؤال.

إذن فقد تجيب المتون عن أسئلة معينة، وقد يجيب بعضها عن أنواع أخرى من الأسئلة بناء على طريقة التصنيف والجمع والبرمجة. وفي مقابل ذلك فإن هناك أسئلة لا

يمكن لأي متن مهما كان هدفه وطريقة تصنيفه أن يمدنا بإجابة لها، هذه الأسئلة كما ذكرها بعض الباحثين:

١- المتون غير قادرة على إعطاء دليل بالعدم (أي الدليل السلبي)، بل يقتصر دورها على إخبارنا عن كون الشيء موجوداً أو غير موجود في المتن الذي بين أيدينا، فقد تكون الظاهرة غير موجودة في المتن لأنها غير شائعة في الأسلوب الممثل له في المتن الذي بين أيدينا بينما هي موجودة في الاستخدام (بينت ٢٠١٠: ٣-٢ Bennett)، فإذا لم نجد شاهداً على قضية ما فليس المعنى انعدامها، فلا يمتد الاستشهاد بالمتون إلى ما وراءها، أي إلى اللغة كاملة.

٢- المتن لا يستطيع إخبارنا بالصحة أو الإمكانية أو المقبولية، فالمتن ليس معيارياً بطبيعته، ولا ينتظر منه أن يصدر الأحكام الخاصة باللغة، المتن يعرض ما هو موجود فيه فقط.

٣- المتن غير قادر على تحليل الظاهرة اللغوية أو الإجابة عن سؤال (لماذا)، فهو يجب عن سؤال (ماذا) فحسب (بينت ٢٠١٠: ٣ Bennett)؛ أما التعليل فوظيفة اللغوي أو المدرس أو أهل اللغة مستخدمين في ذلك الفطرة أو السليقة أو التخمين أو المعرفة اللغوية لديهم. ويرى بينت (٢٠١٠: ٨ Bennett) أنه على رغم أن التخمين والسليقة لا تكون موثوقة دائماً حول استخدام اللغة فهي مفيدة في الإجابة عن لماذا، فيمكن لنا القول إن اجتماع المتون مع السليقة (ماذا ولماذا) على صيغة تكاملية هو الوضع النموذجي للتحليل اللغوي.

٤- المتن غير قادر على إعطاء جميع الأمثلة والإمكانات (بينت ٢٠١٠: ٢ Bennett ٣). فقد تكون هناك أمثلة غير موجودة في المتن الذي بين أيدينا، أي أن المتن مهما كان لا يمكن له أن يحيط بجميع اللغة، ولذلك من الخطأ تصور أنه يمكن أن نصف متناً شاملاً

لغة العربية بتوعاتها وأساليبها. كما أن من الخطأ أن نظن أن وجود متن كبير للغة العربية يغنينا عن أن نصف متونا أخرى؛ فالإنتاج اللغوي متجدد بتجدد الحياة، ومن الخطأ تصور الإحاطة للغة في أي جهد بشري.

إذن فالمتون مهما كانت قد لا تملك الإجابة عن أسئلة معينة، وقد يجيب بعضها عن أنواع معينة من الأسئلة في الوقت الذي لا يجيب بعضها الآخر عن الأسئلة نفسها. ولذلك لا بد من تصنيف متون متنوعة لتجيب عن أسئلة مختلفة، ومن الخطأ تصور أنه يمكن أن يُصنف متن محيط بالعربية ويكتفى به لإجراء البحوث المختلفة الأهداف عليه. وامتدادا لحديثنا هنا سنتعرض في الفقرة التالية لأنواع المتون ونتحدث عن الأنواع التي يمكن أن تُستثمر في الفصل الدراسي.

أنواع المتون:

للمتون أنواع متعددة تعكس أهدافها وطريقة تصنيفها. منها ما يصلح توظيفه في فصل تعليم اللغة مباشرة، ومنها ما لا يصلح لذلك؛ بل يقتصر دوره على البحث والتحليل اللغوي. وأنواع المتون الرئيسية ثمانية، منها أربعة تصلح للتوظيف مباشرة في فصل تعليم اللغة، وأربعة أخرى لا تصلح لذلك (بينت ٢٠١٠:١٣) (Bennett) إلا بعد تكييفها للمهمة التعليمية المقصودة. وستُسرّد أولاً الأنواع التي يصلح توظيفها في الفصل الدراسي:

١- المتن العام (Generalized Corpus)؛ وغالبا يكون ضخما من ملايين الكلمات

فأكثر مثل بي إن سي: المتن الوطني البريطاني (BNC: The British National Corpus) وإيه إن سي: المتن الوطني الأمريكي (ANC: The American National Corpus). وعادة يشمل المنطوق والمكتوب، فالمكتوب من الصحف والمجلات ومقالاتها والأدب والكتابة العلمية والمجلات العلمية الأكاديمية، والمنطوق من

المحادثات اليومية ومقابلات العمل والتعاملات الشفهية في الإدارات الحكومية والمواقع العامة. فإذا كان هدف المدرس هو البحث في اللغة بكاملها وبتنوعاتها فهذا النوع هو المناسب له، مع التأكيد على أن أي متن على الإطلاق مهما كان حجمه لا يمكن أن يضم اللغة بأكملها (بينت ٢٠١٠:١٣ Bennett).

وفيما يخص اللغة العربية هناك متون (مدونات) عديدة لكن الذي يستخدمه الباحث كثيرا (لتوفره على شبكة الإنترنت، ومجانيته) المتن العربي (Arabic corpus) الذي صنفه ديلوورث باركنسون (Dilworth Parkinson) ويحتوي على أكثر من مئة وثلاث وعشرين مليون كلمة (١٢٣٠٠٠٠٠٠) موزعة على الصحف والأدب والقرآن الكريم واللهجة المصرية. فهو إذن يشمل اللغة المنطوقة والمكتوبة، وموقع المتن على الشبكة: (<http://arabicorpus.byu.edu/>).

٢- **المتن المختص (Specialized Corpus):** وهو الذي يخدم نوعا محددا من لغة ما. مثل لغة الطفل أو اللغة الأكاديمية أو لغة التمرّيز أو اللغة المنطوقة أو اللغة المكتوبة ... ومن أمثله متن متشقان للإنجليزية الأكاديمية المنطوقة (The Michigan Corpus of Academic Spoken English: MICASE). ولا حدود لحجمه، فقد يكون كبيرا، وقد يكون صغيرا يعبر عن هدف معين ومحدود (بينت ٢٠١٠:١٣ Bennett).

وفي اللغة العربية هناك المدونة العربية أو المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وهي إحدى المشاريع الإستراتيجية لمبادرة الملك عبد الله للمحتوى العربي. ويهدف مشروع المدونة هذا في مرحلته الأولى إلى جمع سبعمئة مليون كلمة (٧٠٠٠٠٠٠٠٠) بدءا بالعصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ومن مختلف مناطق وبلدان العالم العربي. أما المرحلة التالية فهدفه الوصول إلى بليون كلمة (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠). ويشمل المخطوطات، والصحف، والكتب، والمجلات، والدوريات علمية.

والأدب، ولازال تحت التطوير والاختبار. ومما يجب التنبيه له أنها تشتمل على المكتوب فقط دون المنطوق، ولهذا وضعت هنا ولم توضع في القسم السابق. وموقع المدونة على الشبكة: (<http://www.kacstac.org.sa/Pages/Default.aspx>).

وقد ذكر أستون أنه من وجهة نظر تعليمية فالمتن المتخصص صغير الحجم له ميزة تفوق المتن العام كبير الحجم (أستون ١٩٩٧ Aston مقتبس من Aston ٢٠١٣:٣٧) وذلك لسهولة جمعه وتصنيفه، وسهولة تحليله واستكشاف مفهرسه، بالإضافة إلى وضوح هدفه.

٢- **متن المتعلم (Learner Corpus):** وهو نوع من أنواع المتون المختصة (أي النوع السابق) يضم إما مكتوبا أو منطوقا (أو كليهما) للغة المتعلم للغة ما (أي إنتاجه اللغوي في اللغة الهدف التي يتعلمها). وقد أفرد هنا بقسم خاص لأن هذا النوع من المتون بدأ يزدهر ويؤسس نفسه على فلسفة مختلفة وأهداف مختلفة؛ إذ الهدف منه دراسة أخطاء دارسي لغة ما، وتحليل اللغة المرحلية (intralanguage). ومن أمثله المتن الدولي لمتعلمي الإنجليزية (The International Corpus of Learner English: ICLE) الذي يضم كتابات لدارسي الإنجليزية من ١٤ لغة مختلفة، وكذلك المتن المعياري لاختبار الكلام (The Standard Speaking Test Corpus: SST) لمقابلات امتحان متعلمين يابانيين. ويكون هذا المتن مأخوذا من المتعلمين أنفسهم. ولهذا فهو كثير الأخطاء. وفي العربية هناك عدة مدونات منها مدونة عبدالله الفيقي وإريك أتويل (المدونة اللغوية لمتعلمي اللغة العربية - Arabic Learner Corpus) على الرابط: <http://arabiclearnercorpus.com> (Alfaifi, et al, ٢٠١٤).

٤- **متن تدريسي (Pedagogic Corpus):** وهو المتن الذي يشمل اللغة المستخدمة في الفصل الدراسي. وقد تكون مادته كتابة أكاديمية أو تفاعلا شفويا بين

أطراف الفصل الدراسي، فهذه اللغة هي التي يصادفها المتعلم في الغالب ويفيد منها في تعلمه. ولا يوجد في العربية متن من هذا النوع على حد علم الباحث (انظر: O'Keeffe, et al, ٢٠٠٧).

أما ما يصلح للتوظيف مباشرة في قاعة الدرس فهي الأنواع التالية: المتن التاريخي (Historical Corpus)، وهو الخاص بفترة تاريخية معينة، وقد لا يكون مفيدا لمتعلم اللغة الثانية لاقتصراره على فترة معينة ربما لا تفيد في تعلمه إذا كان هدفه التواصل. وكذلك المتن المتعدد أو الموازي (Parallel Corpus)، وقد يكون للغتين أو أكثر، وربما لا يصلح إلا لطلاب الترجمة أو دارسي التحليل التقابلي. وكذلك المتن المقارن (Comparable Corpus)، وهو الذي يقارن متنا بآخر، وقد يكون للغتين أو أكثر. والمتن المراقب (أو المعيار أو المتابع أو الراصد) (Monitor Corpus)، وهو الذي يكون معيارا لمتون أخرى.

فإن أراد المدرس استخدام متن في تدريسه فأول سؤال يجب طرحه: هل يوجد متن متوفر يناسب هدفي وغرضي من استخدامه؟ في اللغة العربية قد يكيف المدرسُمتنا موجودا ويطوعه لأهدافه ولا يكون قادرا على الإفادة من جميع المجالات التي يمكن الإفادة منها في التدريس؛ وذلك لندرة المتون عموما فضلا عن المتون التي تناسب أهدافا معينة. وهذا مما يدفعنا إلى حث المختصين بالعربية إلى العمل في هذا الميدان البكر والحيوي.

وفي حالات أخرى قد يكون هناك ضرورة للمدرس أن يصنّف متنا خاصا به في حال امتلك المهارات اللازمة وكانت اللغة نفسها مخدومة كالإنجليزية مثلا. ففي حال لم يكن هناك متن متوفر يناسب أغراض المدرس فالمدرس مضطر لتصنيف متن خاص

يلبي أهدافه، وعليه في هذه الحالة طرح السؤال التالي: ما الذي أريده من متني الذي سأجمعه؟ وكيف يمكن أن أصممه لخدمة أهدافي وأغراضي؟

بعد هذه اللوحة السريعة لأنواع المتون سنعرض في الفقرات التالية المجالات والعناصر والمظاهر اللغوية التي يمكن للمتون أن تؤديه وتفيد فيه، وسأعرض لبعض الأمثلة التوضيحية إن كان هذا متاحا بالعربية.

مظاهر (عناصر) لغوية تفيد من المتون:

قد يطرح القارئ أو المدرس سؤالاً مشروعاً: إذا كانت هذه ميزات المتون وإسهاماتها في الفصل الدراسي فكيف أفيد منها تطبيقياً؟ أي ما المظاهر التي يمكنني أن أفيد منها في تدريسي؟ وهذه الفقرات مخصصة للإجابة عن هذا السؤال وما يتفرع عنه، فستحدث عن المظاهر والعناصر والمهارات اللغوية التي يمكن أن يكون للمتون دور فيها مع بعض الإجراءات العملية في هذا الصدد. ونؤكد على أن الغرض ليس الإحاطة بقدر ما هو إلقاء الضوء على ما يمكن أن يطور فيه المدرس ويبدع ويطور حسب قدرته والإمكانات المتاحة.

تدريس الحروف:

في مرحلة تدريس الحروف العربية قد يحتاج المدرس إلى توضيح الحروف أو التمثيل لها في مفردات أو تراكيب لغوية، وهذه المفردات أو التراكيب التي يستخدمها المدرس قد يرى أن تكون من الكلمات الأكثر شيوعاً كي يفيد منها المتعلم، أو قد يرى ضرب أمثلة على جمل بسيطة طبيعية صادرة من أهل اللغة ومستخدميها. والشكل التالي من المدونة العربية للكلمات العشر الأولى الأكثر شيوعاً في تلك المدونة:

كلمة (Word)	تكرار (Frequency)	النسبة النسبية (Relative Frequency)
في	1887187	2.51344E-02
من	1526533	2.05798E-02
على	8226823	1.11357E-02
أن	522913	7.0714E-03
من	462500	6.16398E-03
له	3646105	4.93788E-03
من	3541180	4.78127E-03
بأن	3536429	4.76809E-03
التي	3327977	4.50366E-03
لا	3287961	4.4139E-03

شكل (١) الكلمات العشر الأولى الأكثر شيوعاً في المدونة العربية

فقد يرى المدرس أن إطلاع المتعلم المبتدئ على كلمات شائعة يهيئه لمرحلة تعلم المفردات التالية للمرحلة التي هو فيها. طبعاً هذا لا يقتصر على الكلمات الأكثر شيوعاً في متن عام؛ بل يمكن الإفادة منه في هذا المجال مع وجود متن جيد يزودنا بالكلمات الأكثر شيوعاً في الميدان الأكاديمي لمتعلم اللغة الأكاديمية مثلاً أو الميدان الطبي للطبيب، أي متعلم اللغة لأغراض خاصة.

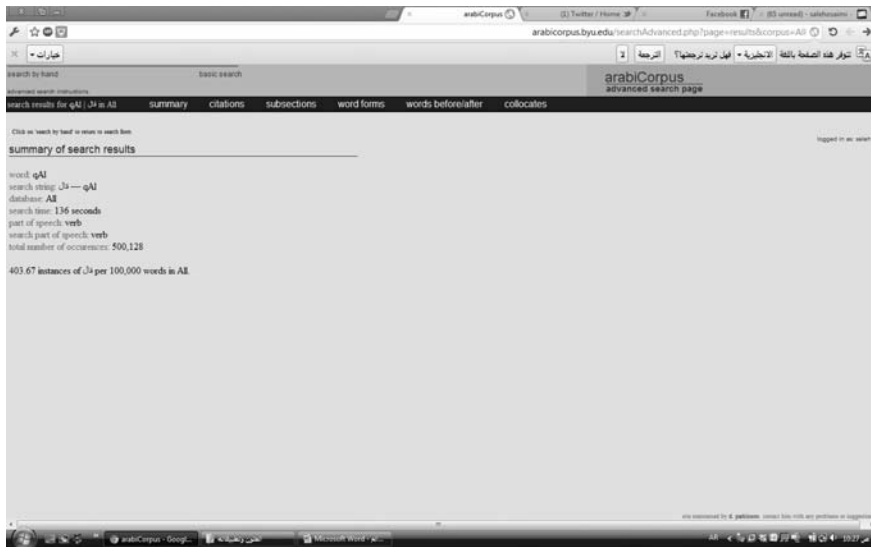
تدريس المفردات:

يتصل بالموضوع السابق موضوع المفردات التي تُقدّم للمتعلم، فواضع المنهج التعليمي يواجهه الإشكال الدائم المتمثل في: ما المفردات التي ينبغي أن أقدمها للمتعلم في المنهج؟ وتقدّم المتون مادة غنية للمفردات الشائعة سواء المفردات العامة أو المفردات المتخصصة، ودائماً ما يعتمد معدو البرامج للغة الإنجليزية على المتون في اختيار المفردات الشائعة سواء للغة العامة أو للأغراض المتخصصة (ليونز ٢٠٠١ Lyons).

وايفانز ٢٠٠١ Evans). ففي شكل ١ السابق لا يمكن لبرنامج لغة عربية أن يتجاهل الكلمات الواردة فيه لأن المتعلم سيقابلها في مراحل تعلمه المختلفة أو على الأقل يغلب أن يواجهها في مراحل التعلم الأولى. وقد ذكر كارتر (٢٠٠١: ٤٣) أن هناك صلة وثيقة قديمة بين معجمية تدريس اللغة الإنجليزية والمتون (المنطوقة والمكتوبة) خصوصا ما يتعلق بقوائم المفردات. كما أن استخدام المتون يتيح لنا التأكيد على الشيوخ ومدى شيوع الكلمة وفي أي نوع تشيع وكذلك أي معاني الكلمة أكثر شيوعا (هنستون ٢٠٠٢: ٩٥ Hunston)؛ فقد يكون لها معاني متعددة ولا يمكن معرفة الشيع إلا بالمتن مثل: غني عن القول مقارنة بغني مرادفة ثري. فتتص المعاجم العربية في أول شرح لكلمة غني على أنها ثري، وكذلك العكس؛ ولهذا قد يخلط المتعلم بين استخدام غني وثري إذا قال له المعجم إنهما مترادفان أو إذا شرح معنى أحدهما بالآخر. فقد ورد في المعجم العربي الأساسي: في معنى ثري الغني. وفي غني رقم ١ ثري ثم ورد بعد المعاني المفردة: "غني الحرب: حديث النعمة، من استغل وقت الحرب للثراء غني عن البيان أو القول: واضح ليس بحاجة إلى توضيح". ولوقمنا بخطوات البحث في كلمتي غني وثري (قد قام الباحث بذلك فعلا في المتن العربي ولكن من الصعب عرض الأشكال لحاجتها إلى حيز كبير) لوجدنا شيوع (غني عن البيان، وغني عن القول) وأنه لا يمكن استخدام (ثري عن القول، وثري عن البيان)، وكذلك نجد اختلاف الكلمات المصاحبة لكل منهما واختلاف الكلمات المحيطة بكل منهما قبل وبعد. ولهذا ينبه المتعلمون إلى أنهما يتشابهان في المعنى وليس في الاستخدام؛ فعلى رغم التشابه في المعنى فالاستخدام في كل منهما يختلف عن الآخر. وقد ذكرت كونراد (Conrad ٢٠١٠: ٥٤٨، ٥٤٩) أنه على رغم ثراء تدريس المفردات باستخدام المتون فالميدان بحاجة إلى معرفة تأثير أنشطة المتون على التعلم مثل اكتساب المفردات وغيرها.

تدريس الصرف:

هناك مجال واسع لتدريس الصرف باستخدام المتون اللغوية، سواء عن طريق الأمثلة أو عن طريق الصيغ الشائعة للكلمة. فلو بحثنا مثلاً في المتن العربي (Arabic Corpus) في بعض تصريفات كلمة قال (قال، يقول، مقال، قائل) لوجدنا شيوع كلمة قال ٥٠١٢٨ (أكثر من نصف مليون مرة) انظر الشكل رقم ٢ أدناه. ويستغرق البحث في كلمة قال وقتاً أطول من التصريفات الأخرى بسبب شيوعها.



شكل (٢) خلاصة البحث عن كلمة قال في المتن العربي (Arabic Corpus)

أما كلمة يقول فقد وردت أقل بكثير من التصريف الماضي، إذ بلغت ١٤٢٥٨٩ مرة في المتن السابق (نظراً للحيز الذي يأخذه إظهار الشكل فسأقتصر على إيراد المعلومات والإحصائيات، ويمكن مراسلة الباحث فيما يخص الأشكال). وبلغت كلمة مقال أقل بكثير: ٤٧٣٧١ مرة، وأقل من الجميع كلمة قائل: ١٨٥٥٥. فهذه المعلومات مفيدة

للمدرس ولواضع المنهج لكي يهتم بتصريفات الكلمة حسب شيوعها إن كان الشيوع معياراً لديهما يستخدمانه في التدريس أو في التأليف.

ولو انتقلنا مثلاً إلى شيوع كلمة يقول بين أصناف المتون المتعددة لوجدنا المعلومات التالية: وردت كلمة يقول في جميع الأصناف الموجودة في المتن ١٤٢٥٨٩ مرة، ووردت في الصحف ٥٤٥١٥، وفي الأدب الحديث ٩٦٦ مرة، وفي القصص ٤٨٠ مرة، وفي ما قبل العصر الحديث ٣٨٩٠ مرة، وفي اللهجة المصرية ١٧٢ مرة، وعند النحويين ١٣٥٠ مرة (ربما يعكس هذا كثرة الشروح لديهم وضرب الأمثلة)، وفي علوم القرون الوسطى ١٢٩، وفي القرآن الكريم ٧٨ مرة، وفي ألف ليلة وليلة ٤٨١ مرة، فهناك اختلاف وتنوع في شيوع التصريف الواحد للكلمة ما بين صنف من أصناف المتن إلى آخر قد يحتاجها المعلم أو المتعلم أو واضع المنهج أو الباحث اللغوي.

كما أن البحث في المتن يعطي ثراء من ناحية شيوع مفردات معينة مع بعض تصريفات الكلمة. مثل مفردات عينة تأتي مع قال أو أخرى مختلفة مع يقول. فيحتاج المعلم إلى أن يلفت نظر الدارس إلى اختلاف شيوع تصريفات الكلمات وكذلك اختلاف ما يصاحب التصريفات، بالإضافة إلى توفر مادة طبيعية لهذه التصريفات بدل خلق أمثلة مصنوعة في التدريس (للمزيد انظر أوكيفي ٢٠٠٧ O'keeffe). ومثل قال وتصريفاتها درس، يدرس، دارس، مدرس، مدروس، مدرسة، فيمكن أن ننظر في مختلف أنواع المتن مثلاً في الخيال والأدب وفي الصحف، أو في أكثر المعاني شيوعاً ما بين التصريفات المختلفة، أو في ما يصاحب كل تصريف من مفردات أو اتجاهات (سيأتي شرح ذلك تالياً).

تدريس العبارات (المتواليات أو المتصاحبات):

تسهم المتون بشكل كبير جداً في ما يسمى فريزيولوجي (Phraseology) (هنستون ٢٠٠٢: ١٠١ Hunston) أي دراسة العبارات، (وقد ترجم بعلبكي ١٩٩٠ هذه الكلمة

إلى أسلوب). فدراسة العبارات (Phraseology) تشمل المتصاحبات (Collocations) وتفضيلات التوالي بين المفردات في اللغة. فبعض المفردات تشيع معها مفردات وتصاحبها بشكل كبير. والمتصاحبات تعني أنه حين ترد أو تستخدم كلمة فهناك إمكانية عالية (إحصائيا) أن كلمة أو كلمات أخرى سترد معها (Bennett ٢٠١٠: ٨) مثل مفردة صفقة، فقد يكثر مصاحبة كلمات معها مثل الكلمات الخاصة بالمبالغ وكلمات أخرى مثل: قيمة / رابحة / خاسرة / كبيرة / عظيمة... وفيما يلي الشكل ٣ يوضح ذلك.

collocations	occurrences	collocations	occurrences	collocations	occurrences
صفقة	1904	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	1659	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	1518	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	1144	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	760	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	705	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	699	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	695	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	694	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	627	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	559	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	480	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	428	صفقة	6	صفقة	5
صفقة	418	صفقة	35	صفقة	5
صفقة	380	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	365	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	314	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	307	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	306	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	295	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	280	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	276	صفقة	39	صفقة	5
صفقة	264	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	256	صفقة	10	صفقة	5
صفقة	241	صفقة	10	صفقة	5

شكل (٣) مصاحبات كلمة صفقة في المتن العربي (Arabic Corpus)

وقد وضّحت هُنستون (Hunston ٢٠٠٢: ١٣٧) أن المفردات في التركيبات تخضع للقواعد النحوية فحسب؛ بل تخضع أيضا لمتواليّة مفضلة كالمصاحبات وظهور بعض الأفعال مبنية للمجهول فقط والتعدي بحروف معينة... مما يجعل المفردات تتركب بشكل غير عشوائي.

ویدخل في ذلك ما يمكن تسميته بالحزم المعجمية (Lexical Bundles) (Bennett٢٠١٠:٩) وهي توالٍ دائم لثلاث كلمات أو أكثر (انظر بايير وآخرون Biber et al., ١٩٩٩). فقد يشيع في المحادثة ورود المفردات (هل تريد أن... ولا أعرف ما...), ففي المحادثات المصرية وردت المصاحبات لكلمة تريد كما في الشكل ٤.

word before	occurrences	word after	occurrences
منا	3	أن	4
ما	2	ان	4
لا	2	يا	2
المراد	3	و	2
		من	2
		رجل	2

شكل (٤) مصاحبات كلمة تريد في المحادثات المصرية

في المتن العربي (Arabic Corpus)

ومثل: من المحتمل أن، من المتوقع أن، من الممكن أن، من الأفضل أن، من الجائز أن، من المفترض أن... (وكذلك في العربية استخدام المصدر المؤول أو الأداة المصدرية والفعل). والشكل رقم ٥ يوضح بعض المصاحبات لكلمة المحتمل:

collocate	occurrences	collocate	occurrences	collocate	occurrences
من	1484	الضمان	5	القاس	5
ان	962	عقوبات	5	الارسط	5
ان	678	لتحيز	5	والعصا	5
في	557	يحدث	5	جهم	5
ومن	495	القائمة	5	تر	5
على	280	ينما	5	ترامه	5
عبر	222	حي	5	بكال	5
يكون	171	الحمد	5	ثري	5
في	151	نسل	5	عزاسا	5
تكون	140	يحب	5	الحكم	5
ها	139	القائمة	5	تزيد	5
عن	134	أعزى	5	لتطوير	5
حد	103	التيك	5	الانزدي	5
انه	100	يحل	5	الأط	5
إلى	96	المسكينة	5	الشلل	5
في	93	الانسان	5	تفرز	5
انه	92	ينفي	5	الحول	5
التي	92	الحذ	5	بمرجة	5
كان	90	وكه	5	القص	5
لاني	87	سول	5	الانزاقلي	5
عن	87	وان	5	مطولة	5

شكل (٥) مصاحبات كلمة المحتمل في المتن العربي (Arabic Corpus)

والحزم المعجمية تختلف عن المسكوكات (idioms) في أن المسكوكات لا يمكن اشتقاق معناها من أجزائها المكونة لها بخلاف الحزم، كما أن الحزم غير مكتملة المعنى أحيانا؛ أما المسكوكات فكاملة (Bennett ٢٠١٠: ٩). وقد ذكر مخرجي (Mukherjee ٢٠٠٩: ٢١٢) أن الطريقة الواضحة لرفع كفاية المتعلم في المتصاحبات هي دمج المتصاحبات عالية التصاحب والشيوع في المواد التعليمية لتصبح جزءا من المقرر. كما اقترح أيضا (مخرجي ٢٠٠٩: ٢١٤) أن المتعلمين قد يفيدون من أنشطة المتون في المتصاحبات وفي تعليم اللغة المنطوقة وقواعدها، وهي متجاهلة في فصول تدريس اللغة الإنجليزية -وهي العربية أشد تجاهلا-.

إذن فالمتون تعد مادة غنية في بيان العبارات والمتواليات والمصاحبات وكذلك في ترتيب هل هي بعد أم قبل. هذه المجالات التي ذُكرت (الحروف والصرف والمفردات والعبارات) مما يسهل إلى حد ما التمثيل له بالعربية لعدم حاجته إلى متن محشّى

وموسوم بالخصائص اللغوية، سننتقل فيما يلي إلى ما ذكرته المراجع مما هو موجود في الإنجليزية لكن يصعب وجوده في العربية دون التحشية والوسم الجيد من المظاهر والعناصر اللغوية. ولهذا لن يتمكن الباحث من وضع أمثلة تطبيقية عليها أو أشكال توضيحية.

تدريس النحو والنحو المعجمي:

للمتون اللغوية تطبيقات مهمة لفهم القواعد وتدريبها (ماكنريويلسون؛ ١٩٩٦ McEnery and Wilson وباير وآخرون (Biber et al. ١٩٩٨). فالمفهرسات تبحث في قواعد بيانات هائلة سواء للمنطوق أو المكتوب لتحديد أنماط وتراكيب نحوية معينة (سينكلير ١٩٩٠ Sinclair). وقد نمثل على استخدام أصر+على+كذا، أو أصر+على+أن+يفعل، أو أصر+على+المصدر. سيكون البحث بناء على الصيغة وليس على المادة، أي سيدخل المستعلم الباحث الكلمات التالية: فعل ماضي+حرف جر+مصدر، وهكذا. فلو أراد المدرس مثلاً لفت نظر الطلاب إلى تركيب أن المصدرية والفعل وحرف الجر والمجيء بأمثلة حية لسهل عليه في حال وجود متن لغوي معرب بشكل جيد في العربية.

وفي اللغة الإنجليزية يُتوقع للبحث المؤسس على المتون أن يقود تطورات في مجال القواعد بسبب إتاحة بيانات أكبر منطوقة أو مكتوبة لبناء النظريات (فريمان ٢٠٠١:٤٠ Diane Larsen-Freeman). كما أن المتون قد تحمل إجابات لا يملكها المدرسون لأنها قد تجيب عن أسئلة المتعلمين غير الموجودة في كتب القواعد (إيجمر Aijmer ٢٠٠٩:٤). ويرى إيجمر (Aijmer ٢٠٠٩:٤) أن المتون والبحوث المؤسسة على المتون قد تؤثر على تصميم المقررات والكتب المدرسية والمعاجم وكتب القواعد، بل بدأت في التأثير فعلاً في تصميم مقررات تعليم اللغة الإنجليزية.

كما أن هناك محورا نحويا آخر وهو ما يسمى النحو المعجمي (Lexicogrammar) بمعنى وجود مفردات تأتي أكثر بصيغ معينة كالماضي أو الأمر أو المضارع، أو أن هناك قوالب وصيغا معينة تختص بمفردات معينة دون غيرها. ولو كان في العربية متن موسوم ومحشى بالمعلومات النحوية والصرفية لسهل ذلك. ففي اللغة الإنجليزية مثلا هناك أفعال معينة يكثر ورودها بأزمنة معينة (Bennett ٢٠١٠: ١٠). وقد يكون مثال قال يقول السابق مثلا مبسطا على ذلك؛ لكن المتن الجيد في مثالنا هذا يعطي الفروق بخاصية بحث واحدة وخيارات متعددة. وقد أكد كارتر (Carter ٢٠٠١: ٤٧) أن هناك تزايدا في المتون المنطوقة للإنجليزية مما يتيح الفرصة لمقارنة المنطوقة بالمكتوبة مما يفيد المتعلم في اكتسابه النحوي المعجمي. وقد ذكرت هنستون (Hunston ٢٠٠٢: ١٠٤) أن من ميزات المتون اللغوية التأكيد على الجمع والتفاعل بين المعلومات النحوية والمعجمية مثل شيوع بعض الأفعال بصيغ الماضي أو بعضها بالمضارع وكذلك اختصاص بعض الأفعال المتعدية بحروف جر معينة.

تدريس الأسلوب:

الأسلوب أو الاستخدام اللغوي (السجل-Register) معناه وجود أسلوب معين في التواصل في كل سياق بحسبه. فلنا أسلوب مع والدينا، ولنا أسلوب آخر مختلف إلى حد ما مع زملائنا، ولنا أسلوب مختلف مع طلابنا، فنستخدم لغة مختلفة مع المخاطب المختلف وفي أوقات مختلفة ولأسباب مختلفة (Bennett ٢٠١٠: ١١). أو كما يقال لكل مقام مقال. ففي المتون التي توسم وتحشى بمختلف السمات والخصائص اللازمة للتفريق بين الأنواع المختلفة والمتعددة للأساليب يكون هناك فرصة للبحث فيها بناء على كلمات استعمال محددة.

ففي الإنجليزية مثلا تُستخدم الضمائر أكثر من الأسماء في اللغة المنطوقة، بينما تُستخدم الأسماء أكثر بكثير من الضمائر في الأدب (خيال)، والأخبار، والكتابة الأكاديمية (باير وآخرون ١٩٩٩:٢٣٥، Biber et al.). وكذلك صيغة الماضي تُستخدم أكثر في الكتابة، بينما الحاضر يُستخدم أكثر في المنطوق أو المحادثة (باير وآخرون ١٩٩٩:٤٥٦، Biber et al.)، بل إن هناك من يرى (Reppen ٢٠١٠) وجود فروق بين شيوع الأسماء والأفعال في الأكاديمية المنطوقة أو المكتوبة. فقد يقوم المدرس باستعراض الكلمات الأكثر شيوعا في الصحف للطلاب الذين يريدون كتابة مقالة صحفية، وقد يستعرض معهم ما يشيع أكاديميا لمن سيواصل دراسته الأكاديمية، وقد يستعرض ما يشيع في حقل الدعوة مثلا لمن يريد أن يصبح داعية وهكذا. وقد ذكر إيفانز (٢٠٠١:١٣٤، ١٣٥، Tony Dudley-Evans) أن البحوث التي تستخدم المتون والمفهرسات مفيدة في تحليل الأسلوب ودراسات الفريزولوجي عن طريق فحص المتصاحبات للمظاهر النحوية عالية التصاحب، وأنها تستخدم للبحث في الفريزولوجي الخاص بأساليب معينة في مهن وميادين متخصصة.

بعد هذا الاستعراض السريع للعناصر والمظاهر اللغوية التي يمكن الإفادة من المتون فيها سننتقل في الفقرات القادمة لتوضيح كيف يمكن للمهارات اللغوية الأربع أن تفيد من المتون في التدريس.

تدريس الاستماع:

يمكن أيضا تدريس مهارة الاستماع باستخدام المتون اللغوية. فقد تحوي المتون المنطوق مسجلا تسجيلا صوتيا بالإضافة إلى التفريغ اليدوي (باير وزملاؤه Biber et al. ١٩٩٩؛ ١٩٩٨، ودويلي ٢٠١٢، Doyle). وقد يكون مفرغا تفريغا (منسوخا) كتابيا كما هي الحال في أغلب المتون الموجودة. وقد ذكر موخرجي (٢٠٠٩:٢٢٥، Mukherjee) أن المواد

التعليمية ستفيد من التوصيفات القائمة على المتون للغة المنطوقة كالتكرار والتوقفات المملوءة (filled pauses)، فهذه الظواهر لن تكون موجودة في اللغة المكتوبة. وبما أن المدرس يشكل المعيار والمصدر الوحيد للمتعلم في قاعة الدرس للمنطوقة فمن الضرورة بمكان أن يتم تدريب المتعلمين في دوراتهم ودراساتهم على الإفادة من المتون المنطوقة بشكل أكبر.

وفي حال التفريغ اليدوي فلا بد أن يكون التفريغ دقيقاً وممثلاً للمنطوق بشكل كبير، فتكتب الترددات وحتى الضحك والسعال في بعض المتون. وتتوقف الدقة في تفريغ السمات المنطوقة على الغرض من تصنيف المتن، فمثلاً قد يدرس شخص نبر الكلام وتنغمه، وفي هذه الحالة لا بد من تقييد هذه السمات، وقد يريد شخص ما دراسة مدد التوقف في الكلام، وفي هذه الحالة لا بد من تسجيل ذلك. وحين تكون المتون المنطوقة مفرغة وشاملة كلمات مثل (إم، أه، يعني، أقصد...) فهي فرصة للمتعلم أن يطلع على منطوق أبناء اللغة دون أن يمر هذا المنطوق بمرحلة فلترة وترشيح وتعديل وتعيير. وبهذا يكون المتعلم ملماً بالاستخدام اللغوي وكيف ينتجه في مرحلة لاحقة هي مرحلة الكلام التي سنناقشها في الفقرة القادمة.

تدريس الكلام:

الكلام هو الإنتاج المعتمد على مرحلة الاستماع السابقة، فالمتون المنطوقة سواء مفرغة أو مسجلة صوتياً تساعد في تدريسها للمتعلمين في كيفية استخدام كلمات قد يغفلها الفصل الدراسي والمعاجم والكتب المقررة مثل الكلمات (إم، أه، آها، يعني، أقصد...) (انظر زورزي ٢٠٠١ Zorzi).

وقد ذكر ليتش وآخرون (Leech et al., ١٩٩٥) وسيدلهوفر (Seidlhofer ٢٠٠١: ٦١) أن هناك بحثاً متقدماً ومهماً وحيوياً وهو التعاون بين التقنية الحاسوبية وصوتيات تدريس

التهجئة بمساعدة الحاسب وتصنيف المتون المنطوقة وتحليلها؛ لأنه يمكن حينئذ إعطاء توصيف تدريسي مبني على توصيف لغوي أفضل. وبهذا يستطيع المتعلم محاكاة ما هو موجود في المتون. فالإفادة من التقنية في مجال المتون تعد من أوسع المجالات التي تنموفي الوقت الراهن.

وقد أظهرت دراسة مخرجي (Mukherjee ٢٠٠٩) المقتبسة من إيجمير (Aijmer ٢٠٠٩:٨) أن المتعلمين أكثر تقييدا وأقل طلاقة في إنتاجهم المنطوق من المكتوب في بعض المظاهر اللغوية. كما ظهر أن تقنيات التكرار والتوقف لدى الناطق الأصلي تعينه على التفكير بخلاف المتعلم الذي لا يمارس هذه التقنيات لعدم اطلاعه على متن منطوق فيكون أقل طلاقة وتلقائية؛ ولذلك فتقنيات الإنتاج ضرورية. فتدريس اللغة حاليا يقوم على الدقة في اللغة المكتوبة وعدم مراعاة هذه الدقة حين تدريس المنطوقة؛ ولهذا نجد أن المتعلم الذي درس بهذه الطريقة قد يكون أفضل من الناحية الكتابية منه في نواحي الكلام. أو قد يكون إنتاجه المنطوق أقرب منه إلى المكتوب (وهذا ما يواجهه الباحث بوصفه مدرسا للغة العربية لغة ثانية). ووجدت كونراد (Conrad ٢٠٠٤:٥٤٥) أن محاضرة من كتاب تدريب في كتب مدرسية ضللت بعض الاستخدامات اللغوية حتى بدت المحاضرة كأنها قطعة نثرية أكثر من كونها كلامية؛ ولهذا فقد بدأت الدراسات تستدرک هذه الأمور وتعطيها اهتماما كبيرا. وقد أكد مخرجي (Mukherjee ٢٠٠٩:٢٠٣) أن المنطوقة تختلف عن المكتوبة بشكل كبير في المفردات والقواعد، وليس مرد ذلك إلى العيوب في المنطوقة بقدر ما هو اتباع نظام معين وخاص بكل من النظامين. كما أثبتت الدراسة التي قام بها (Mukherjee ٢٠٠٩:٢١٦،٢١٨) أن استخدام (تعرف you know) في المنطوقة لأبناء اللغة شائع؛ بينما يندر استخدامها لدى المتعلمين. كما أظهرت الدراسة أن بعض المتعلمين أقل طبيعية وطلاقة من بعض

وذلك لعدم محاكاته اللغة المنطوقة وخطابها؛ ولهذا فمن وجهة نظر تدريسية من الضروري رفع وعي المتعلم بالاستخدام الطبيعي لبعض مظاهر خطاب المنطوق في الحديث التلقائي وكذلك جعل هذه المظاهر آلية. مثال ذلك كلمتا (طبعاً) و (يعني) اللتان تردان كثيراً جداً في الكلام المنطوق لأهل العربية.

تدريس القراءة:

ذكر أستون (Aston ٢٠٠١:٢٨) أن المتون اللغوية مصدر مفيد في القراءة وفي تطوير المهارات القرائية لدى المتعلمين، كما ذكر أن الأدبيات حول دور المتون في تطوير مهارات القراءة تعاني في الوقت نفسه من ندرتها. فالمتون مادة من المكتوب كبيرة الحجم يستطيع الدارس أن يستخدمها ويتفاعل معها. وقد ذكر بروداين (Brodine ٢٠٠١:١٣٩) أن نظرية القراءة وتطبيقها في السنوات الأخيرة نُظر إليها على أنها تفاعلية بين الكاتب والقارئ عبر النص (الذي هو المتن). فالمتعلم يستكشف بنفسه، ويقوم بإستراتيجيات القراءة إما بنفسه أو بمساعدة المدرس مستخدماً في ذلك المفهرس ومستكشفا المصاحبات والمفردات التابعة أو اللاحقة مما يثري مخزونه اللغوي. ولو وجدت متون لغوية عربية محشاة وموسومة لأمكن تطبيق المدرس على أي ظاهرة لغوية يريد لفت نظر الدارس إليها عبر اختيار أنسب نص من بين النصوص الموجودة في المتون. كما أن المتون اللغوية تعد مادة أساسية لاستخراج نصوص القراءة سواء يستخرجها المدرس أو واطع المنهج التعليمي أو الممتحن.

تدريس الكتابة:

بما أن أغلب المتون مكتوبة فهي مصدر غني لتدريس الكتابة، فيمكن أن تدرس عن طريقها علامات الترقيم وقواعد الكتابة وغيرها مما يدرس في الكتابة، كما يمكن أن تدرس أساليب التعبير عن مفردة من المفردات أو قضية من القضايا، فالكتابة هي

الوجه الإنتاجي للقراءة، ويطلع المتعلم عن طريقها على كيفية استخدام الكثير من المفردات والمتصاحبات لكي يقلدها في إنتاجه الكتابي والإنشائي. فمثلا حين يستكشف المتن ويرى أن (يدعو) تنصب المفعول في مثل يدعو الله وفي مثل يدعو إلى وليمة وقد تأتي مع حرف جر ك يدعو له أو يدعو عليه... هذه التراكيب كلها ستكون حاضرة لديه حين الكتابة إن كان قد سبق له أن رآها في متن ما خصوصا المتن الذي يراعي المتصاحبات والتراكيب. كما يمكن عن طريق المتن أن يعرف المتعلم معاني أكثر مما يمكنه من استخدامها والتنويع فيها مع مراعاة السياق حين الكتابة (أستون ٢٠٠١:٣٥، ٣٦).

إذن، يتبين بعد هذه الإطلالة أنه يمكن الاستفادة من المتون في المهارات الأربع كلها؛ إذ المتون اللغوية مفيدة في التدريس لكل من المدرس والمتعلم في التحليل اللغوي مما يقوي معرفة المتعلم السابقة (النظرية) باللغة، ويضيف إلى وعيه اللغوية، ويحسن من مهاراته اللغوية (جونز ١٩٩١a Johns مقتبس من أستون ٢٠٠١:٧ Aston، وبينت ٢٠١٠:٩٣ Bennett) ولا يقتصر استخدام المتن على الباحث اللغوي ولا على المعلم أو المتعلم (بينت ٢٠١٠:٩٤ Bennett)؛ بل يتعداهم إلى مجموعة من المستخدمين الذين هم مدار الحديث في الفقرة التالية.

من يستخدم المتن في تدريس اللغة وكيفية ذلك:

تذكر المصادر أن استخدام المتون اللغوية في تدريس اللغة لا يقتصر على الدارس؛ إنما يتعداه إلى غيره ممن له علاقة بتدريس اللغة. وفي هذه الفقرة سنناقش من يمكنه أن يستخدم المتون وكيفية استخدامه لها.

المستخدم الأول معلم اللغة. فقد ذكرت الكثير من المراجع العلمية (انظر مثلا أستون ٢٠٠١:٧، ١٦ Aston، والمراجع التي سترد في هذه الفقرة) أنه مفيد للمدرس في

التحليل اللغوي. كما أن المتون تفيد المدرس في تدريسه لأنها تمدّه ببيانات وأمثلة، وتفسر له بعض الظواهر وتصفها، وتمنحه فرصة التحقق منها (جونسون ٢٠٠٩: ٣٦، ٣٧). كما أن المتون مادة ثرية لتزويد المدرس بأمثلة واقعية (ماكناي وويلسون ١٩٩٦: ١٢٠ McEnery & Wilson)، بل ذهب جافيولي وأستون وكذلك بارتنجتون (٢٠٠١: ٦٢-٤٦ Partington؛ ٢٠٠٦: ١٩٥ Gavioli and Aston) إلى أن المتن مصدر مهم للمدرس ليقرر بناء عليه ماذا يدرّس، فيُنظر إليه على أنه ضروري لاختيار المدرس لمادته التعليمية. وذكرت كونراد وكيمبرلي (Conrad and Kimberly ٢٠١٠: ٥٤٧) أن المعلم قد يفيد من لسانيات المتون عن طريق الكتب المدرسية المؤسسة على المتون وكذلك عن طريق استخدام البحث المؤسس على المتون لتقرير محتوى البرنامج وكذلك بوصفها علماً لغوياً (أي لسانيات) لتكون أدوات مساندة في التطبيقات المختلفة. فالمتون ولسانيات من الأركان الرئيسة للمعلم إذا أُريد للعملية التعليمية أن تكون محاكية للغة الواقعية التي تُستعمل خارج الصف الدراسي.

هذا الاستخدام للمتون ولسانياتها والإفادة منها يتطلب تغييراً في مفهوم دور المعلم؛ إذ لن يكون هو الوحيد الذي يضرب الأمثلة للدارسين ويزودهم بها أو يحكم بصحتها ووجودها في اللغة من عدمه، بل سيعتمد في ذلك على المتن اللغوي. ويرى أستون (٢٠٠١: ٤١) أنه يمكن للمتون إزاحة سلطة المدرس بصفته متحكماً لغوياً. وذكر جونز (Johns ١٩٩١a) أن المدرس سيكون مهيناً وميسراً فقط. ومعلوم أن مدرس اللغة التقليدي أو الحالي لا يحسن التعامل مع المتن ولا أساليب الإفادة منه، ولذلك لا بد من تقديم المتون وتدريسها في برامج إعداد المعلمين، وهذا مدار الحديث في الفقرة التالية حول المستخدم الثاني للمتون.

المستخدم الثاني من يقوم بتدريب المعلمين (ماكزري وآخرون McEnergy, et al., ٢٠٠٦:١٠٠). ويرى إيجمير (٢٠٠٩:٩ Aijmer) وكذلك كونراد (١٩٩٩ Conrad) أنه يجب أن يكون لاستخدام المتون وكيفية الإفادة منها دور مهم في تدريب المعلمين. كما ذكر جراناذ (٢٠٠٩ Granath) أنه لو كان المتن مشمولاً في مواد أخرى كالسينتاكس (التركيب – syntax) أي بناء الجملة والترجمة لأصبح من الطبيعي البحث في المتن كما يبحث المتعلم في كتاب قواعد أو في قاموس، أي أنه يجب أن يُدرّس المتن كما تدرس مواد اللغويات الأخرى. كما اقترح أيضاً (٢٠٠٩:٤٧,٦٤ Granath) تدريس المتن في السنة الأولى لطلاب الجامعة في برنامج الإنجليزية لغة أجنبية، بل بالغ في ذلك وذكر أن المتن قد يكون أفضل أداة يمكن أن نزود بها معلمي اللغة المستقبلين، وهذا يعود إلى دوره المهم كما يراه جراناذ وغيره من المختصين (انظر مثلاً جونسون ٢٠٠٩:٣٩,٤٠ Johansson) في تعليم اللغة. ولذلك لا بد للقائمين على برامج تدريب معلمي اللغة وتأهيلهم أن يضيفوا مادة لسانيات المتون وتطبيقاتها في برامجهم لكي لا يحس المعلم بصعوبة وجفوة في تطبيقاتها وفي الإفادة منها. ويرى جراناذ (٢٠٠٩:٤٧ Granath) أنه على الرغم من فائدة المتون في تحسين وصف اللغة إلا أن استخدامها في فصول تعليم اللغة الإنجليزية لغة أجنبية لا يزال نادراً، ولعل ذلك يرجع إلى أن كيفية استخدام المتون ليست في الغالب ضمن برامج تدريب المعلمين. ولا حاجة للقول إنها في برامج تدريب معلمي العربية أندر. ويقترح رومر (٢٠٠٩:٩٥ Romer) أن يكون هناك يوم تدريبي مفتوح لهؤلاء المدرسين يتم فيه إعطاؤهم المهارات اللازمة لاستخدام المتون اللغوية في فصول التعليم.

المستخدم الثالث مصممو المناهج والمقررات والمواد التعليمية (ريبن Reppen ٢٠١٠:١٤). فقد ذكر الباحثون (انظر مثلاً بارلو ١٩٩٦:٣٠ Barlow، وبارتنجتون Partington

٦٢-٢٠٠١:٤٦) أنه حري بمن يعمل في إعداد المناهج وتصميم المواد التعليمية (أستون ٢٠٠١:١٦) وكذلك من يعمل في إعداد الكتب الدراسية والقواعد وإعداد أنشطة الفصل الدراسي (جونسون ٢٠٠٩:٣٩،٤٠) وكذلك من يعمل في تطوير وتنقيح وإعداد المواد التعليمية وكتب القواعد والمهمات والأنشطة الصفية (تشنج ٢٠٠٩:١٧٤، Cheng وهنستون ٢٠٠٢:٩٥ Hunston) ومن يصمم برنامجاً لغوياً أو دورة لغوية (فلوردو ١٩٩٣ Flowerdew). حري بهم أن يفيدوا من المادة الثرية التي تقدمها لهم المتون اللغوية للقيام بمهامهم على وجه يقرب من الاستخدام اللغوي الطبيعي للغة وكذلك على وجه يسهل لهم عملية التأليف والتطوير والتنقيح. فكل هذه الفرق العاملة في التأليف وعمليات إخراج المنهج والمقرر والأنشطة تواجه صعوبات كثيرة حين قيامها بمهامها، ولو اعتمدت استخدام المتون اللغوية لربما جعل ذلك بعض مهامها أسهل؛ لأن المتون تجعل المادة اللغوية في متناول اليد وتختصر كثيراً من الجهد والوقت في البحث عن النصوص اللغوية المناسبة، وهذا ما أظهرته نتائج دراسة ميونيرو وجوفيرنيور (٢٠٠٩:١٩٧ Meunier and Gouverneur) من أن الأمثلة الطبيعية وكيفية تحشية المتون قد تساعد مصممي المواد التعليمية في التغلب على التحديات التربوية الجديدة في التأليف والتصميم. بالإضافة إلى أنه قد انتشرت الكتب التي تشرح القواعد الإنجليزية بناء على متون لغوية وقد وجدت فروقاً بينها وبين الكتب التقليدية التي لا تعتمد في تأليفها على المتون اللغوية (بينت ٢٠١٠:١٢ Bennett). وقد ذكرت برين (Breen ٢٠٠١:١٥٦) أن المقررات المعجمية (lexical syllabus) حُفِزَتْ بقضية أن تعلم اللغة يمكن أن يُبنى حول مفردات لها صلة وعلاقة بالمتعلم (انظر أيضاً Carter and ١٩٩٠ D. Willis; McCarthy ١٩٨٨). واقترح هذا النوع من المقررات فعلً من إتاحة المتون المعجمية الضخمة في قواعد البيانات. ومن المتوقع أن تكون المتون المبنية على

الحاسوب والتي تعتمد اللغة الطبيعية عاملاً حاسماً في تنظيم محتوى المقرر اتفي المستقبل.

المستخدم الرابع مصممو الاختبارات اللغوية (ماكنري وآخرون McEnergy, et

٢٠٠٦:١٠٠, al., وربين ٢٠١٠:١٤ Reppen). فقد ذكر جونسون (٢٠٠٩:٣٩,٤٠ Johnsson) أن المتون اللغوية تعد مصدراً مهماً في تصميم الاختبارات اللغوية. كما نقلت كونراد (١٩٩٩ Conrad) أن كثيراً من المقالات أشارت إلى فائدة استخدام المتن للاختبارات اللغوية. كما يمكن أن تكون المتون أيضاً معياراً يقاس به أداء متعلمي اللغة في اختباراتهم وتقارن إجاباتهم بما هو موجود في متن ابن اللغة، وهذه منطقة ثرية للبحث واكتشاف خصائص أداء المتعلم بابت اللغة. كما ذكر جاميسون (٢٠٠٥ Jamieson) أن التطورات الحديثة في الاختبارات المبنية على الحاسوب تشمل إسهام لسانيات المتون في التزويد باختبارات أقرب إلى الطبيعية، وتصميم مهمات أكثر تعقيداً في الاختبارات المؤداة بالحاسوب، والتزويد ببرامج للمنطوق والمكتوب لتصحيح الإنتاج الشفهي والكتابي (في الاختبار ووضع الدرجات). كما أثرت في طرح أسئلة مثل: هل تؤثر الأداة الاختبارية المبنية على الحاسوب في طبيعة وبناء ما يقاس؟ وكيف يتم ذلك؟ (دوجلاس وهيجيلهيمير ٢٠٠٨:١١٦ Douglas &Hegelheimer). كما وضّحت هنستون (Hunston ٢٠٠٢:٢٠٥) أنه يمكن معرفة مدى كون استخدام ما شائعاً أم لا وكذلك التصحيح بمقارنة متن مثل مدى شيوع أو ندرة المصاحبات في نص (المتعلم مثلاً) مقارنة بوجودها بمتن موجود. وقد ذكر ماكنري وآخرون (٢٠٠٦:١٠٠ McEnergy, et al.) أن ألدريسون (١٩٩٦ Alderson) وضّح جوانب للإفادة من المتون في الاختبارات، منها بناء الاختبار وتصنيفه واختياره... وقد استخدم في الإنجليزية، كما استخدم أيضاً بمساعدة برامج تعيين على ميكنة الامتحان اعتماداً على المتن. وقد صمم كازوبوكيوو جونسوكا

(Kaszubski and Wojnowska ٢٠٠٣) برنامجاً لبناء تدريبات لتدريس اللغة الإنجليزية (باني الاختبار TestBuilder).

المستخدم الخامس العاملون في معاجم اللغة (هنستون ٢٠٠٢:٩٥ Hunston). فيمكن للمعجمي أن يفيد من المتون اللغوية (جونسون ٢٠٠٩:٣٩,٤٠ Johnson) في عدة مظاهر منها: المفردات التي يوردها في المعجم بناء على قوائم الشيوع في المتون، وكذلك الاستفادة من نتائج دراسات الباحثين في المتون اللغوية (تشنج ٢٠٠٩:١٧٤ Cheng)، وفي ذكر الأمثلة الطبيعية لأهل اللغة، وفي سياق اللغة لأغراض خاصة كالأكاديمية في الأنماط المعجمية للمفردات في حقل معين ومدى شيوعها وسياقاتها ومصاحباتها (بروداين ٢٠٠١:١٧١ Brodine). كما أن الاعتماد على متن معين يحل بعض الإشكالات حول تعريفات الكلمة الواحدة، مثلاً جذر (ق ول) تورد الكلمة التي يشيع ورودها في المتن وهي مثلاً الماضي – كما رأينا سابقاً – في الترتيب الأببائي ثم يشار إلى ارتباطها بكلمتي يقول ومقال دون شرح معانيهما؛ بل توردان في مكانهما في الترتيب الأببائي.

المستخدم السادس الناشر. ففي اللغة الإنجليزية يتزايد اهتمام كبار الناشرين في مجال تعليم اللغة الإنجليزية وينمو استخدامهم للمتون اللغوية سواء تلك التي لأبناء اللغة أو التي للمتعليمين، وتعد مصدر دخل لموادهم التي ينتجونها؛ إذ يبنون عليها سلاسل مواد مرجعية وتدرسية كالمعاجم وكتب القواعد وكتب المفردات (ميونيرو جوفيرنيور ٢٠٠٩:١٩٧ Meunier and Gouverneur). وعلى الرغم من تقدم الإنجليزية في هذا الميدان مقارنة باللغات الأخرى فيرى ميونيرو جوفيرنيور (Meunier ١٩٧: ٢٠٠٩ and Gouverneur) أنه من المستغرب أن الإنجليزية للأغراض العامة لا تزال بعيدة عن الاستفادة من هذه المصادر إفادة تليق بما يمكن أن تقدمه المتون اللغوية

ولسانيات المتون للناشرين والمنتجين. كما ذكرت كونراد (Conrad ٢٠١٠:٥٤٥) أن عدداً كبيراً من الدراسات في لسانيات المتون الإنجليزية قارنت اللغة المستخدمة في المتون باللغة المدرّسة للمتعلم في الكتب المدرسية وأشارت إلى أنه يمكن للناشرين العمل بشكل أفضل حين يراعون نتائج المتن بشكل أفضل حين إنتاجهم للكتب المدرسية.

المستخدم السابع المتعلم. ومتعلم اللغة هو المستفيد النهائي من المتون اللغوية ودراساتها، ويكون مستخدماً بوسيط (أي بطريق غير مباشر) عن طريق المستخدمين السابقين الذين يفيدون من المتون في الفصل الدراسي وينقلونها له، أو قد يفيد المتعلم من المتون اللغوية بشكل مباشر حين يبحث فيها بنفسه مباشرة دون وسيط. فالمتون اللغوية تساعد المتعلم على مهام لغوية تعينه في تعلمه، على سبيل المثال ذكر أستون (Aston ٢٠١٠:٧،١٦) أن المتون مفيدة للمتعلم في التحليل والتوصيف اللغوي؛ بل ذهب جوهانسون (Johansson ٢٠٠٩:٣٧) إلى أن أنشطة المتون تمكّن المتعلم من أن يبنى فرضية لغوية ما عن طريق الاستنتاج، وأن يختبرها بالطريقة العكسية (الاستقراء) في المتن. وبطريقة أكثر تفصيلاً فقد ذكر إيبيلينق (Ebeling ٢٠٠٩:٧٧) أن المتون تمنح المتعلم فرصة ليصير مكتشفاً للغة بنفسه، وأنه من وجهة نظر تربوية فإدراج المتن في تعلم وتعليم اللغة مفيد للطلاب؛ إذ تعريض الطالب للغة طبيعية أصلية من سطور المفهرس ومن تدريبات معتمدة على المتن تسمح بمنهج يركز على الطالب وتعطي الطالب فرصة لتقييم البيانات وعمل خلاصاته واستنتاجاته الخاصة (إيبيلينق Ebeling ٢٠٠٩:٨١). فالمتون اللغوية إن استُخدمت في التدريس فهي مادة ثرية لتزويد المتعلم بأمثلة واقعية فعلية (ماكجري وولسون ١٩٩٦:١٢٠ McEnery & Wilson). وقد أظهرت نتائج دراسة ميونيرو جوفيرنيور (Meunier and Gouverneur ٢٠٠٩: ١٩٧) أن الأمثلة الطبيعية وكيفية تحشية المتون قد تساعد المتعلم في التغلب على التحديات التربوية

الجديدة في تعلمه اللغة. ويرى جافيولي وأستون (Gavioli and Aston ٢٠٠١) أنه ينبغي تقديم المتون للمتعلم ليتعلم منها مباشرة بنفسه، بل اقترح جونز (Johns ١٩٩١) أنه يجب مواجهة المتعلم مباشرة بقدر المستطاع بالمتون.

ومن فكرة جونز هذه التي يرى وجوب تقديم المتن ومواجهة المتعلم به خرج مصطلح (الطالب الباحث: The learner as researcher) وهي فكرة من أكثر الأفكار أهمية في استخدام المتن في تدريس اللغة طورها جونز (Johns ١٩٩١) في مصادر متعددة من إنتاجه وبحوثه، وتبعه في ذلك آخرون (نولز, ١٩٩٠, Knowles وبارلو ١٩٩٦, Barlow). ومنها خرجت فكرة التعلم الموجه بالشواهد (data-driven learning:DDL) وهو ما سنفرده له الحديث في الفترة التالية لأهميته لدى الباحثين.

التعلم الموجه بالشواهد (Data-Driven Learning:DDL):

يعد جونز في كتاباته المتعددة (١٩٩٧, ١٩٩٤, Johns ١٩٩١) مخترع مصطلح التعلم الموجه بالشواهد. ويقصد به استخدام المفهرسات لتحليل اللغة إما عن طريق الاستنباط (وذلك باستخراج الفرضية والتعميمات والحقائق اللغوية من البيانات والشواهد الموجودة في المتن)، أو عن طريق الاختبار (باختبار الفرضية والتعميمات والحقائق المعروفة مسبقاً على المعلومات والشواهد) (أستون ٢٠٠١:١٩) أي الطريق العكسي للطريقة السابقة. وبهذا النوع من التعلم يصير "متعلم اللغة باحثاً" (the learner as researcher)، لأنه يتعامل مع المتن على أساس أنه باحث لغوي (جونز ١٩٩١) وليس مجرد متعلم متلقي. كأن يستكشف مثلاً الفرق بين وصفي جميل ووسيم، أو طويل ومرفع، وأطلق برنارديني (Bernardini ٢٠٠١:٢٢) على المتعلم مسافراً أو متجولاً (The learner as traveler)، وسمى هذا النوع من التعلم (التعلم الاستكشافي: Discovery Learning:DL) (انظر أيضاً ماكنري وآخرون McEnery, et

٢٠٠٦:٩٩)، ويرى أن التعلم يتحول إلى رحلة (برنارديني ٢٠٠١:٢٢٣) (Bernardini) يبحر المتعلم من خلالها إلى اللغة والثقافة. وسُمي استكشافياً لأن هذا النوع من التعلم يشجع المتعلم -خصوصاً المتقدم- على استكشاف السلوك اللغوي للغة الهدف، أو اختبار قواعد الاستخدام، أو حتى تعريفات المعاجم للمفردات (هنستون Hunston ٢٠٠٢:١٧٢). فاستخدام المتون مع المتعلمين ليس الهدف منه ترفاً متمثلاً في إدخال تقنية جديدة لهم؛ بل الهدف منه إكسابهم منهجاً تحليلياً (جافيولي ٢٠٠١:١٢٩) (Gavioli)، ويتطلب ذلك مهمات خاصة (برنارديني ٢٠٠١:٢٢٣) (Bernardini) من المتعلم ومهارات جديدة وأدواراً جديدة، بل لا نبعد إذا قلنا طريقة منهجية للتفكير جديدة.

وطريقة التعلم الموجه بالشواهد هي الطريقة الثانية من طرق استخدام المتن في التدريس وفي قاعة الدرس، إذ هناك من استخدم المتون في التدريس وتصميم المواد والمفردات، وفي هذه الحالة فالمدرس أو اللغوي (جميع المستخدمين الستة في الفقرة السابقة) يكون غربالاً أو وسيطاً بين المتون والمتعلم. الطريقة الأخرى ترى أنه لا ضرورة لهذا التوسط؛ إذ يرى جونز (١٩٩٤، ١٩٩١) (Johns) أن المتعلم يمكنه التفاعل مباشرة مع المتن دون وسيط عن طريق التعلم الموجه بالشواهد، وبهذا يكون قد نقل منهجية المتن من المختبر اللغوي إلى الفصل الدراسي (جافيولي ٢٠٠١:١٠٨) (Gavioli) مباشرة دون وسيط، وبهذا ينتقل التعلم من إدارة المدرس كما هي في الحالة الأولى إلى أن يكون بقيادة المتعلم وهو ما يرى ماكنري وآخرون (٢٠٠٦:٩٩) (McEnery, et al.) فيه أنه يساعد على الاستقلالية وعلى أن يكون المتعلم باحثاً (ليتش ١٩٩٧:١٠) (Leech). ويرى جونز (١٩٩١) (Johns) أن التعلم الموجه بالشواهد مفيد وذو تأثير إيجابي على الطلاب والمدرسين حول العالم، فالمدرس يتحول إلى مهنيٍّ بينما المتعلم يتعلم عن طريق الملاحظة وتفسير أنماط الاستخدام.

وقد ذكر عدد من الباحثين بعض الأمثلة على تطبيقات التعلم الموجه بالشواهد، منها ما ذكره نيسلهوف (Nesselhauf ٢٠٠٤:١٤٠) وهو أن يوجّه المتعلم إلى ما يخطئ فيه ليراه في المتن بالطريقة الصحيحة ليكتشف ما يخطئ فيه بنفسه فيدرسه تطبيقياً بدل أن يقال له هذا خطأ. كما ذكر أيضاً (Nesselhauf ٢٠٠٤:١٤٠) أنه يمكن استخدام أنشطة التعلم الموجه بالشواهد دليلاً على العدم مثل ما هو دليل على الوجود، أي يكون المتن دليلاً سلبياً مثله مثل الدليل الإيجابي، بالإضافة إلى أنه يمكن أن تستخدم تلك الأنشطة على مرحلتين: توعية المتعلم عن طريق مناقشة الدليل العدمي والدليل والوجودي، ثم التأسيس للاستخدام الصحيح (Nesselhauf ٢٠٠٤:١٤٠). ولا شك أن هذه الأنشطة وتجول المتعلم بينها تزوده بقدر كبير من الملاحظات والاكتشافات (Nesselhauf ٢٠٠٤:١٤٠) التي سيصادفها في رحلته. كما ذكر جونز (Johns ١٩٩١) ثلاث مراحل لطريقة التعلم الموجه بالشواهد: **المرحلة الأولى**: الملاحظة (الدليل المفهرس أو الكشف السياقي).

ثم الثانية: التصنيف (للخصائص المميزة).

ثم الثالثة الأخيرة: التعميم (أو القاعدة).

ويمكن لنا للتوضيح أن نضرب لذلك بمثال من اللغة العربية بأن يُعطى المتعلمون كلمة (غضب) مع مفهرسها الذي يسرد الكلمة، ثم يُسألون ما الكلمات التي عن يسارها؟ وما الكلمات التي عن يمينها؟ هذه كلها تشجع على الملاحظة والاستكشاف في الدروس التي يأخذونها والمفردات التي يدرسونها مثلاً متواليّة: غضب من كما في الشكل التالي رقم (٦)

متلقٍ إلى متفاعل في العملية التعليمية، وسيحتاج إلى مهارات خاصة وتدريب على الاستخدام والتحليل.

وقد ذكر (برنارديني ٢٠٠٤:٢٣) أن الطريقة قد تصدم الدارسين في البداية لكنها مفيدة خصوصاً للمستويات العليا. وهذا يأخذنا للحديث عن المستويات التي يمكن أن تفيد من المتون اللغوية في تعلم اللغة، وهو مدار الحديث في الفقرة التالية.

متى يمكن للمتعلم الاستفادة من المتون اللغوية:

نظراً لكون المتون اللغوية تحتاج إلى مهارات معينة لاستخدامها وكذلك تحتاج إلى أجهزة حواسيب فقد يتساءل المرء: هل تختص الاستفادة من المتون اللغوية بمرحلة معينة؟ كالمستويات المتقدمة مثلاً؟

الإجابة عن هذا السؤال لدى المتحمسين لاستخدام المتون اللغوية في التدريس قد تبدو مفاجئة لدى الذين لم يطلعوا على كيفية استخدام المتون في التدريس أو هم حديثو عهد بذلك؛ فيرى بينت (Bennett ٢٠١٠:٩٤) أنه يمكن استخدام المتن اللغوي لجميع المستويات من المبتدئ إلى المتقدم؛ لكنه يرى في الوقت نفسه أنه يستهلك وقتاً وجهداً في البداية ثم يصبح مع التعود سهلاً وسريعاً. كما يشير كارتير (Carter ٢٠٠١) إلى أن تعلم المفردات عن طريق المتون متاح للمستويات المبتدئة والمتقدمة. ولا بد من الإشارة إلى أن جميع المهارات والعناصر والمظاهر اللغوية يمكن أن تدرس لجميع المستويات مع مراعاة مستوى الصعوبة والمهارات المطلوبة في كل مستوى على حدة. ويرى إيجمير (Aijmer ٢٠٠٩:٤) أن المتون قد لا تناسب جميع المتعلمين وذلك للحاجة إلى التدريب والمهارة.

ولا بد من التنبيه على أن التعليم بالمتن لا يستغني عن الكتاب المقرر؛ بل هو رديف وموازٍ له (بينت ٢٠١٠:٩٤). وقد يكون عاملاً مساعداً للمقرر ووسيلة تعليمية

مساندة. كما يمكن أن يُستخدم في الفصل الدراسي وضمن الجدول الدراسي، أو أن يستخدمه المتعلم في المكتبة وخارج الوقت الرسمي للتعلم. ويمكن لنا أن نذكر مراحل تطبيقية لاستخدام المتون في أي نشاط لغوي. وتكون كالتالي (قرانقر Granger ٢٠١٢):

- اختيار ظاهرة أو مفردة موضوعاً للدرس.
 - تحديد متن لاستخدامه وإجراء التطبيق عليه.
 - البحث عن الظاهرة أو الكلمة في المفهرس.
 - تحليلها سطحياً ومبدئياً.
 - تفسير التحليل لبناء فرضية ومحاولة تعميمها.
 - اختبار الفرضية على كمية أكبر من المعلومات بالاعتماد على سطور المفهرس (المكشاف).
 - تكليف المتعلم بأن يقوم بمهمة مشابهة مستقلاً بنفسه أو بمساعدة المدرس.
- ويمكن استخدام المتون في التدريس بدءاً من مساعدة المدرس في محتوى البرنامج، مروراً بترتيب عرض المعلومات، وانتهاءً بترك المتعلم يتفاعل بنفسه مع المتن (ريبن ٢٠١٠:١٧ Reppen). ويرى بينت (٢٠١٠ Bennett) أن من المهم اقتصار الطلاب على النظر مبدئياً للأسطر الأولى حتى لا يضيعوا بين أسطر شواهد المفهرس التي قد تصل إلى الآلاف ثم يحبطوا ويتوقفوا عن الإفادة من المتون. وقد ذكرت كونراد (Conrad ٢٠١٠:٥٤٢) أن غالب أنشطة التدريس وتطبيقاته اليوم وغالب ما يستخدمه المدرسون هو البرنامج الأكثر استخداماً وشيوعاً المفهرس أو المكشاف السياقي (الكونكوردينس concordance). وكذلك تقوم على قوائم الشيوع.

* * *

خاتمة وتوصيات:

وهنا نختم هذا البحث التي استعرضنا فيها استخدام المتون اللغوية في فصول تعليم اللغة الثانية من جوانب متعددة ذكرنا فيها الفوائد التي يمكن أن تجنيها العملية التعليمية من إدخال المتون في قاعة الدرس. بعد ذلك تعرفنا على حدود إمكانيات المتون اللغوية وعلى بعض التساؤلات التي لا تستطيع المتون اللغوية أن تجيب عنها، ثم تحدثنا عن أنواع المتون التي يمكن أن يفيد منها الفصل الدراسي لتعليم اللغة ورأينا أن هناك متوناً لا تفيد بشكل مباشر دون إدخال بعض التعديلات عليها، تلا ذلك حديث عن العناصر اللغوية والمهارات اللغوية الأربع التي قد تستخدم المتون للإفادة منها ورأينا كيف أن المتون -مع بعض التعديلات البسيطة على المتون الموجودة أو مع تصنيف متن خاص للغرض المراد- قد تكون رافداً مهماً للعناصر والمهارات اللغوية وفي جميع المستويات اللغوية سواء المبتدئ منها أو المتقدم. بل ذكر دانييلسون (Danielsson ٢٠٠٤: ٢٢٦) أن ازدياد عدد اللغويين والمدرسين الذين يدخلون مجال المتون يخلق فرصاً جديدة للعمل التي يمكن أن يقوم بها المتن.

وبناء على هذا الحديث فإن البحث يوصي بإقرار تدريس مادة لسانيات المتون في المراحل الجامعية خاصة ما يتعلق بالتخصصات اللغوية حتى يفيد منها اللغوي في البلاد العربية في مستقبله المهني باحثاً أو مدرساً. كما يوصي بتدريس المتون اللغوية مادةً من مواد برامج تدريب معلمي اللغة العربية لغة ثانية حتى يتعرف المدرس على ما يمكن أن تقدمه له المتون اللغوية في مهنته ولطلابه، وحتى يزول حاجز الرهبة الذي ربما يكون لديه من جراء نقص المهارة التقنية أو من عدم وجود مراجع عربية متوفرة تفيده في ذلك. كما يرى البحث إدخال المتون اللغوية إما بشكل مباشر في قاعة الدرس ليستخدمها المتعلم بنفسه أو بشكل غير مباشر عن طريق المستخدمين الذين أشار إليهم البحث.

وحتى نواكب التطور التقني في اللغات الحية بما يتناسب مع مكانة اللغة العربية بين اللغات فلا بد من تضافر الجهود ما بين التقنيين واللغويين لتأسيس شراكة منتجة لصالح تطوير برامج حاسوبية تخدم اللغة العربية وتجعل التعامل معها متاحاً للعاملين في المجال اللغوي دارسين ومدرسين وباحثين.

* * *

المراجع (العربية فالإنجليزية):

- بعلبكي، رمزي منير. ١٩٩٠. معجم المصطلحات اللغوية. دار العلم للملايين: بيروت-لبنان. الطبعة الأولى.
- صالح، محمود إسماعيل. ٢٠١٢. الحاسوب والبحث اللغوي (المدونات اللغوية نموذجاً). كرسي بحث صحيفة الجزيرة للدراسات اللغوية الحديثة. الرياض: جامعة الأمثلة نورة بنت عبدالرحمن.
- العصيمي، صالح. ٢٠١٣. لسانيات المتون وعلوم اللغة. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المزار-فاس: جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد ١٩- السنة الخامسة والثلاثون: ٣٧-٦٧.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ١٩٨٩. المعجم العربي الأساسي. طبعة لاروس.
- Aijmer, Karin (ed). ٢٠٠٩. Corpora and Language Teaching. John Benjamins Publishing Company.
- Alderson, C. ١٩٩٦. Do corpora have a role in language assessment?. In J. Thomas and M. Short (eds). Using Corpora for Language Research, ٢٤٨-٢٥٩. London: Longman.
- Alfaifi, Abdullah, Atwell, Eric, and Hedaya, Ibraheem. ٢٠١٤. Arabic Learner Corpus (ALC) v٢: A New Written and Spoken Corpus of Arabic Learners. In the proceedings of the Learner Corpus Studies in Asia and the World (LCSAW ٢٠١٤). ٣١ May – ٠١ June ٢٠١٤, Kobe, Japan.
- Aston, G. ١٩٩٥. Corpora in language pedagogy: matching theory and practice. In G. Cook and B. Seidlhofer (eds). Principle and Practice in Applied Linguistics: Studies in Honour of H. G. Widdowson, ٢٥٧-٢٧٠. Oxford: Oxford University Press.

- Aston, G. ١٩٩٧b. Small and large corpora in language learning. In Lewandowska-Tomaszczyk and Melia (eds). *PALC'97: Practical applications in language corpora*. ٥١-٦٢.
- Aston, G. (ed). ٢٠٠١. *Learning with Corpora*. Italy, Bologna: CLUEB.
- Barlow, M. ١٩٩٦. Corpora for theory and practice. *International Journal of Corpus Linguistics* ١(1):١-٣٧.
- Bennett, Gena R. ٢٠١٠. *Using Corpora in the Language Learning Classroom: Corpus Linguistics for Teachers*. The University of Michigan.
- Bernardini, Silvia. ٢٠٠١. Spoilt for Choice: A Learner Explores General Language Corpora. In Aston, Guy (ed). *Learning with Corpora*. Italy, Bologna: CLUEB. ٢٢٠-٢٤٩.
- Bernardini, Silvia. ٢٠٠٤. Corpora in the classroom: An overview and some reflections on future developments. In John McH. Sinclair (ed). *How to Use Corpora in Language Teaching*. ١٥-٢٦.
- Biber, D., S. Conrad and R. Reppen. ١٩٩٨. *Corpus Linguistics: Investigating Language Structure and Use*. Cambridge: Cambridge University press.
- Biber, D., Johnson, S., Leech, G., Conrad, S., and Finegan, E. ١٩٩٩. *Longman grammar of spoken and written English*. New York: Longman.

- Breen, Michael P. ٢٠٠١. Syllabus design. In Carter, Ronald and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. Cambridge University Press. ١٥١-١٥٩
- Brodine, Ruey. ٢٠٠١. Integrating Corpus Work Into An Academic Reading Course. In Aston, Guy (ed). Learning with Corpora. Italy, Bologna: CLUEB. ١٣٨-١٧٦.
- Brown, H. Douglas. and Abeywickrama, Priyanvada. ٢٠١٠. Language Assessment: Principles and Classroom Practices. Pearson Longman. Second edition.
- Burns, Anne. And Barbara Seidlhofer. ٢٠٠٢. Speaking and Pronunciation. In Norbert Schmitt (ed). An Introduction to Applied Linguistics. (٢١١-٢٣٢). Hodder Arnold.
- Carter, Ronald. ٢٠٠١. Vocabulary. In Ronald Carter and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. Cambridge University Press. ٤٢-٤٧.
- Carter, Ronald and David Nunan (eds). ٢٠٠١. The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. Cambridge University Press.
- Carter, R. A. and M. J. McCarthy. ١٩٨٨. Vocabulary and Language Teaching. London: Longman.

- Cheng, Winnie. ٢٠٠٩. Income/interest/net: Using internal criteria to determine the aboutness of a text. In Karin Aijmer (ed). Corpora and Language Teaching. John Benjamins Publishing Company. ١٥٧-١٧٧.
- Conrad, S. ١٩٩٩. The importance of corpus-based research for language teachers. System ٢٧: ١-١٨.
- Conrad, S. ٢٠٠٠. Will corpus linguistics revolutionize grammar teaching in the ٢١st century?. TESOL Quarterly ٣٤: ٥٤٨-٥٦٠.
- Conrad, Susan. ٢٠٠٤. Corpus linguistics, language variation, and language teaching. In Sinclair, John McH (ed). How to Use Corpora in Language Teaching. (١٧-٨٥). John Benjamins Publishing Company.
- Conrad, Susan. And Kimberly R. Levelle. ٢٠١٠. Corpus Linguistics and Second Language Instruction. In Spolsky, Bernard and Francis M. Hult (eds). The Handbook of Educational Linguistics. Wiley-Blackwell. ٥٢٩-٥٥٦.
- Cook, G. ١٩٩٨. The uses of reality: a reply to Ronald Carter. ELTJ ٥٢: ٥٧-٦٤.
- Danielsson, Pernilla. ٢٠٠٤. Simple Perl programming for corpus work. In Sinclair, John McH (ed). How to Use Corpora in Language Teaching. (٢٢٥-٢٤٦). John Benjamins Publishing Company.
- Douglas, D. & Hegelheimer, V. ٢٠٠٨. Assessing language using computer technology. Annual Review of Applied Linguistics ٢٧, ١١٥-١٣٢.

- Doyle, Paul. ٢٠١٢. Visualizing a Corpus of Spoken Classroom Discourse. In the proceedings of The First Asia Pacific Corpus Linguistics Conference. Auckland. New Zealand.
- Ebeling, Signe. Oksefjell. ٢٠٠٩. Oslo Interactive English: Corpus-driven exercises on the Web. In Karin Aijmer (ed). Corpora and Language Teaching. John Benjamins Publishing Company. ٦٧-٨٢.
- Ellis, Rod. ٢٠٠٨. The Study of Second Language Acquisition. Oxford University Press. Second edition.
- Evans, Tony Dudley-. ٢٠٠١. English for specific purposes. In Carter, Ronald and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. Cambridge University Press ١٢١-١٣٦.
- Flowerdew, J. ١٩٩٣. Concordancing as a tool in course design. System ٢١/٣: ٢٣١-٢٤٣.
- Freeman, Diane Larsen-. ٢٠٠٠. Techniques and Principles in Language Teaching. Oxford University Press.
- Freeman, Diane Larsen-. ٢٠٠١. Grammar. In Ronald Carter and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. (٣٤-٤١). Cambridge University Press.
- Gavioli, Laura. ٢٠٠١. The Learner as Researcher: Introducing Corpus Concordancing in The Classroom. In Aston, Guy (ed). Learning with Corpora. Italy, Bologna: CLUEB. ١٠٨-١٣٧.

- Gavioli, L. and Aston, G. ٢٠٠١. Enriching reality: language corpora in language pedagogy. *ELT Journal* ٥٥/٣: ٢٣٨-٢٤٦.
- Goethals, M. ٢٠٠٣. EET: the European English Teaching vocabulary-list. In B. Lewandowska-Tomaszczyk (ed). *Practical Applications in Language and Computers*. ٤١٧-٤٢٧. Frankfurt: Peter Lang.
- Granath, Solveig. ٢٠٠٩. Who benefits from learning how to use corpora?. In Karin Aijmer (ed). *Corpora and Language Teaching*. John Benjamins Publishing Company. ٤٧-٦٧.
- Granger, Sylviane. ٢٠١٢. How to Use Foreign and Second Language Learner Corpora. In Mackey, Alison., and Susan M. Gass (eds). *Research Methods in Second Language Acquisition: A Practical Guide*. (٧-٢٩). Wiley-Blackwell.
- Hunston, Susan. ٢٠٠٢. *Corpora in Applied Linguistics*. Cambridge University Press.
- Jamieson, J. ٢٠٠٥. Trends in computer-based second language assessment. *Annual Review of Applied Linguistics*, ٢٥, ٢٢٨-٢٤٢.
- Johansson, Stig. ٢٠٠٩. Some thoughts on corpora and second-language acquisition. In Karin Aijmer (ed). *Corpora and Language Teaching*. John Benjamins Publishing Company. ٣٣-٤٤

- Johns, T. ١٩٩١. Should you be persuaded: two examples of data-driven learning. In Johns T and P. King (eds). Classroom concordancing. ELR journal, ٤.(١-١٦). University of Birmingham.
- Johns, T. ١٩٩٤. From printout to handout: grammar and vocabulary teaching in the context of data-driven learning. In Odlin, T. (ed). Perspectives on pedagogical grammar. Cambridge: Cambridge University Press. ٢٩٣-٣١٣.
- Johns, T. ١٩٩٧. Contexts: the background, development and trialling of a concordance-based CALL program. In Wichmann, A., S. Fligelstone, T. McEnery and G. Knowles (eds). Teaching and language corpora. London: Longman. ١٠٠-١١٥.
- Kaszubski, P. and Wojnowska, A. ٢٠٠٢. Corpus-informed exercises for learners of English: the TestBuilder program. In E. Oleksy and B. Lewandowska-Tomaszczyk (eds) Research and Scholarship in Integration Processes: Poland – USA – EU. ٣٣٧-٣٥٤.
- Kennedy, G. ١٩٩٨. An Introduction to Corpus Linguistics. London: Longman.
- Knowles, G. ١٩٩٠. The use of spoken and written corpora in the teaching of language and linguistics. Literacy and Linguistic Computing ٥(٣): ٧٧-٩٠.
- Leech, G. ١٩٩٧. Teaching and language corpora: a convergence. In Wichmann, S. Fligelstone, A. McEnery and G. Knowlea (eds). Teaching and Language Corpora. London: Longman. ١-٢٣.

- Leech, G. G. Myers and J. Thomas (eds). ١٩٩٥. Spoken English on Computer. London: Longman.
- Lyons, Liz Hamp-. ٢٠٠١. English for academic purposes. In Carter, Ronald and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. Cambridge University Press. ١٢٦-١٣٠.
- Mackey, Alison., and Susan M. Gass (eds). ٢٠١٢. Research Methods in Second Language Acquisition: A Practical Guide. Wiley-Blackwell.
- McCarthy, Michael. ٢٠٠١. Discourse. In Ronald Carter and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. (١٨-٥٥). Cambridge University Press.
- McCarthy, M. ٢٠٠٤. Touchstone: From corpus to course book. Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- McEnery, Tony., Richard Xiao and Yukio Tono. ٢٠٠٦. Corpus-Based Language Studies: an advance resource book. Routledge Applied Linguistics.
- McEnery, T. and A. Wilson. ١٩٩٦. Corpus Linguistics. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- McEnery, Tony & Andrew Wilson. ٢٠٠٥. Corpus Linguistics. Edinburgh: Edinburgh University Press. ٢nd edition.
- Meunier, F. ٢٠٠٢. The pedagogical value of native and learner corpora in EFL grammar teaching. In S. Granger, J. Hung and S. Petch-Tyson (eds). Computer Learner Corpora, Second Language Acquisition and Foreign Language Teaching. Philadelphia: John Benjamins. ١٩-١٤٢.
- Meunier, Fanny. and Celine, Gouverneur. ٢٠٠٩. New types of corpora for new educational challenges: Collecting, annotating and exploiting a corpus

- of textbook material. In Karin Aijmer (ed). *Corpora and Language Teaching*. John Benjamins Publishing Company. ١٧٩-٢٠١
- Mindt, D. ١٩٩٦. English corpus linguistics and the foreign language teaching syllabus. In J. Thomas and M. Short (eds). *Using corpora for language research*. London: Longman. ٢٣٢-٢٤٧
 - Mukherjee, Joybrato. ٢٠٠٩. Who benefits from learning how to use corpora?. In Karin Aijmer (ed). *Corpora and Language Teaching*. John Benjamins Publishing Company. ٢٠٢-٢٣١.
 - Nesselhauf, Nadjia. ٢٠٠٤. Learner corpora and their potential for language teaching. In Sinclair, John McH (ed). *How to Use Corpora in Language Teaching*. John Benjamins Publishing Company. ١٢٦-١٥٢.
 - O'Keeffe, Anne., Michael McCarthy and Ronald Carter. ٢٠٠٧. *From Corpus to Classroom: Language Use and Language Teaching*. Cambridge University Press.
 - Partington, Alan. ٢٠٠١. *Corpora and Their Uses in Language Research*. In Aston, Guy (ed). *Learning with Corpora*. Italy, Bologna: CLUEB. ٤٦-٦٢.
 - Prodromou, L. ٢٠٠٥. You see, it's sort of tricky for the L٢-user: The puzzle of idiomaticity in English as a lingua franca. Unpublished PhD dissertation, University of Nottingham, UK.
 - Reppen. Randi., ٢٠١٠. *Using Corpora in The Language Classroom*. Cambridge University Press.
 - Richards, Jack C. ٢٠٠١. Postscript: The ideology of TESOL. In Carter, Ronald and David Nunan (eds). *The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages*. Cambridge University Press. ٢١٣-٢١٧.
 - Richards, Jack, and Theodore S. Rogers. ٢٠٠١. *Approaches and Methods in Language Teaching*. Cambridge University Press. Second edition.

- Romer, Ute., ٢٠٠٩. Corpus research and practice: What help do teachers need what can we offer?. In Karin Aijmer (ed). Corpora and Language Teaching. John Benjamins Publishing Company. ٨٢-٩٨.
- Seidlhofer, Barbara. ٢٠٠١. Pronunciation. In Carter, Ronald and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. Cambridge University Press. ٥٦-٦٥.
- Sinclair. J. (ed). ١٩٩٠. Collins COBUILD English Grammar. London: Collins.
- Sinclair, J. ١٩٩١. Corpus, concordance, collocation. Oxford, UK: Oxford University Press.
- Sinclair, John (ed). ٢٠٠٤. How to Use Corpora in Language Teaching. John Benjamins Publishing Company.
- Sinclair, J. ١٩٩٦. Units of Meaning. Textus ٩, ٧٥-١٠٦.
- Tomlinson, Brian. ٢٠٠١. Materials development. In Carter, Ronald and David Nunan (eds). The Cambridge Guide to Teaching English to Speakers of Other Languages. Cambridge University Press. ٦٦-٧١.
- Tribble, C. and Jones, G. ١٩٩٠. Concordances in the Classroom: A Resource Book for Teachers. London: Longman.
- Tsui, Amy B M. ٢٠٠٤. What teachers have always wanted to know - and how corpora can help. In Sinclair, John McH (ed). How to Use Corpora in Language Teaching. John Benjamins Publishing Company. ٤٠-٦١.
- Widdowson, H. ١٩٩٠. Aspects of Language Teaching. Oxford: Oxford University Press.
- Widdowson, H. G. ٢٠٠٠. On the limitations of linguistics applied. Applied Linguistics ٢١/١: ٣-٢٥.



- Willis, D. ١٩٩٠. The Lexical Syllabus: A New Approach to Language Teaching. London: HarperCollins.
- Zorzi, Daniela. ٢٠٠١. The Pedagogic Use of Spoken Corpora: Learning Discourse Markers in Italian. In Aston, Guy (ed). Learning with Corpora. Italy, Bologna: CLUEB. ٨٥-١٠٧.
- مواقع المتون والمدونات المذكورة في البحث على الشبكة (العربية فالإنجليزية):
المدونة العربية أو المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية:
<http://www.kacstac.org.sa/Pages/Default.aspx>
- مدونة المتن العربي (Arabic corpus). <http://arabiccorpus.byu.edu/>
- <http://arabiclearnercorpus.com>
- ANC: The American National Corpus.
<http://www.americanationalcorpus.org/>
- Arabic corpus: <http://arabiccorpus.byu.edu/>
- BNC: The British National Corpus. <http://www.natcorp.ox.ac.uk/>
- ICLE: The International Corpus of Learner English. <http://www.uclouvain.be/en-cecl-icle.html>
- MICASE: The Michigan Corpus of Academic Spoken English.
<http://micase.elicorpora.info/>
- SST: The Standard Speaking Test Corpus

* * *

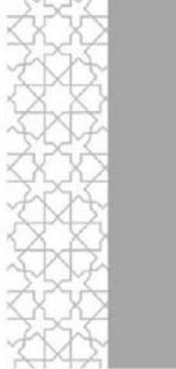




List of References:

- Al-Osaimi, S. (2013). Lisaaniyyaat al- muton wa al-lughah. *Journal of College of Literature and Humanities*, 19, 37-67.
- Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization. (1989). *Al-Mu`jam al-arabi al-asaasi (Laroos ed.)*.
- Ba`labki, R. (1990). *Mu`jam al-muSTalaHaat al-lughawiyyah*. Beirut: Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.
- SaaliH, M. (2012). *Al-HaasooB wa al-baHth al-lughawi (Corpora Linguistics as a model)*. Riyadh: Princess Nourah bint Abdulrahman University.

* * *



Corpus Linguistics and its Applications in Second Language Teaching

Dr. Saalih Ibn Fahad Al-OSaimi

Arabic Language Teaching Institute

Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This study investigates the use of language corpora in second language teaching. It discusses the advantages of applying language corpora in the classroom and presents some illustrative examples of their use in learning and teaching language skills. It also provides practical guidance for both language learners and teachers inside and outside the classroom. The study concludes that teaching a second language (Arabic) using language corpora has many linguistic and educational benefits for language learners, teachers and researchers. Accordingly, the study recommends the use of language corpora in Arabic language teaching to native speakers and non-Arabic speakers in the classroom, particularly with the progress of communication and the strong relationship between language and technology in the current era.

Key words: Corpus linguistics, second language teaching, learners' corpora, teaching language skills, teaching vocabulary, teaching morphology, teaching grammar.



III. Documentation:

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..
2. Sources and references must be listed at the end.
3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of the research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI: Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

VII. The modified articles should be returned on a CD-ROM or via e-mail to the journal.

VIII. Rejected articles will not be returned to authors.

IX. Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of their article.

Address of the Journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh, 11432 P.O. Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: arabicjournal@imamu.edu.sa

Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Arabic Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research on University Campus. It publishes scientific research according to the following regulations:

I. Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II. Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.
4. A hard copy and soft copy must be submitted with an attached abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words or one page.



Editor –in- Chief

- **Prof. Ibrahim Salah Al-Sayed Solaiman Al-Hodhod**
Vice-president of Al-Azhar University
- **Prof. ShoukriEzzeddin Al-Mabkhout**
Dean of the Faculty of Arts, Manouba University, Tunisia
- **Prof. Saleh Mohammed Al-Zahrani**
Professor, Department of Rhetoric, Criticism and
Methodology of Islamic literature, College of Arabic
Language
- **Prof. Abdulaziz Ibrahim Al-Ossaili**
Professor, Department of Applied Linguistics, Institute for
Teaching Arabic
- **Prof. Abdullah SaleemAl-Rasheed**
Professor, Department of Literature, College of Arabic
Language
- **Prof. Mohammed AbdulrahmanKhattabi**
Professor, Ibn ZahrUniversity ,Aghadir, Morocco
- **Dr. HishamAbdulaziz Mohammed Al-Sharqawy**
Secretary Editor of the Journal of Arabic Studies, Deanship
of Scientific Research



Chief Administrator

Dr. Fawzan Ibn Abdulrahman Al-Fawzan

Acting Rector of the University

Deputy Chief Administrator

Prof. Fahd Abdulaziz Al-Askar

Vice rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor –in- Chief

Dr. Abdulrahman Abdulaziz Al-Muqbel

Dean of Scientific Research

Managing Editor

Dr. Ra'ad Abdullah Al-Turki

Vice-Dean of Scientific Research for Cultural Affairs